برق يمان على قُدسيَّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَرِي الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org

برق يمان
على قدسية الإيمان وهو يماني

تأليف

السيد العلامة الحجة

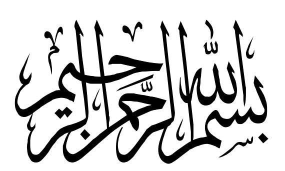
محمد بن محمد بن مطهر المنصور

أطال الله عمره



مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

برق يمان على قُدسيَّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org



برق يمان على قدسيَّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org

الطبعة الأولى

طبعة مصححة ومنقحة ومزيدة

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م



مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع

الجمهورية اليمنية – صنعاء
Republic of Yemen- Sana'a
تلفون: ٢٦٩٠٩١-٢
Tel:269091-2
فاكس:٢٦٩٠٧٩- ص- ب:٣٨٠١ .
Fax: 26907 P.O.Box:3801

www.almahatwary.org
info@ almahatwary.org

تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org

برق يمان على قُدسيَّة الإيمان وهو يماني

هدفها الأسمى في قولي:

إذا قِيلَ لي ما الدليلُ على ... وُجُودِ إلهي أقولُ وُجُودي
وفي وُسْعِ كُلِّ امرئٍ فَهْمُهُ[1] ... وإن كان دونَ الغبي البليد
فلو قال هل من دليل سواه ... أقول انتظامي وإتقانُ عُودِي
فإن قال ذَا صُدفةٌ قل كذبـ ... ـتَ عمدا وَبُؤْتَ بوصفِ العنيد
وخبَّثْتَ نفسَكَ أشقيتَها ... بدار الفناء ودارِ الخلود
أَتُتْقِنُ ذَا كُلَّهُ صُدفَةٌ ... بِلاَ خَطَأٍ لا تَكُنْ باللَّدُود
فبئس الحياةُ حياةُ الكفور ... وبئس المماتُ مماتُ الْجُحود
فخذ في الطريق إلى جَنَّةٍ ... وحِدْ عن سبيلٍ لذات الوَقُود
وكُنْ مُخْلِصًا تُهْدَ لا تَتَّبِعْ ... هَوىً إنَّها النارُ يومَ الوعيد
على نهج طه ونهج الوصي ... سِرْ لا على نهج آلِ اليزيد

الخميس /١/ ١٤٠٠هـ

محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور

سامحهم الله آمين

---

(١) أي الدليل.

(٢) مقتبسة من آيات كثيرة حَسْبي أن أشير إلى﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب:٣٣] ﴿ فَمَنْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [آل عمران:٦١]﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ إلخ

برق يمان على قدسيَّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدمة]

يا باحثًا عن الحق السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

اعلم أنه قد نَجَمَتْ في هذه الفترة باليمن جماعة من المجبرة والمجسمة والمبغضين لأمير المؤمنين كرم الله وجهه ولأهل بيته، ومن الذين ينتمون بعقآئدهم وولآئهم إلى الذين قاتلوا عليًّا حتى استُشْهِد، وقاتلوا الحسن بعده، ثم الحسين يوم الطَّفِّ، وبقية المهاجرين والأنصار يوم الحَرَّة، ورموا الكعبة بالمنجنيق، وقاتلوا زيد بن علي يوم الكناسة وصلبوه وحرقوه، وقاتلوا الهادي يحيى بن الحسين ، وقتلوا الحسين بن علي الفَخّي، وغيرهم من آل محمد ﷺ أجمعين.

هؤلآء الدعاة يَدْعُون أهل اليمن إلى عقآئدهم الباطلة، ومنهم من يقوم في المساجد باسم الوعظ لترويج معتقداتهم بين العامة والجهال، الذين يسهل تضليلهم؛ لقصور فهمهم وقلة معرفتهم، فإذا ذكروا بينهم من الإرشاد النافع حرفًا ساقوا معه من التضليل ألفًا.

والشآئع على الألسنة أنهم يأخذون مقابل ذلك أموالاً طآئلة باسم مرتبات ومكافآت، وأن بعضهم يتبرع بذلك أوّلاً قبل أن يُكلف به، ليكون أهلُ الأموال أكثرَ ثِقَةً به من مُجَنَّدِيهم وهؤلآء بذكآئهم أَصْيَدُ للأموال ممن قبلهم.

أما ما يَدعُون إليه فمِنْهُ أن الله هو الذي يخلق الكفر في الكافر والفسق في الفاسق، وأن يُصَدِّقَهم الناس بأنه لا اختيار للكافر ولا للفاسق في كفرهم وفسقهم ولا إرادة لهما في ذلك، وإنما يجبرهما الله على ذلك إجبارا.

ويزعمون للناس أن الله إنما خلق الذين كفروا ليكفروا ، وإنما خلق كل مذنبٍ ليفعل تلك الذنوب التي ارتكبها؛ لأن الله [وتعالى الله عما يقولون ويزعمون] يريد منهم الظلم، ويريد فجورهم ، وما خلقهم إلا لذلك، ولا يستطيعون بحال من الأحوال أن يتجنبوه، ويعملوا الصالحات؛ لأنها غير مقدورة لهم، ومستحيل عليهم الإيمان والتقوى والعمل الصالح، كما أنه مستحيل عليهم أن لا يظلموا، أو يفسقوا، ويفجروا.

فلو زنى مثلا رجل بامرأتك التي تحبها وتحبك، والتي قَصَرَتْ وحَصَرَتْ رغبتها وحبها وإعجابها عليك ، وحصرتَ أنت كل ذلك عليها، فاختطف الرجل منك حبها وإعجابها، واستلب عفافها وقلبها، وصارَتْ بالرجل معجبة ومغرمة، وبك وبأولادك وبيتك مضجرة وَمُبْرَمَة، فإن الرجل والمرأة عندهم في الحقيقة وواقع الأمر معذوران؛ لأنه لا اختيار للرجل، ولا إرادة، ولا فِعْلَ فيما صدر منه وقام به، بل هو مجبور ومقسور ومغلوب على أمره، وكذلك المرأة، وأنَّ ما فعله كما تفعل الحَجَرُ إذا أهويتَ بها من كفك ورميت بها إنسانا في رأسه فقتلته؛ فإن الحجر لا اختيار لها، ولا إرادة في قتلها للإنسان، وكذلك الزاني بامرأتك، والمحتال على قلبها وعفافها، أو على ابنتك أو أختك، فإن

الذي يَفْجُرُ بأي منهن، والذي يهتك عرضك وشرفك، أو يسفك دمك، أو دم ابنك أو ينهب مالك لا اختيارَ له ولا إرادة ولا فِعْلَ، وإنما خلق الله فيه ذلك كلَّه وقدَّره عليه.

فإذا قلنا لهم: هذا ظلم مبين، قالوا: لا يَقْبُحُ من الله قبيح؛ فله أن يفعل في ملكه ما يشآء. فإذا قلنا لهم: فقد نفى الله عنه الظلم في العشرات من الآيات الكريمة، قالوا: قد قلنا: لاَ يَقْبَحُ منه كما يقبح ذلك منا.

فإذا أدرك بعضَهم الخجلُ من خزي المكابرة للعقل والنقل قال: ذلك لحكمة نجهلها، ويُسَلِّمُ ضمنا بوضوح براهيننا العقلية والنقلية، ولكن تأخذه العزة بالإثم، وتُعْمِيهِ الأَنَفَةُ والكِبْرُ عن التسليم بالحق والرجوع إليه؛ فيتهرب بما لا يجديه ولا يفيد بأن ذلك لحكمة مجهولة، وهذا فتح لباب الجهالات، وهو باطل وممنوع باتفاق الجميع.

وربما تعلق بظواهر آيات متشابهات وحملها على أبعد ما تحتمله ، وادعى بجرأة على الله وعلى العقل أن ذلك الذي ادعاه هو مراد الله سبحانه مما تحتمله الآية المتشابهة من المعاني، فإذا نبهتَه إلى أن ما زعمه يتعارض مع نصوص الآيات المحكمات مثل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، و:﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[النساء: ١٤٧]، و:﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فإنه لا يخجل ولا يتردد أن يدعي أن المحكم متشابه، وأن المتشابه الذي تكلف في تأويله محكم، ولا يخفى تعسفه وتكلفه على أي ناظر وسامع، له طبع

مستقيم وعقل سليم.

كما لا يخفى ما في ذلك من التشجيع للناس على ارتكاب الكبآئر، وعلى الفساد في الأرض باسم أهم غير مختارين ولا مريدين لذلك [تعالى الله عما زعموه عُلُوًّا كبيرا] فإن الله ما كلف أحدًا بواجب، ولا نهاه عن معصية إلا وقد أقدره على أن يفعل ما أمره به، ومكنه من ذلك، وأقدره على أن يترك ما نهاه عنه، ومكنه من اجتنابه. كما أنه تعالى قد بين لنا الطاعات ورغبنا فيها، وبين لنا المعاصي وحذرنا منها، ووعد من أطاعه بالجنة، وأوعد من عصاه بالنار؛ لأن الله عدلٌ وحكيمٌ وغنيٌ ورحيمٌ، بل ودودٌ جلّ وعلا وكريمٌ؛ ومَنْ هذه صفاتُه يستحيل عقلاً ونقلاً أن يُجبرَ أحدًا على ارتكاب أي قبيح، ويستحيل أن يُريدَه تعالى من فاعله، وأن يشآءه منه ويرضاه؛ وإلا فلماذا يُحرِّمُ اللهُ علينا ما لا نستطيع تركه، وكيف ينهى عبده عن الظلم والفجور والفسق، والحال أنه مجبرٌ عليه لا يملك الكف عنه؟

وإذا كان الأمر هكذا فلماذا سيعذبه على ما ليس له فيه اختيار ولا عمل؟، إن هذا يتنافى مع تسمية الله لنفسه عدلاً وحكيمًا وغنيًا؛ لأن العدل يستوجب أن يُقْدِرَ المكلَّفَ على ما كلفه به، والحكمةُ تقتضي أن لا يقع العذابُ إلا لمن يستحقه، وكيف يستحقه من لا مناص له من ارتكاب الذنب الذي يستوجبه؟!

ولأن وَصْفَ اللهِ سبحانه لنفسه بالغَنِيِّ عن العالمين الغِنَى المطلق يتعارضُ مع زعمهم الباطل أنه خلق المذنبين لِيُذْنِبُوا ويُعَذَّبُوا؛ لأنه غنيٌّ عن ذلك وغير محتاج

إليه، فكيف يفعل ذلك وهو غنيٌّ عنه، وغير محتاج إليه؟ وفي الوقت نفسه، فيه أشد الضرر على العبد الضعيف العاجز المسكين الذي لا يملك من الأمر شيئًا، سبحان الله عما يصفون؛ ولأن ذلك يتنافى مع تسمية الله لنفسه بالرحمن الرحيم، وبالحنان المنان، وبالرؤف ونحوها أتمَّ المنافاة، بل سمى نفسه تبارك وتعالى الودود، فتأمل مليًّا في معنى الودود، فإنه سمى نفسه الغفور الودود، وهذا أبعد في المعنى من اسمه الرحمن الرحيم، عزَّ الله عما زعموه وجلَّ.

كلا كلا إن الله لا يرضى لعباده الكفر، فهل يقبل عقل عاقل أن الله يفعل ما لا يرضاه؟، ومن ذا الذي سيجبره على أن يفعل ما لا يرضاه، وأن يُقَدِّرَ هذا الظلم الفظيع، ويقضي هذا القضاء الشنيع؟ ولا موجودَ حين قضى وَقَدَّرَ إلا هو وحده لا شريك له في الأزل والوجود –تعالى الله عنه علوًا كبيرًا.

إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ، فكيف تَقبلُ أَتْفَهُ العقولِ أن يقضيَ اللهُ وَيُقَدِّرَ حين لا سواه بأن يخلق الجهر بالسوء من القول، ويخلقه وهو لا يحبه، لماذا؟ هل هناك من سيرغمه على أن يفعل ما لا يحبه ولا يرضاه؟ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، هذا نص قرآني فكيف خَلْقُ ما لا يحب؟!

إن الله لا يريد بنا العسر، فهل يتصور ذو عقل سليم أن يفعل بنا ما لا يريده من العسر؟، ومَنِ الذي سيضطره إلى أن يفعل بنا ما لا يريده ولا يحبه ولا يرضاه؟

إنه تعالى لا يحب الكافرين، ولا المستكبرين، ولا الظالمين بنص القرآن

الكريم، ولا المختال، ولا أي متكبرٍ جبارٍ، ولا المسرفين بنصه تعالى على كل ذلك في كتابه الحكيم، فمَنْ ذا الذي أجبره حين قضى أَقْضِيَتَهُ، وقَدَّرَ أقداره على أن يقضي بذلك ويُقَدِّرَهُ؟، وأن يطبّق أقداره بِخَلْقِهم وخَلْقِ قبآئحهم: من الكفر والظلم والإسراف والفجور؟!، كلا كلا وتعالى الله عما يقول الظالمون لأنفسهم علوًا كبيرًا، وسبحان الله عما يصفون.

إن الله نهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي، ومن المستحيل عقلاً ونقلاً أن يجبرنا على فعل ما نهانا عنه، وعلى فعل ما يُبغضه ولا يريده ولا يحبه ولا يرضاه، كما نصت على ذلك آيات الذكر المبين، ولا يجهل هذا إلا ذو فهم سقيم، ولا يتجاهله إلا أَلَدُّ الخصام، وهو في خصامه غير مبين؛ لأنها نصوص لا تحتمل غير معناها الواحد فقط، وهذا واضح وضوح الشمس في رآئعة النهار، وأجلى من ابن جلا.

فإذا أمعنت النظر في هذا وفي أدلته القرآنية والعقلانية والعلمانية تجلى لك إلى أي حد قَصَّرَتْ وأسَفَّت بعض المدارك، وإلى أي دَرَكٍ هَوَت بسوء فهمها، وإلى أي حضيض وقعت بتأويلها المتكلّفة، وتصوراتها الفاسدة المتعسَّفة، وإلى أي حد تجاوبوا مع وسوسة الشيطان الذي أقسم بعزة ربنا ليغويننا أجمعين إلا عباده المخلصين.

ومن الأمثلة على هذا تشبثهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]. وهذا من باب كلمة حق أريد بها باطل محض، فالحق

هو أنه خالق للكون بأسره ومبدعه من العدم المحض: سمآؤه وأرضه، ومياهه وأجواءه بحاره وأنهاره، وأشجاره وثماره، جامدُة ونامِيْة ومتحركة، المُسَنِّنُ لسننه، المصور لتراكيبه، المنظم لتحركاته وسكناته، المتصرف فيه وحده بما يبهر الألباب، ويستنفد العجب العجاب في الصنع الحكيم والإبداع العظيم في كل ذرة من ذراته، وبأنه صاحب الخلق والأمر كلهما ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]. وصاحب الملك والحمد فيهما لا شريك له في ذلك ولامعين.

هذا هو الحق في معنى ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، والعموم فيها منصبٌّ إلى هذا وما في فلكه يدور من العجآئب والغرآئب الدالة على عظمة ذي العظموت، وقدرة ذي الملكوت، وحكمة ذي الجبروت، وإتقانه لما صنع وبرى جل وعلا.

أما الباطل الذي أرادوه فهو إدخالهم لأفعال العباد في عموم المراد باسم أن عمل العبد شيء فالله خالقه، مع أن الله يقول في شأن بلقيس حاكيا لقول الهدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، فهل أوتيت الإحياء والإماتة؟، هل تُنَزِّلُ الأمطار؟، هل تُكَوِّرُ الليل على النهار؟! كلا كلا مع أن هذه أشياء، إلا أنها لم تقصد في عموم "كل" هنا، فالعموم المراد هو ما سبقت الإشارة إلى أمثاله مما يدل على الله وعجآئب

ملكوته، لا ينصرف إلى ما لبَّس عليهم به الشيطان، بل يتجه إلى الأشياء التي تَمَجَّدَ الله بها في السياق ولأمثالها، وليست من الحصر والقصر الحقيقي الذي قال البيانيون: إنه لا يكاد يوجد.

ولهم شبهة ثانية أشد هُزالاً من الآنفة، ساء فهمهم فيها وتأويلهم، وهي قولهم: لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، قالوا: فإذا لم تكن المعاصي مرادة لله تخلفت القاعدة، مع أننا نقول: حقٌّ، إنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، ومن ذلك أنه خلق لنا قدرة، وجعل لنا إرادة واختيارا لما نفعل ونترك، وما كلفنا سبحانه إلا بما نقدر عليه، وبذلك تقوم الحجة لله علينا، كما أن قولنا هذا أعظم تمجيدًا لله وقدرته، وزعمهم الفاسد يشعر أن الله لا يقدر على إيجاد القادرين. هذا ولا يلزم من جعله للعبد قادرا على فعل المعصية أنه أرادها منه، كلا.

ولتقريب الفهم، أقول لك : لو أنك أعطيت إنسانا مدفعا يحمي به الضعفاء وحوزة المسلمين، فإذا به يقاتل به الضعفاء ويهاجم المسلمين؛ فكون المدفع صالحا لأن يستعمل مع الحق وضد الحق لا يستلزم أنك أردت به ما حدث من ذلك الرجل ضد الضعفاء والمسلمين.﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وهاهو الكفر قد وقع، ومحال أن يريد ما لا يرضى هذا واضح، ولسنا بصدد استكمال القول في هذه المسألة والتحقيق، إنما القصد التحذير من التغرير، ومن أراد الاستيفاء فأمامه كتب الأصول.

ومما يدعون إليه تجسيم الله تقدس عن ذلك، ويصورونه للناس كابن آدم،

ويقولون إن الله خلق آدم على صورته، أي صورة الخالق، ويقولون: إن لله يَدَيْنِ ورِجْلَيْنِ الخ، وإنه يطلع وينزل وينتقل كالمخلوقين، ويضللون العامة أتباع كل ناعق بحمل آيات من القرآن على المعنى الحقيقي مثل:﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، فتوهموا وأوهموا الجهال أن الذين بايعوا رسول الله كما حكت الآية الكريمة وهي:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فأوهموا الجهال أنه كانت يدٌ حقيقةٌ فوق أيدي المبايعين لرسول الله.

والمعنى الحقيقي هنا غير جائز؛ لأنه يستلزم التصور لمن ليس كمثله شيء، والتفكر في ذات الله، وتحديد يد الله بيد المبايع؛ وكل ذلك ممنوع باتفاق.

ويستدعي التساؤل النفسي هل كانت اليد فوق يد النبي والمبايع؟، فلماذا لم يقل فوق يدك وأيديهم؟، أم كانت فوق يدِ المبايع، ويدُ النبي فوق الكل؛ فتكون اليد بينهما ويدُ النبي فوق يد الله؟!!، تعالى الله عما توهموه.

على أن المألوف المعروف عند مصافحة العهد والميثاق لمبايعة وغيرها أن تكون اليدان معترضتين، ومن ذلك مبايعة الرضوان المذكورة في الآية الكريمة، لا أن تكون يد المحلِّف متجهة الراحة إلى أسفل ويد الحالف إلى أعلى، وحينئذ فلا فوق ولا تحت، إنما هناك جهة يمين وجه شمال لا فوق وتحت.

ومثل هذا قولهم في:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] إن لله وجها بهذا الدليل؛ وهذا غلط واضح؛ لأنه يستلزم أن الله هالك أيضا ما عدا وجهه، فالمراد

إذن غير ما فهموه بجهالة، وإنما جيء بالوجه لتأكيد المعنى مثل:﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وإنما المراد أن كل شيء هالك إلا الله سبحانه، كما يقول أحدنا لمن لم يف بوعده: بيّض الله وجهك، أو ما بيّضت وجهك، أراد ما وفيتَ أنتَ كُلُّك، و لم يقصِد ما طليت وجهك بالبياض، ولا خصص بإرادته الوجه، أو عنى ما غسلت وجهك بالصابون، بل أراد ما تحليت بالوفاء.

والقرآن أنزله الله على العرب بلغتهم وحسب مصطلحاتهم، فيه الكناية والمجاز والحقيقة؛ مثلا أَمْرُه تعالى لنا بقوله:﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] أَمْرٌ بالتواضع للأبوين واحترامهما وتعظيمهما؛ إذ لاجناح لنا فنخفضه، والله عالم أنه لا جناح لنا فلم يقصِده، وإنما قصد أن نَبرَّ بهما، ونكافي عطفهما وإحسانهما إلينا وتعبهما وسهرهما وكرمهما إذ ربيانا صغارا. ونحن كعرب فهمنا ما قصد ربنا، و لم نسمع أن أحدًا سمع الآية فتحسس جسمه عسى أن يجد له جناحًا لم يكن قد علم به.

ومثلا قال جلّ جلاله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. فإن مراده تعالى أنه عاقبهم بالجوع والخوف، وما هناك شيء يؤكل، اسمه الجوع حتى تذوقه ألسنتهم، ولاشيء يلبس فيحسَّ لابسُه بالخوف، وذآئقه بالجوع.

والذي حملهم على هذا الـهُراء من الرأي الفَجِّ بنكران المجاز في القرآن خَطَلٌ وجَهْلٌ، وفي تصورهم أنه من التقوى، وتنزيهٌ للقرآن من اللبس فيه، وتقديس لله من التلبيس على عباده؛ وبذلك أسلموا قيادهم لوسوسة عن نية حسنة وقصد حسن[1]، كما وسوس لقوم أن عليًّا عليه السلام قد كفر فكفَّروه عن حسن نية وخطأ وجهل في الاعتقاد، فكانوا جميعا من كلاب النار.

ولقد لاحت لي المناسبة اللطيفة ووجهها والحمد لله، وذلك في تسميتهم كلاب النار، وهي تشبيه الذين يلبسون الحق بالباطل بما يُدْلُونَ به من الشُّبَهِ التي تُوْقِعُ الجاهلين وضعافَ المدارك في الخطأ الذي لا يغتفره الله لهم، والشُّبَهِ التي يستظهر بها المستكبرون عن قبول الحق، ويُحِسُّونَ بالغضاضة، من ذلك الغضاضةُ التي تحملهم على ركوب اللجاج والاستمرار في العناد. شَبَّهَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم صراخ ألسنتهم وأقلامهم بالباطل الذي يشبه الحق بنباح الكلاب، وبذلك صيَّرهم الله في النار حاملين لهذا اللقب العجيب، ولا غرابة أَنْ وَصَفْتُهُ بالعجيب، فقد قال سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

---

(١) قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الطراز ٨٣/١ " أجمع أهل التحقيق من علماء الدين ، والنظار من الاصوليين وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله تعالى، وكلام رسوله في كلا نوعيه المفرد، والمركب، ويُحكى الخلاف في إنكاره عن أبي بكر بن داود الاصفهاني، ثم تولى الرد عليه وأمثاله فليراجع.

أليس من العجيب أن يُصِرُّوا على أن الهبوط إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير لا يراد به هبوط الرحمة، وَفَتْحُ أبواب الاستجابة والبركات في ذلك الوقت الذي تكون القلوب فيه أقدر على استجلاء الحقيقة، وأكثر فهمًا ووعيًا لما يكشفه الظلام، وتكتشفه الأحلام من جلال الكون، وظهور النجوم التي لا عَدَّ لها، سابحةً في أفلاكها المتباعدة المترامية الشاسعة الواسعة، التي تدل بعظمتها، وبأنوارها، وبسيرها المحكم، وعظم أحجامها وتقيدها بنظامها وانتظامها، وخضوعها لما قدَّره لكل منها: من المكان والسرعة والدوران حول نفسها أو حول غيرها بحيث لا تستقدم عن شيء من ذلك، ولا تتأخر، مع استحضار القلب وصفاء الذهن في الأسحار أكثر من غيرها.

ولعل هذا بعض وجوه الحكمة في قسمة الله للزمان إلى ليل ونهار. ولكن هؤلآء المعاندين والمكابرين أَنَفَةً منهم أن ينكشف أننا أولى بالحق منهم أبَو إلا أن يقولوا: الهبوطُ حقيقةٌ لا مجازٌ.

ومن البعيد جدا أنهم يجهلون أن الهبوط يستلزم إخلآء المكان الذي يقع منه الانتقال لو كان حقيقة لا مجازا، وإخلآء المكان، وسد الفراغ هو شأن الأمثال، لا شأن القدوس المتعال، الذي لا نِدَّ له ولا مثال، فقد كان الله قبل أن يخلق المكان والزمان، وهذا مما يتعالى إدراكه على العقول.

وأما تَفَصِّيهم بنفي الكيف فذلك مغالطة واضحة ليس عليها أثارة من علم، وما أُثِرَتْ قطُّ عن حجة من نبي أو كتاب، وإنما هو مجرد هرب عن التسليم

بالحق الواضح من بعض الأولين خطلاً وزللاً، ومن بعض المتأخرين كِبْرًا وجدلاً، والله يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الحج: ٨ - ١٠]، فإنا نذكرهم بهذه الآيات الزواجر، وبمثل قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]، فإن الآيات غير مقصورة على أسبابها. ولو لم يكن من باطل زعمهم إلا أنهم يسلبون من القرآن الكريم بإنكارهم للمجاز فيه أبرز صفات بلاغته وإعجازه البياني، و ينكرون دلالته على أسمى المعاني- لكفاهم زاجرا. نوَّر الله بصآئرنا جميعا بالحق المبين.

هذا وكثير من هؤلآء الدعاة إلى العقآئد الباطلة لا يعرفون إلا ما لقَّنهم مشآئخُهم، فآمنوا بما لقنوهم؛ لقصور معرفتهم وأفهامهم، كما آمن الجهال بما زعم رؤسآؤهم يوم صِفِّيْنَ بأن عليًّا ارتدَّ عن الإسلام بقبوله للتحكيم، وكما صدَّق معاويةَ أتباعُه لما قُتِلَ عمارُ بن ياسر، وانكشف لهم أنه الداعي إلى الجنة، وأنهم دعاة النار، فقال لهم معاوية: إنما قتله من جاء به، فقال الإمام كرم الله وجهه: إذن فالنبي قتل حمزةَ. وبالرغم من أنه اكتسح بكلمته تأويل معاوية الباطلَ، إلا أن بغضَهم لصاحب الحق، وحبهم للدنيا وصاحبها أعمى أبصارهم

وبصائرهم وأصمهم: البعض منهم جهالة، والبعض عَمَالةً، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٤١].

فلا تنخدع بكثرة وغنى مموليهم، فإن الله يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ولا بالمغالطات المَصُوغات في سحر البيان، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ - ١١٣]، أي لو شاء مشيئة قَسْرٍ وإلجاء، مثل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ﴾ [يونس: ٩٩].

وانظر إلى استدلالهم السقيم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، إذ قالوا: المراد خَلَقَهم وخَلَقَ عملهم الذي هو عبادة الأصنام، وهذا تأويل فاسد باطل؛ لأن الآية والتي قبلها حكاية لقول إبراهيم لقومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي كيف تعبدون حجارة وخَشَبًا لا تسمع ولا تبصر ولا تغنيكم شيئا، كما في آية سورة مريم : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]،

فإبراهيم عليه السلام وَبَّخَهم بهذا الاستفهام الإنكاري الإبطالي على عبادتهم لما نحتوه وصنعوه بأيديهم من الأخشاب والحجارة، والحال أنهم أشرف منها بالحياة والعقل والقدرة والإرادة والاختيار، وهي لاحظ لها في شيء من ذلك، ومع هذا يتركون عبادة الذي خلقهم وخلقها، فإن الأحجار والأخشاب خلقها الله؛ فالمعنى إذن: أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تنحتون. وأي حديث يخالف هذا: مصادمٌ له قطعًا، وما صادم نصا فهو مرفوض.وهذا الإنكار والاستدلال حجةٌ لإبراهيم على قومه قويةٌ مفحمة لهم.

فأما ما ذهب إليه أهل الجبر والتجسيم والإرجاء بأن الله خلقهم وخلق كفرهم فإنه يُصيِّر استدلال إبراهيم عليه لا لَهُ، وكأنه قال لهم: أتعبدون الحجارة؟ ولكن لا لوم عليكم بعبادتها، لأنكم لا تقدرون على ترك عبادتها لأنكم مرغمون على عبادتها.

فهل مثل هذا الكلام أيها القارئ الكريم إلا هذيان مجنون يترفع عنه أقل العاقلين فهمًا، فما بالك بكامل العقل والفهم، فما بالك بالعارف، فما بالك بنبي بليغ آتاه الله قوة الحجة وقوة البيان.

ثم إن قواعد النحو والبيان وضرورة المناسبة لمقتضى الحال ترفض ما تكلفوه بتاتا، وهو مع ذلك تشويه لمراد الرحمن ولبلاغة البرهان في القرآن، ولبيان الخليل عليه الصلاة والسلام، والله المستعان.

وكل هذا لا يخفى على من لديه أدنى عرفان، ولكن الناس عن التحقيق

رقود، والنظر الصحيح بينهم مفقود.

قلنا: إنهم يجسِّمون الله – سبحانه عما يصفون، ويقولون بالْجَبْرِ المحض، وهو قول القدامى، منهم جهم بن صفوان أول من عُرِفَ به وأتباعه. ولما عز عليهم الصمود أمام النكير، قالوا: هو بلا كيف. ولا يغنيهم هذا التفصِّي شيئا، إذ هو إحالة على المجهول، وهو عند الجميع غير مقبول.

وقلنا: إنهم مُجْبِرَة. وتَفصِّيهم بأنه لا يُسْئَلُ، وبأنه لحكمة نجهلها؛ لا يخرجهم من الحرج أصلا، لأنه فيما يصادم النقل والعقل، وبلا دليل.

فإذا تأملت بإمعان عرفت أنهم إنما يؤمنون بإله مجسَّم، له صورة كصورة الآدميين، يجبر الخلق على فعل القبآئح، ويعذبهم في النار خالدين بما لم يكن منهم بإرادة ولا اختيار. وأنت لا تستطيع أن تجد فارقًا بين من ألَّه فرعون، وبين من ألَّه ظالمًا، له صورة إنسان، وبين من نحت من الأحجار صنمًا وعبده، فالصور الثلاث تجعل الله كالأمثال، والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وأقوالهم تتنافى مع النهي عن التفكر في ذات الله، ومع التسليم بأن من فكر في ذاته ألحد، ومن فكر في مخلوقاته وحد. أما نحن فننزه الله عما نزه نفسه عنه من الجسمية، وعما يجوز عليها من النقآئص والظلم، ونصفه بما وصف به نفسه من صفات الكمال المطلق المتعالي عن الأضداد والأنداد. وهو الذي أقدرنا على ما كلفنا به، والذي لا يرضى لعباده الكفر، والذي يريد بنا اليسر ولا يريد بنا

العسر، والذي حرم على نفسه الظلم الذي حرمه علينا، والذي يغار من المعاصي، كما جاء في حديث (يا سعد) [1] وفي حديث: (يا عمر أنا أغير منك، والله أغير مني)، والذي هو أرحم بنا من آبآئنا وأمهاتنا ومن أنفسنا، والذي سمى نفسه الرحمن الرحيم.

أما على معتقد المجبرة فأين الرحمة ممن يخلق خلقا ضعفاء عاجزين، لأجل أن يعذبهم في جهنم خالدين؟ يا لها من فِرْية ما فيها مِرْية. وأين الحكمة التي زَيَّنَتْ كل ذرة من ذرات الأكوان، وكل حركة وسكون، وكل تركيب أبدعه وصنعه، وكل أمر ونهي قضى به؟! سبحان الله عما يصفون! وسنوضح إن شاء الله أثناء التعليق الذي يتخلل المنظومة أنهم هم لا سواهم القَدَرِيَّةُ بما لا يبقى معك شك أنهم المرادون بالقدرية.

ومما يدعون الناس إليه تنفيرهم من آل محمد، ومن شيعتهم وشيعة علي عليه السلام، باسم أنهم غلاة وحاشا أن يوجد في اليمن غلاة، وباسم أنهم لا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآله، وهذه تهمة فاجرة نبرأ إلى الله منها، ونُبرِّئ منها كل طآئفة مسلمة؛ لأنه ليس بمسلم من لا يعمل بكتاب الله، أو سنة رسول الله التي تصح لديه.

---

(١) البخاري رقم ٦٤٥٤ بلفظ " أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني" .

ويدعون الناس مع ذلك إلى حب معاوية ويزيد وتعظيمهما. فإذا وَجَدَ أحدُهم قبولا لكلامه خطا الخطوة التي تليها؛ وهي أن الحسين السبط خارجي مُخْطٍ يستحق قَتْلَهُ؛ لخروجه عن طاعة "أمير المؤمنين يزيد"، فإذا أحس باستنكار أظهر تأسفه لقتل الحسين، وذاد عن قاتليه بأنهم مجتهدون، وأخذ ينشر محاسنهم وانتحل لهم مناقب، فإذا سمع ذكر فضيلة لأحد من الخمسة أهل الكساء ضاق بها ذرعًا، وكذَّب بعضًا وضعَّف بعضًا، حتى لو روى الفضيلَة أصحابُ الأمهات الست وأمثالهم كالإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي وغيرهما، فإنهم لا يقبلون من مناقب علي فيها إلا ما تقبله أهوآؤهم من صغارها، مع تضعيف لما قبلوه، وفي الحلوق شجى، وفي العيون قذى.

أما إذا ثمة منقبة لسواه وسوى ولَدَيْه فيرحبون بها بدون قيد أو شرط، ويعظمون من شأنها ويجسمونها في تلسكوب من البيان، يراها القارئ والسامع من خلاله في أضعاف حجمها الحقيقي، كما يشاهَد الميكروب الذي تتعذر رؤيته على العين المجردة من عدسة التلسكوب التي تضاعف حجمة حتى تتأتى رؤيته.

وترى البعض بإزآء المناقب الكبرى لعلي وأهل البيت إذا أعياه التكذيب لها والتضعيف لا يتردد من تناول المنظار وتعكيسه ليراها القارئ والسامع من خلال المنظار المعكوس في معنى منكوس، أو يصغر حجمها حتى يخفيها أو يكاد.

وليس في هذا مبالغة، فإنك إذا وضعت هذه الملاحظة نصب عينيك كلما

قرأت شيئًا من هذا وجدته الحقيقة المجردة من الغش والمبالغة، لكن الله سلك من بين يدي المناقب ومن خلفها رَصَدًا ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وتَجَهُّمُهُمْ في وجه من ذكر شيئًا من فضآئل علي عليه السلام أو غيره من أهل البيت وذريتهم، وتَهَلُّلُ وجوهُهُمْ إذا ذُكِرَ أعدآؤهم بخير، وعدم التحاشي من تكذيب ما رواه علماء السنة الأكابر، أو تضعيف ما صحَّحوه منها، أو التعسف في تأويله، وتجهمهم أيضا في وجه من روى أو ذكر مأساة من مآسيهم، وبغضهم أيضا لأنصار الإمام والموالين له ومن تبعهم، ورميهم بالكذب، وجرحهم بالتشيع له، مع تزكيتهم لأنصار معاوية ومحبيه ومن تبِعَهم، مع تحقق بغضهم لعلي رغم تصحيح أهل السنة لحديث: ((إن حبه من الإيمان وبغضه من النفاق))[1]، كل ذلك واضح جدا، وحسبك أن تتأمل في هذا بإمعان.

وفي قتل الحسين، وتسميم معاوية للحسن سيدي شباب أهل الجنة، وفي قتل زيد بن علي، والحسين بن علي الفخي ومن معهم، وفي قتل علي كرم الله

---

(١) الترمذي / ٦١١ رقم ٣٧٣٦،٥٩٤رقم ٣٧١٧، مسلم ١/ص٨٠٦ وشرحه النووي مج ج٢ص٦٤-٦٥،ابن ماجه١/٤٢رقم ١٢٤، فتح الباري ١/ص٦٣، المستدرك ٣/ص١٢٩، الاعتصام١/ص٤٢-٤٧، أمالي أبي طالب ٤٩، أسدالغابة٤/٣٠، الخصآئص للنسآئي ١٠١، ١٠٢، مجمع الزوآئد ٩/١٣٣، تاريخ الإسلام عهد الخالفاءص٦٣٤، تذكرة الحفاظ١/١٠ وغيرهم كثير.

وجهه، وذِكْرِ معاوية وابنه يزيد، وابن العاص، وعبد الملك، وعمرو بن سعيد الأشدق. قال ابن عَبْدُونَ رحمه الله في بسامته الخالدة:

وليتَهـا إذ فَـدَتْ عَمْـرًا بخارجـةٍ	فَدَتْ عليًّا بمن شآءت مـن البشـر
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن	أتت بمعضـلة الألبـاب والفِكـرَ
فبعضنا قآئـل مـا اغتالـه أحـد	وبعضنا ساكت لم يُؤْتَ من حَصَـر
وأَرْدَتِ ابنَ زيـادٍ بالحسـين فلـم	يَبُؤْ بِشِسْعٍ له قد طـاح أو ظُفُـر
وأعمَلَتْ في لطـيم الجـن حيلتـها	واستوسقت لأبي الذِّبان ذي البَخَـر
وأحرقت شِلوَ زيد بعدما احترقـت	عليه وَجْدًا قلـوبُ الآي والسُّـوَر
وأظفرت بالوليـد بـن اليزيـد و لم	تبق الخلافة بـين الكـأس والـوتَر
وأسبلت دمعة الروح الأمـين علـى	دمٍ بِفَـخٍّ لآل المصـطفى هَـدَرِ

وليس بخافٍ عليك المراد من قوله: وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر، وأن صولة الباطل وجبروته أسكت الألسنة عن قول الحقيقة، وأنطق أخرى بالباطل الذي هو الزعم بأنه ما اغتاله أحد.

والذين يمتعضون من ذكر أيَّة مأساة وقعت على آل محمد إنما يَصْدُرون في امتعاضهم عن محبتهم للظالمين وكراهيتهم للمظلومين، وبغضهم من حيث لا يشعرون. وربما بادر بعضهم بالنهي عن ذكرها بحجة أنه يثير فرقة بين المسلمين، أو بقوله: هذا كذب أو نحوه، أو مبالغ فيه من صنع الغلاة.

وربما قيل: هم مستحقون؛ لأنهم خارجون أو خوارج على أولي الأمر مثل

يزيد وابن زياد وهم ظل الله في الأرض، لكن إذا ذكرت منقبة لأعداء آل محمد تهللت وجوههم فرحًا ولو كانت الرواية ضعيفة أو مصادمة للصحيح، بل يتعمدون السكوت عما يعلمونه من أي قادح فيها، وفي الحديث الشريف:(حبك للشيء يعمي ويصم) [1]، وقال شاعر:

وعينُ الرضى عن كل عيب كليلةٌ كما أن عين السُّخْطِ تُبْدِي المساويا

وتبجُّحُ البعضِ بأنهم أهل السنة تعريضٌ بأن غيرهم من المسلمين والزيدية على الخصوص لا يعملون بالسنة أو جاهلون بها، ويتجاهلون إيمان جميع المسلمين بأنهم يؤمنون أن رَدَّ ما صح لديهم عن رسول الله كُفْرٌ وَرِدَّةٌ، وإذا كانت المخالفة على وجه المعصية ففسق في الكبيرة لا يَخْرُجُ به عن كونه مسلمًا.

فلو كانوا صادقين في أنهم يكرهون إثارة الفتنة والشقاق بين المسلمين لعَفَّتْ ألسنتهم وأقلامهم عن الولوع بِسَبِّنَا باستمرار، ولما ولعوا بتأليف ونشر وطبع ما فيه شتمنا بالباطل زورًا علينا وبهتانًا بأننا شرُّ أمَّة، أو شر من اليهود، أو من الطآئفة الفلانية الخ.

---

(١) أبي داود/ ٥/ ٣٤٦ رقم ٥١٣٠، أحمد بن حنبل٨/١٦٣ رقم ٢١٧٥٢، البخاري في التاريخ ٢/١٠٧ برقم ١٨٥٣عن أبي الدرداء .

والمتأخرون والمعاصرون أشد إقذاعا وبغضا من أول سلف لهم في بغض آل محمد عمومًا، وخصوصًا الزيدية، حتى إنهم أو بعضهم إذا بالغوا في الشتيمة بينهم يقال " يا زيدي" لما تُوغرُ صدورَهم به علمآؤهم من نحو ما سبق، وبأننا مشركون ومبتدعون وأهل ضلال. ولو كانت لهم قلوب يفقهون بها، وعلى جانب من تقوى الله، وعلى شيء من الحرص على رأب الصدع بين المسلمين، وجمع قواهم في وجه الكفر وهجومه الشرس لما استمروا في ذلك، ولكن البغض يعمي ويصم.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران٢٩: ٣١]، ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٩ - ٣٣] صدق الله سبحانه. ومن آل إبراهيم محمد وآل محمد كما قال ابن تيمية وابن القيم وغيرهما. أفي تعاملهم معنا بهذا ما يدل على الإنصاف أو على

تقوى الله؟، أفي هذا ما يدل على غير البغضاء الظالمة والشنئان؟! والله المستعان.

أما ادعآؤهم أنهم يحبون آل النبي المتمسكين بسنته، فإنما يحبون الذين اتبعوا أهوآءهم، وفي الحديث الشريف: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)[1].

ومما ابتلى به عصرنا انتشار الإلحاد والذين ينكرون وجود الله، ويقولون ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ويقولون: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وهي مصيبة عظمى وداهية دهيآء.

ويزيد الطين بلة أن هجوم السِّبَابِ من قبل المجبرة، والتشويه ضد الزيدية مَهَّدَ وَيَسَّرَ سلوك التشكيك الإلحادي ضد الإسلام من حيث هو عند العامة وأنصاف المتعلمين أتباع كل ناعق، وزاد الشيوعية قوة وانتشارا ودفع كثيرا إلى الانضمام إلى الخارجين على الحكومة بحجة أن الخارجين لا يعارضون المؤمنين في عقآئدهم، بل يعارضون النظام المالي فقط، وهذا أهون عندهم من مصادرة القلوب وإجبارها على التنازل عن الحق وانتشار الضلال باسم أنه الهدى.

وفي ظل هذا الواقع الأليم يَرْتَعُ المنافقون الذين يظهرون الإسلام، وأتيح لهم

---

(١) كنز العمال ٢١٧/١ برقم ١٠٤٨، فتح الباري ٢٨٩/١٣، تاريخ بغداد برقم ٢٢٣٩.

العمل والقول تشفيا وحقدا على المسلمين عامة وآل محمد خاصة. وترى الأَخِسَّآء منهم الذين سيطرت عليهم عقدة الشعور بالنقص والضَّعَةِ في المجتمع، وعقدة الشعور بالجهل، وعقدة الحقد والحسد لمن يكرمهم المجتمع بأعمالهم وأخلاقهم، تراهم يحاولون إخفاء شعورهم بالنقص، واحتقار المجتمع لهم بالتجري على الكذب، وتناقل الكذب، والاستناد إلى الكذب، ولكونهم لا شرف لهم بين الأحياء فيحافظوا على صونه أن يُخْدَش ولا حياء ولا مروءة تَكُفَّانِهم عن الزور والبهتان، ولا علم يستر فضآئح جهلهم وكذبهم؛ فإنهم لذلك لا يترددون عن الإفك والاختلاق لمثالب ينسبونها إلى الأخيار، واختلاق مناقب للأشرار؛ غافلين أن التأريخ ورجاله والحديث وأمثاله في ماضيه ومستقبله يفضحهم ويخزيهم ويكشف ما يحاولون إخفاءه من سوآتهم، ولا يحتقرهم أحد كاحتقارهم لأنفسهم بأنفسهم.

وعلى سبيل المثل الترويج بين العامة أن ذرية رسول الله ﷺ انقرضت يوم الطّفّ، فهم كالذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] فهم بأباطيلهم إنما يسخرون من أنفسهم بأنفسهم، ويسجلون بأقلامهم خساستهم، ويشهدون على أنفسهم بما يزعمونه بأقلامهم وألسنتهم أنهم هم الكاذبون والجاهلون والمفسدون والملحدون، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وفي تفسير ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد عبده في تفسير سورة الكوثر ما ينفعك به الله.

وتجهيل المجبرة للناس بعدل الله وحكمته، وتجهيل الملحدين للناس بإنكار وجود الله يؤديان بالمجتمع إلى أسوأ العواقب وأخبث النتآئج، وخسرانه لدنياه ولآخرته معا؛ فإن الناس إنما يعيشون بالأمل في رحمة الله، وانتظار الفرج في العاجل، والإنصاف والانتقام لهم في الآجل؛ ويصمدون بذلك أمام العاتيات من المصآئب والمظالم، ويهزمون العاديات العاصفة من البلايا والمغارم: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولولا الإيمان بالله وكتابه، والبعث؛ لثوابه وعقابه لتكاثر الاعتداء على الأرواح انتصافا أو انتهاكا للحرمات مبادرةً إلى التشبع بمتع الحياة ولذآئذها، ولتكاثر بهذا الدافع الفسادُ بكل ألوانه وأشكاله في الفروج والأعراض خاصة، ولكثرت الإنتحارات ضيقًا بالحياة وآلامها، ويأسًا، ولتكاثر البؤس والفقر بصورة لا يتصورها الناس.

والذي يتصوره الدعاة إلى شيوعية الأموال ويصورونه للرعاع من أن مصادرة الأموال المكتسبة بالطرق الحلال باسم العدالة وإنصاف الفقرآء من الأغنياء وأنها ستسعد الفقراء إنما هو خيال و﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ وما هو إلا ظلم وعدوان تأباه العقول السليمة والطبآئع المستقيمة.

والتجربة في الشعوب الاشتراكية كشفت أنه ظلم وجهل مركب سماه الشيطان علمًا وعدلاً وهو عين الجهل والظلم للمنهوبين، وقَتْلٌ للمواهب والهمم

في خدمة الأمم، فإن عامة السواد الأعظم فيها بؤس شديد وعناء، وإن الفرد في العالم الرأسمالي: الفردُ الفقير فيه أحسن حالاً بكثير جدًا ممن هم في جِدته وحريته، وكلا النظامين فاسد في جملته وتفصيله. وكلا النظامين باطل في محتواه، ضره أكبر من نفعه، وشره غالب لخيره (١).

والإسلام لا سواه هو دين الحق، ونظام السعادة والعدل والحرية إذا تأمل في تفاصيله منصف ذو عقل سليم بعد أن يميط عن وجهه الوضّآء ما لطخه ونسبه إليه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والحقد على الدين الحنيف.

فالإسلام وحده هو الذي جلى ماهية الحقآئق الغيبية حتى كأنها بمرآى ومسمع، وقام بالقسط في كل ما دق وجل من التشريع وما برى وسوَّى، وهو الذي في العمليات في جميع نواحي الحياة ارتدى بالعدل الأكمل وتأزر،

---

(١) أطال الله عمر المؤلف ، فقد تحقق ظنه في الشيوعية، فقد فشلت، وتمزقت دولتها العظمى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م شر ممزق ، وها هي بقايا شظايا تتسول على أبواب الدوآئر المالية الغربية؛ رغم الثروات الهآئلة في أرض روسيا. أما النظام الرأسمالي والذي تتزعمه أمريكا؛ فإنه في طريقه إلى الانحدار لقيامه على أنانية الفرد، واحتقار الغني للفقير، وقد بدأت أمريكا تضرب العالم شرقًا وغربًا، جريًا وراء السراب من جنون العظمة والجشع الذي جعلها تسعى للسيطرة على ثروات العالم، وهي الآن تخوض حربًا مدمرة ومعها بريطانيا ضد العراق، ولا أتوقع إلا أنها تحفر لحتفها بأنفها، سواء انتصرت أم انهزمت. بقلم د/ المرتضى بن زيد المحطوري.

وبالفضيلة الفضلى وإسعاد البشرية تجلب وتدثر، لاسيما في نظامه الاقتصادي، والأنظمة الاجتماعية، وتوفير أوفر الحرية للفرد وللمجتمع على الوجوه الصآئنة لهما من التظالم والتغابن، الكفيلة لهما بكل ما تجود به الحياة الدنيا من السعادة والإسعاد للبشرية، والحماية من الشقاء بحيث لا يدنو من كماله أي دين ولا نظام.

إلا أن استكبار المستكبرين، وتعصب الباغضين والحاقدين من جماهير المبلغين والحرص على التشبع من رذآئل الشهوات ودناياها التي يُطَهِّرُ الإسلام منها ذَوِيه قد جعلهم يمرون بالإسلام النقي وهم عنه معرضون ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر ٥٠:٥١] لاسيما إذا كانوا قد وقفوا على شيء من الخزعبلات والترهات التي نسبها إليه المجبرة، وشَوَّهَ وجهه بها الفجرة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فإنهم يتخذون من ذلك حُجَجًا يُفحمون بها الدعاة إلى الإسلام، وتحمل المدعوين على السخرية بدين يُقِرّ العبث والفساد، ويساند باسم الإسلام الظلمَ والظلمة ضد المظلومين، ويفرض باسم الإسلام الاستسلام لهم، وينهى عن معارضتهم، وَيُمَنُّونَهُمْ مع ذلك أن في عفو الله سَعَةً لهم ونحو ذلك مما يتنافى مع صرآئح القرآن والسنة الصحيحة والعقول السليمة والفطرة السليمة المستقيمة.

فلا يعقل إذن أن تقبل عقول أهل الأنظار الدقيقة، والمعارف الواسعة عند المدعوين إلى الإسلام لاسيما في الماديات، لا يعقل أن يضع هؤلآء مقادهم في

أيدي جهال مُهَوِّوسين، هذه تصوراتهم للحقآئق، ودعوتهم إلى الإيمان برب ودين، هذا شأنهما.

فالإسلام دين الحرية والعدل والحفاظ على حقوق الفرد والجماعة، جعل لكل فرد الحق في أن يدرس حتى يكون أكبر عالم فيما يحب من العلوم، لم يحجر علما ولا أحدا عن أي علم ولاعن مزاولة أي عمل، وجعل مع ذلك لكل فرد الحق في الكسب والعمل الحلال حتى يكون أكبر غني، لم يحجر أحدا عن أي عمل، وجعل لكل فرد الحق في احترام دمه وعرضه وماله، وفي حفظ كرامته، وجعل لكل فر د الحق في الحياة، وساوى بين الناس في كل ذلك، وجعل ميزان المرء عند الله سبحانه وتعالى عمله لا نسبه ولا نَشَبَه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلن تسعد البشرية بغير الإسلام بعض سعادتها به، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

لكن الكفر بالله واليوم الآخر، ومخالفة ما أمر ونهى أينما حل الكفر وطبقت أنظمته لاسيما النظام الماركسي؛ فإن الهمم القعسآء والجدَّ يتلاشى ويقل دخل الأمة والفرد، وتسوء حالتهم، وتختم القوة على أفواههم، والمشانق تعمهم؛ فلا تأذن لهم فينطقون إلا أن يقولوا زورًا كما قد جرب هذا كثير غيرنا وتسربت أخباره المتواترة من خلال الحجاب والستار الحديدي ووصلت بهم الحال إلى هذه النتآئج السيئة.

والناس يتفاوتون في هممهم ونشاطهم وذكآئهم وفهمهم وجهودهم

ومساعيهم، وباب الحرية في العلم والعمل مفتوح في ظل الإسلام النقي من الشوآئب مفتوح على مصراعيه للعلم والعمل والكسب الحلال للجميع.

والإسلام يحمي مكاسب كل كاسب عن اغتصابها ومشاطرته فيها كما يحمي عرضه ودمه، وعن انتزاع شيء من حَلاَلِ كَسْبِه وَجِدِّهِ لكسول أضاع فرصته ووقته، أو باسم كسول ظاهرًا؛ هذا هو الظلم المبين، وهذا هو الجبروت لا الحرية، وهذا قسوة لا رحمة، ودعوة غير مباشرة لكبت الهمم والتواكل والتخاذل، ووأد الهمم والنشاط.

فاحذروا خداعهم لكم عن دينكم وإيمانكم وتشويه الدين بأنه أفيون الشعوب، فإنه مجرد خداع يقوم على تحسين القبيح وتقبيح الحسن بمنطق خلاب، وفي سحر من البيان الجدلي أو الخطابي أو الشعري أو المغالطة التي ينخدع بها السذج والهمج.

وبمناسبة ذكر المغالطة أُمليتْ عليَّ أمسِ نكتةٌ معناها: خياط أخلف مواعيده مرارا بإنجاز بدلة، فقال له صاحبها متألما: خلق الله العالم كله في ستة أيام فبادره الخياط قآئلا: ألا ترى كيف العالم؟ وما الناس فيه؟، وهو من باب سألتُه عن أبيه، فقال: خالي شعيب.

فاحذروا خداعكم عن دينكم وسعادتكم في الدارين معا وإلا خسرتموهما معا. فالناس في ظل الشيوعية في أضيق من سم الخياط، وفي العالم الرأسمالي الكفري لا حصر لحوادث الانتحارات وحوادث السطو الإجرامي على الدماء

وعلى الأموال لفساد في قوانينهم لا صلاح له إلا الإسلام.

وختامًا لا تغتر بشبههم ولا بشبه الطاعنين في آل محمد وأتباعهم؛ فهي معارضة للكتاب والسنة الصحيحة بأقوال مختلفة، أو تأويل فاسدة انطلت على القاصرين، وصادفت هوىً من المغرضين؛ فمَجَّدوها، فراجت بين السواد الأعظم الذين ظنوها أمورًا مسلَّمةً نصروا بها الباطل وأهله –حبًا لهم– ضد الحق وأهله –كراهية لهم– فليس ببدع أن يطعنوا فيهم وفي رواياتهم، وأن يتخذوا من ذلك سلاحا لإسكات الحق وإنطاق الباطل وبحكم تزلفهم بذلك إلى ذوي السلطان ووجاهتهم بذلك، والجِدَة في جميع الأزمان مقرونة بضيق ذات اليد عند المحقين.

ومهما يخفى من شيء فلن يخفى أن الخارج على إمام حق عندنا، وعلى إمام جور عندهم باغٍ، وأن عليًّا من الراشدين بتسليمهم بذلك، فالخروج عليه أشد من الخروج على غيره؛ ألا ترى أنهم في التناقض يتهافتون. كما لا يخفى أنه الداعي إلى الجنة لحديث عمار[(١)]، وخصومه دعاة النار، وأن أتباع علي هم الذين استجابوا دعوة الله إلى دار السلام، وأن خصومه استجابوا دعاء الشيطان،

(١) البخاري ١/١٧٢ رقم ٤٣٦، ٣/١٠٣٥ رقم ٢٦٥٧، مسلم ٥/ ٤٣٠ رقم ٢٩١٦ عن أم سلمة، والمستدرك ٣/٣٨٦، الترمذي ٥/٦٢٧، رقم ٣٨٧، الطبراني في الكبير ٤/٥٨ برقم ٣٧٢٢، مجمع الزوآئد ٧/٢٤١، ٢٤٢، طبقات ابن سعد ٣/٢٥٢.

﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، لا يقال: إن مبايعته لا تلزمهم؛ فإن المهاجرين والأنصار هم القوم كل القوم، وبيعة الحاضر تُفْرَض على الغآئب شرعا ولعله إجماع.

وأما قولهم: لا نخوض فيما جرى بين الصحابة فبدعة ابتدعوها يرفضها وجوب موالاة أولياء الله ومعاداة أعدآئه وليست من الدين في شيء، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩]، فما خالف القرآن فهو خداع ووسوسة من الشيطان أضلَّ بها كثيرًا موهمًا لهم أنها غير مخالفة للكتاب والسنة فصدقوه.

فاحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك عن غلط أو مغالطة تجاه النصوص القرآنية مثل: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وهن في قمة الفضل بالصحبة وزيادة عليها لا يجحد فضلها إلا مكابر. ولو كان الأمر كما سول لهم الشيطان لقال نحو: مَنْ يأت منكن بفاحشة فلتصنع ما تشاء، أو فلا تخف فقد غفر لها ما تقدم من ذنبها وما تأخر.

كما أنها مغالطة تجاه مثل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ومثل قوله سبحانه: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ

بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] ومثل الحديث القدسي:(من عادى لِي وليًّا فقد آذنته بالحرب)[١] فتلك عمومات غير مخصصة، وتآويلهم لها متعسفة فاسدة. وإذا أُفْحِمَ أحدهم ومنعته الأنفة والبغضاء عن التسليم بالحق لاذ بالشتيمة، وربما يقول أحلَمُهم: الخوض يثير الفرقة بين المسلمين وتَرْكُهُ يجمعهم، وهذا صحيح: ظاهره رحمة وباطنه عذاب؛ لأنهم الخواضون باستمرار جيلا فوق جيل وجيلا بعد جيل بمواصلة سَبِّنا واتهامنا بالشرك والغلو والبدع الضآلة والشِّرَّة والضلال والكذب، يسبوننا في المؤلفات القديمة والحديثة والمجلات والجرآئد والرسآئل والفتاوى المرئية والمسموعة والمقروءة، وحتى مجلة الإرشاد بصنعاء فقد كان سبنا من براعة استهلالها وفي عقر دار الزيدية. ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

وكان الجدير بأهل القبلة أن يقوموا بحملات بين طوآئفهم تزيل التواحش وتستوجب الصفاء والقضاء على الشحناء وتشيع بينهم إحسان الظنون ببعضهم بعضا ويلتمس كل للآخرين المبررات مهما وجد سبيلا ليكونوا على الخير أعوانا، وليتمكنوا من الوقوف في وجه عدو الجميع من الكافرين، ولكن ويالِلأسف الشديد كانوا باشتغال بعضِهم ببعض أجنادا لتحقيق أهداف

(١) سبق تخريجه.

الكافرين، ضدَّ أنفسهم وضد الإسلام.

رأيت وأنا في أثنآء كتابة هذه المقدمة في المنام، رأيت إبليسَ في صورة إنسان يكلم إنسانًا مُصْغيًا لحديثه، فكان إبليس يكلمه وعيناه مشغولتان بي والرجلُ مُوْلِيْنِي ظَهْرَهُ تقريبًا، وإذا في يدي شِبْهُ سيفٍ طُولُه نحو أربعة أمتار، أعلاه من جهة الذبابة نحو شبر كسآئر السيوف شكلا وقدرا، وباقيه نحو أسنان الشَّريم، فرفعته وضربت به رأس إبليس وأغمدت بعضه في جانب رأسه، فحاول أن يُهَدِّأَنِي وهو مشغول بمواصلة كلامه للمقبل عليه، فضربته ثانية في رأسه كالأولى، ثم ثالثة ورفعت السيف لأضربه الرابعة معرضا عن محاولته تهدأتي؛ حتى أسمع ما يقول، فلما أيس وثب من مكانه وتحوَّلَتْ صورته إلى جسم شفاف ووقف أمام عيني ووجهي يحاول التأثير عليَّ بوسوسته، وأخذت في محاولة لضربه فاستيقظت. اللهم اجعل تعبيره خيرًا.

أيها القارئ الكريم طالِعْ كتب الزيدية فإنك لن تجد بها شِرْكًا، ولن تجدنا مبتدعين في الدين ما ليس منه، ولن تجدنا نعتقد في القبور، ولن تجدنا نُقِرُّ أحدًا على ذلك. وفي المثل العامي: (إذا كان الـمِتْكَلِّمْ مَجْنُوْنْ فَالـمِسْتَمِعْ بِعَقْلِهْ)، وفي المثل العامي أيضا: (ما عَمَّالِهْ تحبْ عَمَّالِهْ)، وفي الحكمة:

وعينُ الرضى عن كل عيب كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخط تُبدي المساويا

ولا أدل على إنصاف الزيدية من أنهم يقبلون أحاديث خصومهم ويعملون بها حتى ما يروونه عن أشد أعداء علي كرم الله وجهه الذين اتخذوا سَبَّهُ بالإلحاد

ولَعْنَه سُنَّة، كعَمْرٍو، والمغيرة، وبُسْر بن أرطأة الذي ذبح طفلين فوق المصحف الكريم[١] أمام أمهما، وقتل الآلاف من اليمنيين، بل إن الزيدية يرجحون رواية البخاري ومسلم على غيرهما كما تجده بالنص في باب الترجيح من أصول الفقه[٢].

ولا أدل على تعصب خصومهم عليهم، وغلوهم في العدواة والبغضاء، وعلى عدم المبالاة بتقوى الله فيهم: مِنْ رَفْضِهِمْ لأحاديث الزيدية وكتبهم مطلقا، والطعن في عدالتهم بالكذب ونحوه، فإن قبلوا شيعيا فهو نادر جدا، وفيما سمع عنه قبل ظهور ولآئه للإمام وإلا رفضوه، بالرغم من أن معاوية كان يوعز إلى من يسأل عليا فيما انْبَهَمَ عليه.

فأين هذا العمل من قول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وحَسْبُ

(١)والدم موجود فوقه إلى الآن وهو الآن بمكتبة الوقف وقد أفاد المؤلف حفظه الله أنه كان يدرس فيه.

(٢)قال في كافل لقمان" ويرجح المشهور ومرسل التابعي ومثل البخاري ومسلم على غيرهما"الكاشف باب الترجيح/ص٥٠٤ مطبوع بمركز بدر. عند الفقهاء .

المؤمن من التهديد أن يذكر الله بأنه خبير بما يعمل، عليم بما يسر ويعلن.

وإذا نظرت فيما كتبه العلماء الأفذاذ مثل محمد أبو زَهْرةَ، ومثل الدكتور صبحي عن الزيدية، وفيما كتبه عن آرآئهم ومعتقداهم التي أجملها مثل الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد الشعراوي، والدكتور عمارة، والدكتور طه حسين، وغيرهم، فإنك ستميز بين الأجرب والسليم، وعند ذلك تعرف أن الطاعنين في الزيدية: إما جاهل مغرور، أو عميل مأجور، وما أكثر هؤلاء في كل مكان وزمان لاسيما إذا مَازَجَهُم الحسد، والحقد على من أكرمهم الله، وأفاض عليهم نعمه: من الشرف والوفاء والسخاء والفضل كما جاء: ((كل ذي نعمة محسود)).

وكما استطابوا الكذب على الزيدية استطاب المزيد منه آخرون كما زعموا أن ذرية النبي ﷺ انقطعت، وكما زعموا أن آل سعود الأمجاد ليسوا عربًا، وما ذاك إلا حسدٌ على ما آتاهم الله من فضله؛ ولأهم جعلوا المملكة مضاهية لأمريكا في العمران، ولأن أياديهم البيضاء طوقت الكثير من الدول والأفراد، ومن حقهم أَن يُشْكَرُوا لا أَن يُكْفَرُوا؛ فالكذب إذن سلاح الحاسدين الأنذال، ووسيلة الحاقدين الجهال، فآل سعود، وآل محمد في غرة الأمة الشادخة رغم أنوفهم. وليست الزيدية كما يصورونهم للقارئ، ولكنهم قوم صالحون.

لئن أنت ناصبتَ بدر الدجى ونازعت شمس الضحى أَوْجَها[١]
لما كنتَ أفضل في حالة من القط[٢] يوما ولا أَوْجَهَا[٣]

لقد استغل الكفارُ هؤلاءِ الخوارجَ السذجَ الذين جنوا على الإسلام أكبر جناية، كما استغل الكفار للقضاء على الإسلام طرقا شتى منها إغراء الشباب بالخمر والجنس، ومما جندوا لذلك فتيات من داخل كل بلد وخارجه من مختلف الأديان، واستخدموهن للعَهَر في كل مكان إسلامي نزلوه باسم قنصلية، أو تجارة، أو سياحة، أو مفوضية؛ فسرى وباء الفاحشتين سريان النار في الهشيم، وهذه أخطر الطرق؛ إذ التجاوب معها، والميل لما تنزع إليه الغريزة أسرع من السيل في منحدره.

ومنها إذكاء نار الخلافات المذهبية وغيرها، وممن استخدموه في هذا السبيل متخرجو دراسات عليا من بلدانهم في مسآئل الخلافات، بَثُّوهُمْ بين المسلمين باسم أنهم مسلمون فنجحوا كثيرا، ثم أضافوا إليهم تدريس هذه الشبهات في الكليات التي أنشأوها فيما بعد في بلدان الإسلام، وصاروا يلقونها في الأفكار الخالية القابلة بسهولة لكل ما يلقى فيها.

---

(١) علوها.
(٢) من الكلب : أصله من الكلب إلا أن المؤلف لطفه كما طبعه.
(٣) من الوجه.

ومنها جهود المبشرين بين العوام، وجهود الملحدين، ثم استخدموا هاتين الطآئفتين للذين وقعوا في شباكهم وهم كثرة كاثرة.

ومنها العمل على استيلاءِ مَنْ أفسدوهم على السلطة، وتثبيتهم في المراكز القيادية والحساسة: في الحكومات والأحزاب التي تخدم هدفهم من حيث يدرون ولا يدرون.

ومنها استخدام أهل الغَيْرة والحمية على الإسلام وإقناعهم بأن واجبهم الخروج والنضال والقتال للولاة الظالمين وأنصارهم الفاسقين وعلى المجتمع الإسلامي الذي أضاع الإسلام بتعاطفه معهم، وهذا في حالٍ مّا حقٌ يتوصل به إلى سحق الإسلام وأهله.

وهدفُ الكفار من هذا: إيجادُ التناحر بين المسلمين، وضرب بعضهم ببعض، وتمزيقهم بهذا كل ممزق مع كامل اطمئنانهم إلى أن الذين سيخرجون على أهل الجور لن يكتب لهم النجاح بإعادة الأمر إلى نصابه، والإسلام إلى سابق مجده، فقد رصدوا له كل مرصد، وأقاموا تجاههم من الموانع والحوآئل التي: منها تجنيد الشباب الفاسد المتجاوب مع شهواته، والعمالة مع الكفار ومع هواه، واستساغته للحياة الماجنة، ونفوره مما يحول بينه وبين ذلك، هذا إلى جانب اطمئنان الكفار بأن الأمة الإسلامية ستكون حينئذ قد تمزقت قواها بالخلافات المذهبية والعنصرية شر ممزق.

ومنها محاربة التقاليد والعادات والأعراف الإسلامية القآئمة على العقيدة

والأخلاق المحمودة، وزرع ما يضادها من الأوضاع القآئمة على سوء السلوك والعقيدة والأخلاق الذميمة التي لم يلبث الناس أن صاروا عليها فأصبح المعروف بينهم منكرا والمنكر معروفا.

ومنها العمل على اختلاط الجنسين، وماذا ينتظر من اختلاطهما يا أيها المتغابون.

وباستخدام هذه وتلك يكون الإسلام قد كبل بالحديد: من التفريق والتشكيك والتلحيد، ويكون قد لفظ آخر أنفاسه، ولم يبق إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه. اللهم إلا من العوام البُلْهِ، ومن القلة القليلة العارفين الذين لا يلتفت إلى نصحهم، ولا سماع لكلمتهم في خضم زاخر بالمغريات والجهل بالله ودينه، وبغطرسة أهل النفوذ والسيطرة الواقعين في أسار سكرة الشباب والسلطة حينًا، والفراغ والجِدَة وخداع الكفار أحيانًا.

ومن تتبع ما كتبه غير واحد من الغربيين في مذكرات وغيرها عن الجهود والخطط التي رسموها للقضاء على الإسلام فإنه لا يشك في شيء مما ذكرت لك.

الدآء الدوي:

دآؤنا الدوي هو التفرق والتمزق والتوجيه السيء من وسآئل الإعلام والتعليم المقروءة والمنظورة وغيرها، والتربية الفاسدة لأبناء الأمة من أول السُّلَّمِ إلى نهايته، والعهدة في تعليم كثير منهم إلى مدارس وجامعات المبطلين.

الدواء النافع:

هو تعاون القادة والمسؤلين مع العلماء المخلصين من كل فرقة إسلامية على القيام بحملة صادقة مخلصة متواصلة يقوم بها علمآء كل فرقة في أتباعهم بشرح الداء المعضل، والدواء الشافي: من تحريم زرع الشحنآء والبغضآء وسوء ظن بعض المسلمين ببعض، وتحريم الجدل العقيم، لاسيما بين الجاهلين، وماعدا النقاش المخلص لطلب الحق بين العلمآء، على أن لا يحضره جاهل ولا متعالم. وذلك النقاش عندما يحب أحدهم التثبت لدينه فقط. وتعاون أجهزة الإعلام والتعليم جميعها على تحقيق هذا.

ولا سبيل إلى إنهاض المسلمين من كبوتهم وإقالتهم من عثرتهم غير هذا، لا سبيل إلا بالدعوة الجماعية ترتفع أصواتها من كل دولة إسلامية، وبين أفراد كل أمة إسلامية بإخلاص، لا مجرد شعار وستار خداع فقط. يقولون كما مضى بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، دعوة إلى التحاب والتواد والتعاون والتناصر والتعاضد والتآلف، وتحذير جاد من التعادي والتباغض والتخاذل والتظالم والتناحر، ومن تعميق هذه الموبقات في نفوس العامة والخاصة.

كما يجب مع هذا أن يبينوا للناس أن كل مجتهد في الظنيات مصيب، وأنه يكفي العامي في عقيدته الإيمان الإجمالي لقصوره عما فوق ذلك، وأن الذين يشحنون قلوب العامة والتلاميذ بمعاداة مخالفيهم إنما يقومون بما يسخط الله ويغضبه، ويهدمون الإسلام باسم الإسلام أكثر مما يهدمه عملآؤ الكافرين.

وأنه يجب المبادرة إلى وضع حد لهوان المسلمين وضعفهم وذلهم بالعمل بما أمرهم الله ورسوله [وآله، وبالتوبة الصادقة عما نهاهم الله عنه ورسوله،هذا هو البلسم الشافي الملخص في حديث شريف: (لاَ يصْلُحُ أَمْرُ آخرِ هذه الأمة إلا بما صَلَح به أولها).

هل عَزَّ المسلمون بترك التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، أم ذلوا بعد عزة وصاروا كغثاء السيل؟

هل عَزَّ المسلمون بتمردهم على ما صَلَح به أمر أوليهم؟

هل عَزُّوا بانتشار الخمور والعَهَر والفجور؟

هل عَزُّوا بترك الصلوات الخمس وفطر رمضان؟

هل عَزُّوا بالنظام الرأسمالي أو بالنظام الاشتراكي؟

هل عَزُّوا بتقليد الكفار في أخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم وملابسهم وفسادهم؟، أم ذلوا بعد عِزَّة؟ فكانوا بين الأمم أهون من الجُعَل!!!

هل عَزُّوا باختلاط الجنسين؟ حتى إذا ما ابتهلت فاتنة، وغار شبابها، وشاب غُرَابُهَا، وتجعد إهابها، وخمدت جذوة التهابها – انصرفت عنها القلوب، وازورت العيون إلى ناشئات الحسان؛ فعند ذلك ربما عَرَفَتِ الصواب، وفضيلةَ الحجاب، ولات حين مناص.

وربما حملها القِمْرُ[1] والأنفة على التجلد؛ وفي الحلق شجى، وفي العين قذى، وربما جادت بوصل حيث لا ينفع الوصل؟

هل عَزَّ المسملون بتذليل الصعاب بين الجنسين؟! كلا كلا.

وليت شعري كيف خفي على الذكيات منهن أن تجاوب المرأة مع المشجعين لها على البروز إنما هو تعاون معهم على ما يمليه الهوى عند الجنسين، ويجافي مصلحتها، فإن مكانة المرأة في نفس الرجل بحسب صَوْنِها لأنوثتها، وترفعها عن مواقف التهم. أما من ابتذلت كرامتها فلن تعدو في النفس مكانة حذاء يختال بها جديدةً، فإذا بليت قذفها في الزبالة. إن مكانتها العزيزة في أنفس الفحول في تَرَفُّعِ أنوثتها، فهو عندهم الكل في الكل، لا في ابتذالها.

هل نفع المسلمين أو ينفعهم مثلا اللهو واللعب؟، أو أن اللاعب الفلاني فاز بجآئزة كذا، أو النادي الفلاني فاز على نادي كذا بهدف أو هدفين؟ هذا ضلال مبين.

هل حَمَى هذا وذاك وذلك أعراضنا أن تُنْتَهَكَ حُرُماتُها؟ هل حمانا ذاك وذا من أن تَسْفِكَ الكَفَرَةُ دماءَنا ودماءَ أطفالنا ودماء نسآئنا بعد العبث بأعراضهن بمرأى ومسمع من العالم بأسْرِه؟ وهذا لا يحصى.

---

(١) لغة محلية أي العِناد.

يوما بِحَزْوَى ويومًا بالعَقِيْقِ ويَوْ مًـا بالعُـذَيْبِ ويومـا بالخُلَيْصَـآء

ويوما بل أياما بصبرا و شَتِلا وما لا يحصى و لم ينقطع في مختلف الأزمان والبلدان الإسلامية من مئات السنين.

إن كل هذه السفاسف التي تابعنا فيها الكافرين، أو تتلمذنا فيها للمتعالمين ما زادتنا إلا ضعة وخبالا وهوانا ونكالا مهما طَبَّلَ المطبلون، وزمر لها المزمرون.

ولو أن المسلمين أخذوا الكفر بحذافيره لكانت دنياهم أحسن مما هم فيه، لكنهم اقتصروا على أخذ الأسوأ من الأعمال والأخلاق والعقآئد الكفرية؛ وبذلك خسروا الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وكذلك سكان البسيطة لا تقيم لنا وزنًا.

ما أجهل الأحلام، وأسقم الأفهام التي تتصور أن تَقَدُّمَ الغربيين وتفوقهم نتيجة لخلاعة مجتمعاهم وتهافتهم في أوحال الرذآئل! بل إن هذا سبب لما يعانونه ويشكونه. أما سبب تفوقهم فهو جد الجادين منهم ومقصور عليهم.

ما أتفه العقول والأحلام، وأسقم المدارك والأفهام التي تربط بين تفوق الغرب وخلاعة الماجنين فيه، وتحسب هذا سر التقدم والحضارة المادية! فإن الغرب لم يكتسح الشرق ويخضع أهله بالرقص والغناء والفساد الذي يمارسه فيه

الفاسدون وبالخلاعة والمجون، ولا بكرة الطاولة ولا بأي لعبة من الألعاب التي سيطر الشغف بها على مشاعر شباب الشرق المقلد للغرب، وإنما تقدم الغربيون لأنهم اخترعوا مثلا الطيارة وطاروا، والغواصة وغاصوا، لا لأن الماجنين فيهم غنوا ورقصوا.

تقدموا لأنهم أنتجوا الأسلحة الفتاكة والدبابة والدكاكة، لا لأنهم لبسوا الكرفتة والبنطلون، ولا لأن المرأة صارت عارية أو كالعارية.

تقدموا لأنهم اكتشفوا الكهرباء و و و و إلخ.

أما الماجنون فيهم فإنما تأخرت الإنسانية بهم، وسببوا لها مشاكل يذوقون منها الأَمَرَّيْنِ.

لم يُنْصَرُوا في حروبهم بالفسق والمجون، بل بالسلاح والجِدِّ، ولم يتحضروا بما يقلدهم فيه حمقاء الشرق، بل بالعلوم الدنيوية والجد والعمل.

إنه لا أتفه من الذين يربطون بين المجون والحضارة، ولا أحمق منهم إلا الذين يصدقونهم ويعتبرون قولهم قضية مسلمة؛ إنهم حقيقةً في الفَهْم دون الأنعام، فلو عقلت البهآئم فإنها لا تربط المسببات إلا بأسبابها، ولأنفت أن يظن بها أحد أنها ترى الحضارة مسبَّبَةً عن فسق الفاسقين وخلاعات التافهين، فمن ظن أو ربط مثل هذا الربط فقد بلغ غبآؤه الغاية التي ذكرها الله بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].فهم بذلك دون الأنعام، بلا كلام، وأكبر ظني أن أكثر هؤلاء متجاهلون لا جاهلون، وإنما يقولون: ذا؛

ليبرروا إشباع شهواتهم، وإرضاء نزواتهم، وأذكرهم بعاقبة النهم والشره في قول أبي نواس:

ولقد نَهَزْتُ مع الغواة بدلوهم   وأَسَمْتُ سرح اللهو حيث أساموا

وبلغتُ ما بلغَ امرؤ بشبابه   فإذا عصارة كل ذاك أثام

قدسية الإيمان

عِلْمِي بِرَبِّي شَامِخُ الأَرْكَانِ ... بِالْعَقْلِ أَشْهَدُهُ[(١)] وَبِالْقُرْآنِ

مَا مَرَّ بِي جَهْلٌ بِرَبِّي لَحْظَةً ... وَأَحَاطَ جَهْلِي بِي جَمِيْعَ زَمَانِي

لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا؟ هَلْ أَنا أنا؟ أي أنا، الْـ ... مُتَحَيِّزُ الْمَحْكُومُ بِالْحِدْثَانِ[(٢)]

أَنَا جُزْءٌ اوْ كُلٌّ أَمَحْسوسٌ فَحَـ ... سْبُ أَمِ الْمُشَاهَدُ لَيْسَ غَيْرَ مَكَانِي

هَلْ مَا تَبَخَّرَ أَوْ تَجَدَّدَ مِنْ وُجُو ... دِي أَوْ تَبَقَّى كُلُّهُ جُثْمَانِي[(٣)]

هَلْ حَدِّيَ[(٤)] الجَمَّاعُ والْمَنَّاعُ فِي ... دُنْيَايَ حَدِّي فِي الثَّرَى أَمْ ثَانِي

أَنَا هَيْكَلِي أَمْ رُوحيَ أَمْ نفسي أم الـ ... إِدْرَاك أم مجموعُهَا إنساني

إِنْ قُلْتُ مَجْمُوعِي أَقُلْ ... أَفَمِيَّ ذَا فِي لَحْدِه سَيُجِيْبُ بالإِيْمَان[(٥)]

أَلِكُلِّهَا حَشْرٌ وَلِلْكُلِّ الْجَزَا ... رَبِّ اهْدِ لِلْحَقِّ الْمُبِين جَنَانِي

هَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ اعْتِبَارِي جُثَّتِي ... كَمَشِيْمَةٍ أَمْ ذَا مِنَ الْهَذَيَانِ

---

(١) لا يخفى مواترة " أشهده" على " أعلمه". لقد مرت بي في حياتي لحظات قصيرة يتجلى فيها يقيني بالله سبحانه، وهو أقوى من يقيني بسآئر المحسوسات، ومن يقيني بنفسي، ولهذا عبرت بأشهدُه؛ لأنها أدل على اليقين دآئم الثبوت أيضًا من كلمة أعلمه.

(٢) بكسر الحاء، نوآئب الدهر.

(٣) في القلآئد للمهدي: ودامغ الأوهام.

(٤) حد كل شيء: الجامع لأفراده المانع من دخول غيره فيه.

(٥) إذا سئلت في قبري : من ربي؟ فهل سأجيب بفمي كما أتكلم به في الحياة؟

وَتَفَكُّرِي فِي الرُّوحِ أَوْ فِي النَّفْسِ لا   يُفْضِي إِلَى شَيْءٍ سِوَى الْمَيَلاَنِ
فَالرُّوحُ مَا هِيَ وَالحَيَاةُ أَهِيْ أَنَا   يَا لَلْغُمُوضِ وَيَا لَعَجْزِ بَيَانِي
أَخزَآئنُ الْمَعْلُومِ جِسْمِي أَمْ سِوَا   هُ وَأَيْنَ تُصْبِحُ بَعْدَ مَوْتِ عِيَانِي
مَا حَجْمُ ذَا أَمْ أَيْنَ ذَا أَمْ كَيْفَ ذَا   أَعْظِمْ بِجَهْلِي مَا حَوَتْ أَرْدَانِي
مَا كُنْهُ ذَا مَا كُنُّهُ مَا كَمُّهُ   مَا كَيْفُهُ هَذَا الْغُمُوضُ كِيَانِي
عَجَبًا أَأَجْهَلُ مَا أَنَا وأنا الَّذِي   بِاللهِ بِالرَّحْمَنِ ذُو الْعِرْفَانِ
أَللهُ أَشْهَدُهُ وَأَشْهَدُ غَيْرَهُ   غَيْرِي وغير حقيقة الحيوان[1]
حَجَبَ الإِلَهُ حَقِيْقَتِي عَنِّي وَعَنْ   كُلِّ الْبَرَايَا إِنْسِهَا والْجَانِ
جَهِلَتْ جَمِيْعُ الْكَآئنَاتِ حَقِيْقَتِي   لاَ عِلْمَ إِلاَّ لِلْعَلِيْمِ البَانِي
مَا كَانَ أَوْ سَيَكُونُ ذُو عِلْمٍ بِهَا   الْعِلْمُ مَقْصُوْرٌ عَلَى الدَّيَّانِ
إِنْ شَآءَ أَطْلَعَ مَنْ يَشَا أَوْ لَمْ يَشَأْ   فَهُو الْمُحَالُ مُجَاوِزُ الإِمْكَانِ
لَمْ يُغْنِ مَا قَالُوهُ فِي الْغَايَاتِ شَيْـ   ـئًا غَيْرَ قَولِ الْبَعْضِ جِسْمٌ فَانِي
فَهْوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْـ   آيَاتِ فِي التَّنْزِيْلِ والتِّبْيَانِ

---

(١) العيان: الجسم ، وقد تساءلتُ في البيت: أين معارفنا مخزونة الآن؟ فإن كان المحسوس منا هو خزانها، فأين تغدو إذا صار المحسوس منا رميمًا؟ ولو محا الله معارفنا من أذهاننا لكان كل شيء بالنسبة لنا عدمًا محضًا لا وجود له: لا ذهني، ولا خارجي، ولا كلامي، بل ستنعدم الثلاثة الوحودات. ومن تأمل في رجع طرفه وقلبه خاسئًا وهو حسير، فسبحان العليم القدير. أما بعد البعث فإنها ستعود على صورة لا يتطرق إليها النسيان، فسبحان الله العظيم وبحمده!

وَالظَّنُّ مَدْلُولُ الظَّوَاهِرِ لا سِوَى ... والْمَطْلَبُ الْقَطْعِيُّ كَالْوِجْدَانِ[1]

فِرْعَوْنُ يُعْرَضُ في الدوام على لَظَىً[2] ... أرَمِيْمُـهُ أَمْ رُوحُـهُ أَمْ ذَانِ

وَأَخُو النَّمِيْمَةِ فِي الْعَذَابِ وَهَلْ فَمِي ... هَذَا الْمُجِيْبُ: اللهُ يَا مَلَكَانِ[3]

مَجْـدٌ لِعِـزَّةِ رَبِّنَـا سُـبْحَانَهُ ... عِلْـمُ الْغُيُـوبِ وَعِلْـمُ هَـذَا الشَّـانِ

ثم ثنيت عنان النظر والتفكير نحو الأهم، فقلت:

مَـا لِـي ومَـاهِيَتِي أَنَـا الْعَمَـلُ الـذي ... آتِـي بِـهِ فِي الْحَشْـرِ لِلْمِيْـزَانِ

أَنَا مَنْ تُوُعِّـدَ إِنْ عَصَـى بِلَظَـى ... رَبِّـي بَـرَاهُ لِـدَآئِمِ الإِحْسَـانِ

---

(١) لا يخفى مؤاثرة، أشهده على أعلمه، وهو تنزيل العلم الاستدلالي منزلة المعلوم بالبصر. وهو أحد اليقينات الست، أي كالعلم الوجداني .

(٢)إشارة إلى آية ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ ﴾ [غافر: ٤٦].

(٣) إشارة إلى حديث أنه مر بقبرين يعذبان ، وحديث منكر ونكير ، وكان لسؤالهما من ربك؟

حياة البرزخ

لـــوتُ طَفَّـــلَ[(١)] والحيـــاةُ بـــبرزخٍ تُطوى على ما ليس في الحسبانِ

مهمـــا يَكـــنْ فـــالمرء حسَّـــاسٌ أضحى رهينَ اللحدِ والأكفانِ

وتســـآؤلي هـــل يعلمـــون بحالنـــا[(٢)] وتعـــاورُ الأفـــراح والأحـــزان

أيرونـنـــا لكنــــهم لا يملكــــو نَ القولَ أمْ في عالم النسيان[(٣)]

أَيَسُـــرُّهُم مـــا سَـــرَّنا ويَسُـــؤُهم ما سَاء إنْ صَحَّ الحديثُ شفاني[(٤)]

لكننـــا لظـــلام أنفســـنا تـــوا رَوْا عن مداركنا تواري الجان

منَّـــا عَـــشٍ عَـــنْهُمْ وآخَـــرُ مُبْصِـــرٌ بتُقَـــاهُ والجمهـــورُ كالعُمْيَـــانِ

منـــــهم نيَـــــامٌ كـــــالعروس لِلَظَّـــى ونَظَّـــارٌ لـــروض جنـــاني

أمَّا الشهيدُ فلا تَسَلْ عَنْ حالِ مَنْ ثَبَتَـــتْ لـــهُ عِنْدِيَّـــةُ الـــرَّحْمَن[(٥)]

---

(١) أقبل.

(٢) ليس من الإضمار قبل الذكر ، فالمرء في البيت السابق مرجعه ، وهو جنس عموم .

(٣) أم نحن في عالم المنسيين عندهم .

(٤) في الموضوع أحاديث جمة ، تبدو كالمتعارضة ، ومع ذلك هي ظنية فقط مهما صحت .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]..

الحشر والبعث

وعلمتُ أني سوف أُنْشَرُ ثانيًا	عِلْـمَ الـيقين ومنتـهى الإيقـان
جسمي وما يحويه أَشهدُ أنَّ لي	حشرًا بنص[1] العقل والقرآن
جسـدي ومـا فيـه لأَشْـهَدُ أنـه	سـيعيده مَـنْ زَانَنـي بِبَنَـاني
من مَدَّني بالسمع والإبْصَار مَنْ	بالعقـل كـرَّمني ونُطْـقِ لسـاني
من صاغ مِنْ عَدَمٍ وجودي قادرٌ	أَن يجمـعَ الأنقـاضَ للبنيـان
مَنْ صَاغَ من عَدَمٍ كياني أَوَّلاً	أَهْـونْ بشـأنِ إعـادة الجثمـان
مـا خَلْقُنَـا إلاَّ كـنفسٍ كُلُنَـا	فـإذا أرادَ أعادنـا [2] بثـواني

(١) استعارة تبعية.

(٢) الدقيقة ستون ثانية ، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

الإرادة الإلهية[١]

بــل لا ثــواني فــالمراد هــو الإرا ... دةُ إنْ هُــدِيْتُ لمــا إليــه هَــدَاني
فــالله فــردٌ لا يَحِــلُّ ولا يُحَــ ... ــلُّ ولا يُجَــزَّأ ذيْ شُــؤُنُ الفــاني
كــم آيــةٍ فينــا تَشَــامَخَ فَهْمُهَــا ... عــن فَهْــمِ بُقْــرَاطٍ وعــن لقمــان
ما أَتقنَ الملكوتَ جلَّ حكيمُهُ الـ ... ــصمدُ البــديعُ مُفَــنِّنُ الأَفْنَــانِ
جَلَّ الذي مِنْ مَحْضِ عُدْمٍ جاءَ بي ... وبقــدرةٍ صِــفَةَ الوجــودِ كســاني
وكما يشا ومتى يشا الخلاقُ مَنْ ... مــنْ ســابق العُــدْمِ القــديم بَــرَاني
سيعيد تركيبي كما قد كان للـ ... أَحــرى[٢] بــه وشــهادةِ الإمكــان
دع عنك زَعْمَ تقادُم الذرات أو ... قــدَمَ الثبــوت فــذا مــن الهــذيان
من لوثة الهذيان زَعْمُ تقادمِ الـ ... ـذَرات لا التركيبِ[٣] ذي الحِدْثَانِ[٤]

---

(١) الإرادة الإلهية استطراد في بيتين، ثم عاد الكلام في الحشر، فالعنوان خاص بالبيت الذي يليه فقط لأهميتها.

(٢) الإعادة أولى، والأولى هو الأرجح ، والاستقراء قضى أن الله لا يفعل مرجوحا ويدع الراجح، والثاني شهادة إمكانه ويسره على الله وكلاهما يوصل إلى اليقين.

(٣) لا خلاف في حدوث التركيب ، أما أجزاء المركبات فالدهرية زعموا قدمها وتسليمهم بحدوث التركيب مناقض للزعم تماما ، أما قدم الثبوت فبعض المسلمين قال به ليصح تعلق العلم بالمعلوم وفرارا من نفي العلم الأزلي ، وكلاهما لا يلزم البتة عند التأمل انتهى.

(٤) بكسر الحاء ، مصدر كالحدث.

هذا التناقضُ[(١)] لا سبيلَ لدفعه ... أبدا لدى الدَّرَّاكة الفَهْمَان[(٢)]

لم يَعْدُ ذاك وذا العنادَ أو القصو ... رَ أو الإبَا رَغْمًا لكل بيان[(٣)]

ومِنَ المقَرَّر في العقولِ وفي الأصو ... لِ حدوثُ غيرِ الخالقِ الديَّان

فهو الذي[(٤)] وجب الوجود لذاته ... أَزَلاً وعزَّ وجَلَّ عن إمكان[(٥)]

ودليلنا[(٦)] العقليُّ أَحْجَمَ كُلَّ كفَّـ ... ـارٍ دليلُ الكونِ والأكوان

لولا قضى بمعادنا ما كان تكليـ ... ـفٌ ولا كنا ولا الكونان

ما للممات بُرِيْتُ كَلاَّ. لا ولا ... لقصير عيش شَابَهُ الضِّدَّان

أَللهُ مِن عَدَمٍ بَرَانَا ثم في الْـ ... ـأَطْوَارِ سَيَّرَنا الحكيمُ الباني

ما آدَ رَبِّي بَدْؤُنا ومعادُنا ... لكمالنا التطويرُ لا النقصان

ما شَذَّ شَيءٌ مَّا عن الإِحْكَامِ في ... ملكوتك اللهم والإتقان

---

(١) أن الثبوت غير الوجود.

(٢) سيأتي توضيحه. وهذا البيت يشير إلى أن الثبوت غير الوجود.

(٣) يشير إلى الخلاف مع الدهرية.

(٤) تعريف الطرفين إحدى طرق القصر المشهورة.

(٥) الله من الممكنات ؛ لأنه واجب الوجود ، لا يخرج عن ذاته ، أما المخلوقات فهي ممكنة جآئزة الوجود.

(٦) هو المسمى دليل الدعاوى ، صاغه أبو الهذيل رحمه الله ، وهو أقوى حجة تفحم الملحدين ، حيث إنهم لا يحجون بالمنزل إلا بعد حجهم بالعقل .

مــــا ذَرَّةً كَوَّنْتَهَــــا عَبَثًــــا ولا ... لعبًــا ولا لهــوًا خُــذُوا برهــاني[1]

ومِنَ المُحَالِ وُجُودُ مخلوقٍ خَلاَ ... عَنْ حِكْمَةٍ بَهَرَتْ وعُظْمِ الشان

الجِد والإِحْكَامُ والإِحْسَانُ من ... طَبْــعِ الوجــودِ وطــابَعِ الأكــوان

وخُلُودُنــا في فضِــله ونعيمِــه ... أولى ببرهـــانين[1] لا برهـــان

ودوامُــه[1] الأَوْلَـى فَمَـنٌّ غَيْـرُ مـمـ ... ــنون مَفَــادُ الوصــفِ بالمَنَّــانِ

ومَفَــادُ آيــاتِ الخلــودِ وإنمــا ... بيَّنْــتُ حكــمَ العقــلِ للحــيران

ومُــدَلِّلاً أَنَّ المعــادَ ضَــرورةٌ ... لرُجُوحِــه وزيــادةَ اطْمِئْنَــانِ

وحياتُنــا فيهــا التَّظــالُمُ فالمعــا ... دُ ضــرورةٌ للعــدلِ والإحســان

وفنآؤنــا بالفعــلِ قَبْــلَ خلودنــا ... أولى من الإبقاءِ في الإمكان[4]

فوُجودُنــا وفنآؤنــا ومعادُنــا ... فخلودُنــا في غايــةِ الإتقــان

وأصــولُنا حكمــت بــأن فعَالَــهُ ... لــن تَعْــدُوَ الموصــوفَ بالرُّجْحَــان

تلــك الأدلــةُ آيــةٌ أو حِكْمَــةٌ ... يمنيــةُ الإيمــانِ وهــو يمــاني

---

(١) النظر في هذا الدليل وحده فيه الكفاية لمريد الهداية ، وفي كل شيء له دليل .

(٢) هما وعد الله به، ومنه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [سورة ص: ٥٤]. والثاني أرجحيته على انقطاعه، والله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا الأرجح. القرآن قال:﴿خالدين﴾، والواقع أننا خالدون في الآخرة.

(٣) أي الإحسان.

(٤) القدرة بالفعل وظهور المقدور أولى من بقآئه في الكمون ، ولو خلقنا وخلدنا بدون إفناء قبله ، لظلت القدرة على الإفناء كامنة .

فإلى الخلود وأرتجي من فضل ربـ ـــي أن ينجـــيَني مـــن الـــنيران
ومن العذاب ببَرْزَخي والخوف عنـ ـد النَّفْخِ في صُوري وفي ميزاني[1]
يا من ذَخَرْتَ أَجَلَّ رحمتِك التي وأجـــلَّ غفـــرانٍ ليـــومِ الثـــاني
خـــلاَّقَ رحمـــةِ كُـــلِّ أُمٍّ أَوْ أَبٍ في الـــوحش والحيتـــان والثعبـــان
في الصقر يغدو ساغبا من وَكْرِه بعزيمـــةِ التمـــوين للفرخـــان
رُحْمَاكَ بي يا خالقي رحماك بي يـــا رازقـــي رحمـــاك يـــا دَيَّـــاني
عملـــي يجـــرِّعني المخافـــةَ والأسَـــا أملـــي بعفـــوك لا ســـواه أمـــاني
طـــوبى لمـــن فـــازوا بحســـن خـــواتمٍ ويـــلٌ لمـــن ولَّـــى صـــريعَ أمـــان[2]
ويـــل لمـــن فتنتـــهم الـــدنيا بزخـــ ـــرُفِهَا وغـــرهم القليـــلُ الفـــاني
هل عَنْهُ أَغْنَتْ أَلْفُ عامٍ قد مضت ألـــفٌ مضـــى أو لحظـــةٌ[3] ســـيَّان
إِيَّـــايَ بَـــلْ إِيَّـــاكَ بـــل إيـــاي[4] قـــد حذرتُـــــه فليحـــــذر الإثنـــــان

---

(١) جمع صورة كدور، ومرادي صورتي، أي في أجزآئها، ومن ميزاني عطف على النيران، أي عاقبته من مجاز الحذف.

(٢) جمع أمنية أو من باب ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ، وتنوين (خواتم) للسلاسة ، مثل ﴿سلاسلا﴾ في سورة الدهر .

(٣) أي : مضت ، أو أي لحظة مضت .

(٤) كررت ضميري لأني أحوج إلى الموعظة .

وصية ونصيحة

أُوصيك بالإخلاص عند البحث عن … حَـقٍّ وبـالتقوى عـن البـهتان

وعن اتباعِ هواك والتقليد أيـ … ـًّا كـان للقاصـين أو للـداني

وعن العِدَاءِ لما جَهِلْتَ والانخدا … عِ بِشُـهْرَةٍ لفُـلاَنِ او لِفُـلاَنِ

وانْظُرْ لِمَا قالوه لا تَنْظُرْ لِمَنْ … قـالوا وحـاذِرْ فِتْنَـةَ الفتَّـانِ

الثقلان

ياحآئرُ استَمْسِكْ بحبل الله إن … خِفْتَ الوقوعَ غَدًا بِدَارِ هَوَانِ

لا تَعْدُ عن نهج الكتاب ونهج آ … لِ محمـد إنَّ الهـدى الـثَّقَلاَنِ

مَنْ مِثْلُ باقِرِهم وصادِقِهم وكا … ظِمِهِـم وكالسـجادِ والإيـراني

مَنْ مِثْلُ زَيْدٍ يا تُرى والناصرالـ … أطْـرُوشِ أو كالقاسـم الرَّبـاني

ما غارِبٌ إلا وآخَرُ طالعٌ … بالسُّـنَّة الغَـرَّا وبـالقرآن

مرضاةُ ربِّك في لزومهما وإن … شَنَّ القُلاةُ عليك حربَ عَوَانِ

إنَّ الكتـابَ وإنَّ آلَ محمـدٍ … يـا عـابرَ الـدنيا سـبيلُ أمـان

إيـاك تَقْـدُمُ أو تَـأَخَّرُ عنـهما … واعْلَـمْ بـأَنَّ هلاكَـك الطَّرَفَـانِ

انْظُـرْ بإنصـافٍ إلى أَنظـارِهم … والـنصِّ والتأويـلِ بالإمعـان

في العـدل والتوحيـد تعلـم أنهـم … أهـلُ الهـدى والعلـمِ والإيمـان

قل لا غضاضةَ في الرجوع إلى الصوا ... ب عن الخطا ومزالقِ الشيطان

هـم بـابُ حطَّـة والسـفينةُ والأمـا ... نُ وهم أَدِلَّتُنا إلى الرِّضوان

هـم حجـةُ اللهِ الـتي قُـرِنَ الكتـا ... بُ بهم بلا ريبٍ مدى الأزمان

فعليـك بـالثقلين تَـنْجُ لا تُبَـلْ ... إن أنكر الملَوَانِ والثقلان

وعلـيٌّ الكـرَّارُ والحسـنان والـ ... ـهادي[3] جُمَانُ العِقْدِ أَيُّ جُمان

وبنـو علـي هـم وشـيعتُهم تَـرَا ... جِمَةُ البلاغِ[4] وشوكةُ الميزان

تلـك السـفينةُ في خِضَـمٍّ هـآئجٍ ... فاركب معيْ إركب مع الرُّبَّاني

وحـذارِ مـن تأويـلٍ اوْ تحريـفٍ ... تزويرٍ قال آلَهُ أَيْ شاني

جعلـوا الحقـآئقَ والهـدى تبـعَ ... ويـلٌ لهـم ويـلٌ لهـم ويـلان

لأَخُـو النـبي وِدَادُه ووِلآؤه ... عَلَـمُ النجـاةِ علامـة الإيمـان

لَهُـوَ الأحـبُّ إلى النـبي وربِّـه ... مـا دار إلا دار بالفرقـان

---

(١) رضوان الله أو رضوان الجنة خازنها .

(٢) الأول غير الثاني وكلاهما معلوم . والملوان: الليل والنهار.

(٣) هو إمام الآئمة الأعاظم يحيى بن الحسين بن القاسم عليه وعليهم السلام.

(٤) البلاغ من أسماء القرآن الكريم.

(٥) الخبير بخوض البحار عبر الأمواج الهآئلة ، بضم الراء رئيس الملاحين ، بنون أو مع ياء مشددة عبدها .

فمـــن ادعـــى حـــبَّ الوصـــي	أعداءَه فهو الجهولُ الماني
ضِــدان مــا اجتمعــا وَمَــنْ زَعَــمَ	عَهمــا أَســيرُ وســاوسِ الْوَلْهَــانِ
ومــآلُ مَــنْ عــاداه قَعْــرُ جهــنمٍ	إن لم يتــب عــن زلــة الشَّــنَئَانِ
كــم حَجَّــهُ متــواترٌ وصــحيحُ آ	حــادٍ وآيــاتٌ مــن القــرآن
فــأبى قبــول الحــق ثــانيَ عِطْفِــه	أوَ َمــا يخــاف اللهَ هــذا الثــاني
ووســيلتي يــا رب حُــبُّ مُحِــبِّهِمْ	والــبغضُ للقــالين كــلَّ أوانِ
حــبي لشــيعته وبغــضُ عِــدَآئِهِمْ	زادي لنيــل العفــو والرضــوان

---

(١) هو الكاذب .

العدل والتوحيد، أو الجبرُ والتشبيهُ، والمجازُ إلى المفازِ

في الخلـق كُـن مُتَفَكِّـرًا تُبْصِـرْ ومَـنْ ... في الله فكِّــر صــار في العميــان
قَدِّسْـهُ عـن جَبْـرٍ وعـن جسْـمٍ وعـن ... فعــل القبــيح وســآئر النقصــان
دَعْ عنك رَأْيَ فُلّى وزَعْمَ فُلَى[1] أفِقْ ... فــالحقُّ مفتقــرٌ إلى الإمعــان
لا تنخـدعْ بالاشـتهار وشـبهةٍ ... صِـيْغَتْ بزَخْرَفَـةٍ وسِـحْرِ بيـان
لا تسـلُبَنَّ الـذِّكْرَ أجمـلَ حُلَّـةٍ ... ممـا بـه فَضُـلَ الجهـولَ الفـاني
صِـفْهُ بمـا وصـف الكتـابُ ومـا عـن ... وصـحيحُ أخبـارٍ مـن الحُـدْثان
وانْعَتْـهُ نَعْتَهُمَـا المطـابقَ للحقيـ ... ـقة في مقـامٍ أو مجـازِ معـاني
واحـذر تبالُـدَ أو تعَصضبٌ ضـالعٍ ... وتَنَكُّـرًا لنُهَـاك والتبيـان
صِـفْهُ بمـا وصـفاه منـه حقيقـةً ... وكنايـةً وكـذا مجـاز مبـاني
أَلْحـقُّ فيمـا قلتُـه لـك واحـدٌ ... مـن زاغ عنـه بـاءَ بالخسـران
لا يفتِنَنَّـك بالخَطابـة قآئـلٌ ... ذَا يقتضـي التَّلبـيسَ في القـرآن
ذا القـولُ تشـويهٌ خَطَـابيٌّ لتنـ ... ـفرَ عـن جَلـيِّ الحـقِ في الميـزان
فَهْمِـي سَـيَقْدُرُ قَـدْرَهُ فهَّامـةٌ ... علامـةٌ متـوفِّرُ الإمعـان

(١) أصله: فلان فحذفت النون للعلم بها ولاستقامة الوزن.

متــوَفِّرُ الإخــلاص في طلــب الهــدى ... لا يـــــنحني للكـــــبر والشـــــنآن
أمثــالُ نعمـــانِ بـــنِ قآئـــدِ بـــن را ... جـــحٍ[1] ســالذي لم يختلــف إثنــان
في فضــــله والنبــــل والتحقيــــق مــــن ... حَلْــيِ ابـــن يعقـــوبٍ إلى بَعْـــدَانِ
لا تصـــرفنك عِـــزَّةٌ بـــالإثم عـــن ... حـــق أتـــاك بنيِّـــر البرهـــان
في الحـــق عِـــزُّك والتعصـــبُ ذِلَّـــةٌ ... في الـــدين والـــدنيا وثـــوبُ هـــوان
مــاذا ســيغني عنــك مــن قلــدتَ أو ... أيَّـــدتَ أو عظَّمْـــتَ بـــالبطلان
مـــا خُلَّـــةٌ إلا تعـــود عـــداوةً ... إن لم تكـــن بـــالحق يـــوم رهـــان
والبغضُ مثلُ الحب كم أعمى وكم ... بـــاع النجـــاةَ بـــأبخس الأثمـــان
يا ويلَ مَنْ صدفوا ومَنْ صدوا عن ال ... ـــمُثْلى وسَـــلُّوا صـــارمَ العـــدوان
الجهـــلُ لـــيس بعـــاذر أحـــدًا غـــدًا ... في مثـــل ذا يـــا معشـــر الخُـــلاَّن
في مثلـــهم قـــال الـــنبي لأقتلـــنَّـ ... ـــهُمُو كقَتْـــلِ ثمـــودَ يـــا ثَقَـــلان[2]
لم يُغْـــنِهِمْ طَلَـــبٌ لِحَـــقٍّ أخطـــأو ... ه فهـــل أمِنْـــتَ مكآئـــدَ الشـــيطان
النـــار تنتظـــر اللـــدودَ ومالـــكٌ ... في الإنتظَـــار وســـآئرُ الخُـــزَّان

---

(١) كان زميل المؤلف في مجلس الشعب، كان فقيهًا علامة عرفه في ذمار؛ إذ كان رهينة لأبيه من بيت الوجيه من بعدان.

(٢) مناسبة نداء الثقلين هنا وهما الإنس والجن، أن الحكم هذا مما تعم به البلوى علما وليس مجرد تقفيل، وفي الآتي يعمهم المقول.

ونعيمُ جناتِ الخلود مهيَّأٌ … لك في قصور الحور والغلمان

والشاكرون من العباد أَقلُّهُمْ … إياك تجهلُ قِلَّةَ الشُّكران[1]

أو أن تغرك كثرةٌ مفتونةٌ … أَكْثِرْ بمفتون وكم فتَّانِ

يوم التَّبَرِّي يوم يلعنُ بعضُهم … بعضًا وتَعْظُمُ حَسْرَةُ الندمان

رضوانُ ينتظر الجميعَ بجنةٍ … مَعَ قاصراتِ الطرفِ والوِلْدَانِ

هذي النصيحةُ تحفةٌ يمنيةٌ … قُدْسِيَّةُ الإيمانِ وهو يماني

إن الصراطَ عقيبَ هَوْلِ عُمْرُه … خمسون ما الخمسون[2] يا ثقلان

لولا بأن الموتَ مات لما احتملْـ … ـتَ دقيقةً منها لدى الميزان

أو قبْلَه يا هولَ ماذا قَبْلَهُ … سيكون من جزع الأثيم الجاني

أو بَعْدَه أَعْظِمْ بأمرٍ بعده … خُلْدُ النعيم أو الحميم الآني[3]

فانظر لنفسك ما يحوطك من ردَى … تلك المواقفِ واجتهد في الآن

أنظر لنفسك وَاسْعَ في تخليصها … من كل شرٍ قبل فَوْتِ أواني

تُبْ واجتنب ما عشتَ كُلَّ مُحَرَّمٍ … تُبْ واجتهد في طاعة الرحمن

---

(١) ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

(٢) ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

(٣) شديد الحرارة والغليان.

وانْعَمْ بما فيه الهداةُ من النعيـ ـمِ الآنَ ما لنعيمهم من ثاني

قَسَمًا بربك لو تذوقُ سعادةً فيها يعيش العابد الرباني

قسما بربك إن لذةَ طاعةٍ لَتَفُوقُ لذاتِ الحُطامِ الفاني

ما المالُ ما الأبناءُ ما جَاهٌ وما مُلكٌ وكأسٌ واحتضانُ غواني

دعاء الختام

يـا صـانعَ الأكـوانِ إذْ لا جُـزْءَ لا ... جِهَـةٌ ولا زَمَـنٌ مـن الأزمـانِ
إذْ لا هَيُـولَى مطلقًـا أو صـورةٌ ... أو سـالبٌ أو موجـب وحْـدَاني[(١)]
لا طَبْـعَ فـالمطبوعُ يـأتي أوَّلاً ... فيمـا تـرى والطبـعُ يـأتي الثـاني[(٢)]
إذْ لَـيْسَ يُعقَـلُ قَـطُّ مَطْبُـوعٌ بِـلاَ ... طَبْـعٍ ولاَ طَبْـعٌ بِغَيْـرِ مَكَـانِ
فَلِـذَا اسْـتَحَالَ وجـودُ طَبْـعٍ قَبْـلَ مَـطْـ ... ـبُوعٍ وَهَـذَا الْمُنْتَهَـى لِبَيَـاني
يَا مَـنْ ذَخَـرْتَ أَجَـلَّ رَحْمَتِكَ الَّتِي[(٣)] ... وَأَجَـلَّ غُفْـرَانٍ لِيَـومي الثَّـاني[(٤)]
خَـلاَّقَ رَحْمَـةِ كُـلِّ أُمٍّ أَوْ أَبٍ ... فِـي الْـوَحْشِ والْحِيْتَـانِ والثُّعْبَـانِ
فِي الصَّـقرِ يَغْـدُو سَـاغِبًا مِـنْ وَكْـرِهِ ... بِعَزِيْمَـةِ التَّمْـوِينِ لِلْفُرْخَـانِ

---

(١) هو الواحد بمعنى المنفرد لا سواه ، لا أول مراتب العدد .

(٢) يقال للذين يسندون الخلق إلى الطبيعة :أين كانت الطبيعة قبل وجود المطبوعات عليها؟ الجواب : لا وجود لها ولا مكان، وإنما توجد بعد وجود المطبوعات عليها .

فنقول لهم : فكيف تسندون المخلوقات إليها وهي لم توجد إلا بعد وجود المطبوعات .

وإذا قلنا لهم : هل للطبيعة قدرة وعلم وإرادة ؟ قالوا :لا. فنقول : فكيف جاز إسناد المحكمات المنظمات غاية الأحكام إلى ما لا يفهم ولا يعلم ولا يريد .

فإن قالوا : بل تعلم وتريد وتقدر ، قلنا : هذا هو الله ولا يصح الإسناد إلا إليه سبحانه.

(٣) تشير إلى الآية : ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ﴾.

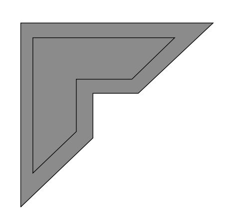
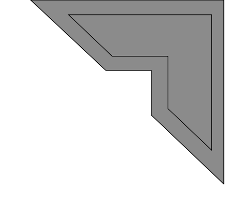
(٤) أو الدانِ.

رُحْمَاكَ بِي يَا خَالِقِي رُحْمَاكَ بِي ... يَا رَازِقِي رُحْمَاكَ يَا دَيَّانِي
غُفْرانَكَ اللَّهُمَّ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ ... وَمَنْ أُحِبُّ فَأَنتَ ذُو الغُفْرَانِ
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْ وَسَامِحْ أَنتَ ذُو الْـ ... ـفَضْلِ الْعَظِيْمِ وَأَنْتَ ذُو الإحْسَانِ
وَصَلاتُكَ اللَّهُمَّ والتَّسْلِيْمُ يَغْـ ... ـشَى الْمُصْطَفَى والآلَ كُلَّ أَوَانِ
وَمشَائخِي وأُصُولَنَا وفُرُوعَنَا ... والأصْدِقَاءَ وَسَائرَ الإخْوَانِ

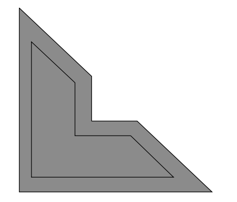
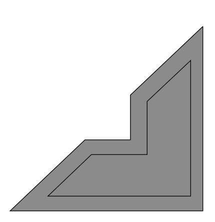
محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور ، غفر الله لهم آمين ،

ذو الحجة الحرام سنة ١٣٩٩هـ على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام

والحمد لله رب العالمين،، آمين

نظرات
حول منظومة برق يماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم على عبدك محمد سيد العالمين وآله، اللهم وأرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وثبتنا عليه حتى نلقاك، وأرنا الباطل باطلاً واصرفه عنا تفضلاً منك ومنًّا يا أرحم الراحمين، وبعد:-

فهذه نظرات ضيقة النطاق، واسعة الآفاق، تلقي شيئًا من الضياء على بعض ما اشتملت عليه المنظومة التي خطر ببالي في هذه اللحظة أن أجعل لها اسمًا يدل عليها، وأن يكون الاسم: **(برق يماني)** لتسهيل الإشارة إليها كلما لزمت كتابةً، أو نطقًا لمن لا يعرفها.

فالنظرات الآتية كمزيد من البيان ربما يحتاجه بعض القراء للمنظومة، أما البعض الآخر فلا؛ لعدم التعقيد فيها؛ ولأن المباحث قد درسها في كتب الأصول. وسأرتبها بحسب الأهمية: فالأول ما يتعلق بالله سبحانه الذي لم يخلقنا إلا لنعرفه معرفةً صحيحةً، ثم ما يتعلق بالفقراء إليه وإلى رحمته وإحسانه وتوفيقه وغفرانه.

النظرة الأولى

نظرة حول البيت:

فِي الْخَلْقِ كُنْ مُتَفَكِّرًا تُبْصِرْ ومَنْ   فِـي اللهِ فَكَّـرَ صَـارَ فِـي العُمْيَـانِ

...والذي يليه

أجمعت الأمم المسلمة المحمدية وما قبلها من المسلمين على كفر المشبهين لله بخلقه والمجسمين لذاته، الذين يصورونه ويتصورونه بصورة مَّا، وما شذ عن الإجماع أحدٌ إلا بعد انعقاده، أو بعض من ثبتوا على كفرهم، ولم يستجيبوا لأنبيآئهم، واستحكمت فيهم شبهة إبليس الذي أقسم فيما حكى الله عنه، مخاطبًا لله سبحانه بقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٧٢: ص]، وفي قوله: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [١٧:الأعراف].

لقد مهد الله صراطه المستقيم، وعبَّدَه لنا، وجعله واسعًا واضحًا مستقيمًا تسير فيه البرايا من الثقلين الإنس والجن من بدايته. وبدايتُه حيث يبتدئ التكليف إلى حيث ينتهي بأبواب الجنة الثمانية، شاقًّا لحياة البرزخ، ثم لأرض المحشر، ثم يمتد شامخًا فوق جهنم مسافة هآئلة قُدِّرَتْ بمئات السنين إلى حيث انتهى بأبواب جنات الخلود التي يتدفق منها أهلها إلى دار النعيم.

ولكي يتم الامتحان للبرايا بالتكليف كان لا بد أن يمكن الله إبليس

وجنوده من أن يُعبِّدوا مئات الطرقات المتفرعة عن صراط الله، فعبَّدوها، وزخرفوها، وزينوها للناس، وانتصب إبليس وأجناده على فتحاتها يدعون السآئرين في صراط الله إليها، وحيث إنها لا تنتهي بمن يسير فيها إلا إلى الجحيم؛ فإن الله نصب على جوانب هذه البُنَيَّات المتفرعة علامات الخطر، فلا يلتفت السآئر فيها يمينًا ولا شمالاً إلا نظر إشارة الخطر تحذره وتنذره وتدعوه إلى الرجوع من حيث أتى، لا تنقطع هذه الإشارات اللامعة إلا عند آخر خطوة يخطوها سالك هذه البُنَيَّات الخادعة بزخرفها وعاجل لذاتها، وحيث يفاجأ بترديه إلى النار وبئس القرار.

ومن ضمن هذه البنيات طريق الْجَبْرِ، وطريق التجسيم، وطريق المعاداة لأولياء الله وحزبه، وطريق الموالاة لأعداء الله وأحزاب الشيطان، وطريق التكبر والعناد، وطريق الجهالة فيما يجب على المكلف الخروج من ظلماتها إلى النور، فلم يحاول الخروج إلى غير ذلك من الطرق المردية بالغواية في المعتقد أو بالعمل.

على أن إسناد التجسيم والجبر إلى الإسلام وهو منهما بريء مِنْ أعظم الصوارف لعلماء الملل الأخرى عن الإسلام؛ لأنَّ دِرَايتَهم تَحْكُمُ باستحالته، فإذا رأوه مسندًا إلى الإسلام حكموا بديهة بأن الإسلام ليس دين الله، وإنما هو مفترى عليه، واعتقدوا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزل عليه.

وإذا عرفوا براءة الإسلام منهما لا يسعهم إلا إكبارُه وأن يتبعوه، وهكذا سآئر الخرافات التي اعتقدها بعضُ الطوآئف المسلمة صارفةٌ عن الإسلام، ما عدا

أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم فعقآئدهم منزهة عن ذلك كله.

وإذا نظرتَ فيما أشار إليه البيت المذكور وجدتَ معظم الفرق الإسلامية تستشهد في كتبها بالحديث المضمن فيه: (مَنْ فَكَّرَ فِي الْخَالِقِ أَلْحَدَ، وَمَنْ فَكَّرَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ وَحَّدَ).

فلنسر على ضوئه وهو تحريمُ التفكير في ذات الله وماهيته وكُنهه، والوقوفُ عند حد الإيمان به الضروري الاستدلالي فيما أُعْتَقِد، والاستدلالي فقط فيما قاله جمهور آئمة الهدى والتقى والعلم من ورثة الأنبياء وآل المصطفى الأصفياء الذين وقفوا عند معنى: (مَنْ فَكَّرَ فِي الْخَالِقِ أَلْحَدَ)، وعند معنى قول الله عز وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فنفوا عنه كل صفة من صفات المخلوقين، وكل ما يَمُتُّ بأية صلة لمماثلة المخلوقين، ونزهوه عن كل ما يجوز على خلقه، وقدسوه عن كل ما يفتقر إليه العباد: من الجسم، والحيِّز، والانتقال، والحلول وغير ذلك؛ للآية الكريمة؛ وللبراهين العقلية القاضية بأن وجودَ العباد وسآئر الكآئنات جآئزٌ لا واجب، وأن الله واجب الوجود لا يجوز عليه العدم، ولا أن يكون له أول أو آخر، ولا أن يشبه شيئًا جآئز الوجود.

وأن الله قدير وعليم وغني وحكيم وعدل ورحيم، لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يحتاج، ولا يعبث، ولا يلهو، ولا يلعب، ولا يظلم مثقال ذرة؛ لعلمه بقبح هذا كله، واستغنآئه عن هذا كله، وعلمه باستغنآئه عن هذا كله، وأنه وحده لا شريك له في صفات الكمال التي وصف بها نفسه، صفات

الكمال المطلق غير المحدود بحد مطلقًا. بينما العباد فقراء عاجزون ضعفاء، قُدَرُهُم ومعارفهم محدودةٌ زآئدةٌ على ذواتهم لا ذاتية، تقتلهم الشَّرْقَةُ، وتُنْتِنْهُم العَرْقَةُ، وتؤلمهم البقَّة، فقراء إلى الهواء والماء والأمن والغذاء وسآئر النعم التي لا تحصى.

والله هو الغني الحميد لا يُنْقصُه عطاء، ولا يزيده حرمان، ولا تنفعه الطاعاتُ ولا تضره المعاصي، القدير على كل شيء، لا يعجزه شيءٌ : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، عليم لا يخفى عليه شيء، ولا يضل ولا ينسى، ولا يشغله شأن عن شأن، الحكيم في كل ما قضى وقدر، وحكم وأمر ونهى وهدى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]، الرحيم الرحمن، الكريم المنان ذو الفضل والإحسان، يقبل التوبة، ويمحو الحوبة، ينادي جميع عباده بقوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

أنعم الله علينا بالعقول، وأقدرنا على كل ما نفعل ونترك ونقول، وبَيَّنَ لنا الصراط المستقيم ووعد من أطاعه بجنات النعيم، وأوعد من جاءه متلوثًا بذنوبه غير تآئب بالعذاب الأليم، وكرر علينا البلاغ بهذا في كثير من آيات الذكر الحكيم، منها قوله تعالى أوآئل سورة النساء مخاطبا للمسلمين لا للكافرين كما يحاول أن يوهمك المتوهمون، قال تعالى بعد أن بَيَّنَ للمسلمين ما يستحقه كل وارث من مورثه: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

أنظر إلى أن قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ شامل للمذكورة بالنص وباسم الإشارة قبلها وهي: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، شملتها بطريق الأولى من غيرها وأن المشار إليه بـ ﴿تِلْكَ﴾ هي أحكام المواريث قبلها، والعدلُ بين الأزواج، وحسنُ القوامة على أموال اليتامى، وكلُّها أحكام كُلِّفَ بها المسلمون، وخوطب بها أمة الإجابة لا أُمَّةُ الدعوة فلم يُكَلَّفُوا بها إلا بعد أن يدخلوا في دين الله، ولكنَّ الشيطانَ وأولياءَه من الإنس والجن ضاقوا ذرعًا بمثل هذا النص وأمثاله، كقوله تعالى في سياق الخطاب للمسلمين وتحذيرهم من الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فتارة يتأولون الخلود، ويفرقون بين الخلود في النار والخلود في الجنة بدون وجود أي فارق، وتارة تعلقًا بأحاديث ظنية السند ظنية الدلالة إن صحت، بل بمجرد ما وسوس به إبليس لبعض اليهود فقالوا به كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ

يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

هكذا بَكَّتَهُم ربنا سبحانه، وأنكر عليهم، وأبطل زعمهم، وفَنَّدَ أمنيتهم، وسماها غرورًا وافتراءً، فلم تَقِفْ مخادعةُ الشيطان للعباد عند مسألةٍ أو عشرٍ أو مآئةٍ؛ فقد أقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمآئلهم، وهذا مجرد تمثيل لمخادعته، فَلْنَعُدْ لما أشار إليه البيت وما بعده وهو أن واجب المؤمن أن يؤمن بما كُلِّفَ بالإيمان به من صفات الله التي وصف بها نفسه، وأن ينزهه عن كل ما نزه نفسه عنه، فلا يصوره للناس بصورة البشر، ولا يتصوره في ذهنه، وكيف يتصور من لا نحيط به وقد أحاط بكل شيء رحمة وعلمًا؟ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

كما يجب أن نقدسه عن الظلم للعباد، ومن كل عمل تدرك العقول أنه ظُلْمٌ، كما نزه نفسه عن ذلك في الحديث القدسي[1]: (إني حرَّمتُ الظُّلْمَ على نفسي وجعلتهُ بينكم مُحَرَّمًا؛ فلا تَظَالَمُوا)، أي حرم على نفسه نفسَ ما حرمه علينا وحكمت عقولنا بأنه ظلم.

ومن ذلك ما زعمه المجبرة أن الله هو الذي أجبر العاصي والكافر على ما عملوه ولا قدرة لهم على ترك ما عملوا ولا اختيار لهم في ذلك، وأن الله إنما

---

(١) مسلم٤/ ص ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧، أحمد بن حنبل ٨/ ص ٩٦، رقم ٢١٤٧٧.

أراد بخلق الذين كفروا أن يَكْفُرُوا ليعذبهم، هكذا زعموا رغم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ورغم علمهم أن "أَلْ" الداخلة على جن وإنس هي هنا أداة استغراق لكل الأفراد، ورغم أنه سمى نفسه الرحمن الرحيم الرؤوف العدل الكريم.

ولو قلنا: هذا خلاف ما تقضي به العقول، لقالوا: إنها لا تقضي عقولهم بشيء، وزعموا أنهم لا يعقلون، فإذا ذكَّرناهم بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقلنا: كيف يَحُجُّنَا بها إذا هي لا تُدْرِكُ، وقلنا: القرآن حَاكَمَنَا إليها في مثل قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فكيف يحاكمنا إليها وهي لا تدرك حُسْنًا ولا قُبْحًا، ولا حقًّا ولا باطلاً ؟ لم يسعهم إلا أن يقولوا: هو ذاك، ورجحوا شبههم السقيمة على براهيننا الساطعة القاطعة، كما رجح قاضي حمص الشهادة فيما زعموا أنه جاءه ناسٌ فقالوا: إن فلانًا مات ونحن ورثته، فقسم القاضي بينهم ماله، فأتى صاحبُ المال من غيابٍ فأنكر على القاضي، فأحضر المقتسمين، فأصروا على أنه مات، فطلب منهم البينة، فأحضروا شهودًا شهدوا أن فلانًا هذا مات ودفناه، فقال له القاضي: قد قامت البينة على موتك فانْدَفِنْ، فقال: أتصدقهم وتكذبني وأنا حي أكلمك؟، فردَّ عليه: لو فتحنا باب المراجعة للأموات لراجع الكثير منهم فَانْدَفِنْ.

غلب الْمَيْنُ منذ كان على الأر ض وماتــت بغيظهــا الحكمــاءُ

قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] صدق ربنا الله، أبى أكثرهم. والقليلُ هو المخلص لله المتأبِّي على المعصية.

فيا ترى ما هي الرحمة والرأفة التي أثنى الله بها على نفسه، وبها تمجَّد؟ إذا كان هو الذي يخلق عبادًا ضعفاء عاجزين لا يملكون أن يدفعوا عن أنفسهم ضرا ولا يجلبون لها نفعا، يخلقهم لأجل أن يعذبهم خالدين في النار بما أجبرهم على فعله من الكفر والمعاصي.أين الرحمة في هذا؟.

ثم يا ترى ماذا سيكون الظلم الذي حرمه على نفسه إذا لم يكن هو ما حرمه علينا، والذي هدى الله العقول فقضت بقبحه، وعلى من ذا سيقع لو فُرِضَ وقوعُه من الله حتى يسمى ظلمًا إذا لم يكن هو ما يحدث بين العباد، وما تستقبحه عقولهم؟، يا لضلال المضلين: إما غرورًا واغترارًا، وإما عنادًا واستكبارًا. إن الله لا يأمر بالفحشاء فضلا عن أن يفعلها: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]، وليس هذا من الصراط المستقيم في شيء.

وقدْ سَوَّل لهم الشيطان أنهم بهذا الزعم ينزهون الله وإنما سَبُّوهُ بذلك، وسَمَّوْا سِبَابَهُمْ تنزيهًا، ونسبوا إليه القبآئح، وقالوا: لا نسميها منه قبآئح، كأن المهم الاسم لا المسمى!! وبناءً على هذا إذا شرب أحدهم خمرًا وسماه ماءً فلا حرج.

ثم أي شيء يمكن أن يسمى عندهم وعند الله ظلمًا لو وقع منه – وتعالى عن ذلك ــ مع قاعدهم الفاسدة: لا يَقْبُحُ من الله قبيح، فكل ما يُفْرَضُ وقوعه لا يسمى عندهم ظلمًا بموجبها، ومقتضى الحديث القدسي: (إني حرمت الظلم على نفسي)، أن ثَمَّةَ ما يُسَمَّى ظلمًا لو صدر منه؛ وهذا تصادم، فإذا لم يكن ما حرمه على نفسه هو ما حرمه علينا كما نقول – لزمهم التدافع بين قاعدهم وبين الحديث والقرآن الكريم.

تأمل هذا بإمعان فهو كافٍ وحده لهدم زعمهم الفاسد واجتثاث قاعدهم الباطلة من أساسها.

هذا والمؤمن الذي ينزه الله عن صور البشر لم يَنْفِ صفةً مَّا فلم يلحد؛ فلا يغالطك المغالط بنحو أن يقول: تزعم أن الله بلا وجه، وأنه أقل كمالاً وشأنًا من الآدميين؟. فقل له: الله أعز وأجل وأكرم من أن أُثْبتَ له ما لم يثبته لنفسه، أو أن أنفي عنه ما أثبته لنفسه، وأعز وأجل من أن يقاس به.

فإن قال: هذا القرآن أثبت له ذلك، فقل له: كلام الله فيه المجاز والكناية، خاطب الله به أهل لغة الحقيقة والمجاز والكناية، وليس شُفْرَةً بينه وبين نفسه، إنما خاطبهم الله بأبلغ كلام وأفصحه، ومن أنكر ذلك فإنما كابر الحق وحاص عنه، إما غرورًا واغترارًا، وإما عنادًا واستكبارًا .

وعليك بالرجوع إلى مظان هذا البحث من كتب الأصول تعرف أهم بنوا على أوهام وعلى شفا جرف هارٍ انْهَارَ بهم في نار جهنم، وكل وجه دافعوا به

عن غلطهم الفاحش أَوْهَى من نسج العنكبوت، وجهالات كثَّروا بها وشغلوا بها الأفكار، وأضلوا بها كثيرًا من العباد، وما أعتقد إلا أنهم أشد عند الله إثما ممن أنزل فيهم قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦]، فقد نبزوا المقَدِّسين لله عن التجسيم والجبر بالتعطيل، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:١٨]، والله محاسبهم عليه حسابًا عسيرًا، وهي من مغالطاتهم الأثيمة، ومن شُبَهِهِم السقيمة التي لا تنطلي إلا على ضعفاء الفهم والعقول، والرعاع أتباع كل ناعق،كما تغالط اليوم الدولُ المستعمرةُ الكبرى الأُمَمَ الضعيفةَ بأنهم قد حرروا الشعوب من الاستعمار، وأعطتها حريتها واستقلالها، بينما لا تزال مربوطة في عجلاتها أشد من ذي قبل ماليا وتعليميا وفكريا وحربيا، أرواحهم بأيديهم كما لا يخفى إلا على البُلْه والمجانين، ولكن تغرير المجبرة والمجسمة والنواصب أعظم كيدًا ومكرًا منهم، وهم القَدَرِيَّةُ الذين سماهم ﷺ: مجوس هذه الأمة؛ لأنهم يقولون: الله قَدَّرَ عليهم المعاصي والكفر.

وتأمل بإمعان في أن النسبة دآئمًا إنما تكون لمن يُثْبِتُ لا لمن ينفي؛ فلا تقول: جَبْرِيٌّ لمن ينفي الجبر، بل لمن يثبته، كذلك لا يقال: قَدَرِيٌّ لمن نفى تقدير الله للمعاصي ونفى جبر الخلق عليها.

ولَمَّا أُفْحِمُوا بهذا قالوا: المراد به من يُثْبِتُ القدرة للعبد، قلنا: هذا بضم

القاف [قُدْرِيٌّ] فبهتوا، ولكنهم أصروا واستكبروا استكبارا، وأسندوه إلى من لا يَصْدُقُ عليهم – وإن أكذبتهم اللغة القويمة، والأفهام السليمة، وإن أكذبهم الله بمثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

ولا تعبأ بكثرتهم فإن الله قال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، وأهل الجنة بالنسبة لوفد النار كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود، وقد تمكن إبليس من إقناع المجبرة أن الْجَبْرَ من الله لا يسمى ظلمًا لأنه مالك، وتنزيةٌ له عن الشريك، وهو هَذَرٌ سخيف أشبه شيء بقول خليع في أغنية يخاطب معشوقته:

بَادِرْ بِوَصْلِكَ شِتَا نَدفا ونِتْلَمْلَمْ ... ونِعْتَبِرْ وَصْلَنَا خَالِصْ لِوَجْهِ

فأين يتاه بهم عن أن العِلْمَ والعَالَمَ بأسره إنما يبحث في جوهر المعاني لا في الألفاظ، فلا يعتبرها إلا أداة لا كاعتبار الْمُغَنِّي للفجور عبادةً، فالظلمُ ظُلْمٌ– وإن سموه عدلاً، وهو ذَمٌّ وسَبٌّ – وإن سموه تنزيها وتقديسا.

النظرة الثانية

تلـــك الأدلـــةُ آيـــةٌ أو حكمـــةٌ   يمنيـــةُ الإيمـــانِ وهـــو يمـــاني

في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ دعا لأهل اليمن بقوله: (اللهم بارك لنا في يَمَنِنَا)، وكلما طُلب منه أن يدعو لآخرين قال: (اللهم بارك لنا في يمننا)،ثلاث مرات. وممن روى هذا الحديث البخاري في صحيحه، وفي حديث شريف أنه ﷺ قال: (إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) وهذا من المجاز عن إيمانهم، وأنهم من جنود الله؛ وجنود الحق وأنصارُه.

وفي حديث شريف أنه ﷺ قال[1]: (الإيمان يمان والحكمة يمانية)، وممن رواه البخاري.

إذا تأملت هذا عرفت أن الفارق الذي تميزت به اليمن عن غيرهما من بلدن الإسلام هو عقآئدها المشرقة من ضياء القرآن وسنة رسول الله ﷺ، المؤيَّدَةِ بالعقل السليم، وفَهْمِ الفطرة التي فطر الله عليها خلقه بلا التواء، ورَفْعُهُمْ لراية الجهاد الذي لم ينقطع إلى زمننا في الدفاع عنها وعن شريعة الله، الأمرُ الذي اختفى في غيرها منذ تحولت الخلافة الإسلامية إلى مُلْكٍ عضوض، فإن لاحت

---

(١) البخاري/ رقم ٣٣٠٨ ، الترمذي ٥/ ٦٨٣رقم ٣٩٣٥، مسلم ١/ ٧٣رقم ٨٩، ٩٠/ أحمد بن حنبل ٧٠/٣ رقم ٧٥٠٨.

بوارقه في غيرها ففي فترات متقطة قصيرة لا تكاد تظهر حتى تغيب، وهذا هو المراد من الأحاديث الشريفة بأن "الإيمان يمان "[١] و "إني لأجد نفس الرحمن من قِبَل اليمن"[٢] وحديث (اللهم بارك لنا في يمننا)[٣] و (الركن يماني وأنا يماني)[٤] وغيرها، ولا تفسير لها غير هذا.

أليس هذا كافيًا لكف المعتدين، وتثبيت اليقين في نفوس المهتدين؟.

فبخٍ بخٍ لأهل اليمن الميمون بهذه المناقب والفضآئل التي لم ينلها سواهم، وبُشْرَى لأهل اليمن الميمون بدعوات الرسول الأعظم ﷺ الدعوات المستجابة، وبشرى لهم بشهادة من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، بأن الإيمان يمانٍ، بل بشرى لهم بهذه المبالغة الشريفة، وتصوير الإيمان بصورة محسوسة كأنه إنسان، وهذا الإنسان الذي هو الإيمانُ يمانيٌّ النَّسَبِ، يمانيٌّ الدارِ، يمانيٌّ الجنسيةِ، لم يكتف النبي بأن أهلَ اليمن أهلُ الإيمان

(١) مجمع الزوآئد ١٠/ ٥٣، أحمد ٣/ ٧٠، برقم ٧٥٠٨.
(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس١/٢٦٠ رقم ٨٠١، قال العراقي: لم أجد له أصلا .
(٣) البخاري ١/ ٣٥١ رقم ٩٩٠ ، أحمد بن حنبل ٢/٤٠٠ رقم ٥٦٤٦، الطبراني في الأوسط ١٢/ ٣٨٤.
(٤) الركن اليماني ، كنز العمال ١٢/٢٢٠ رقم ٣٤٧٥٥ وعزاه العقيلي.

حتى صوَّره واحدًا منهم.

وفي اليمن أحاديث شريفة كثيرة، وفي أهلها ما يستوجب أن يعتزوا ويفتخروا، وأن يضاعفوا حمد الله وشكره على هذه المزية حتى قال النبي ﷺ في حديث (وأنا يمانيٌّ)، فالنبي بموجبه يمانيٌّ، والإيمان أيضًا يمان.

بشـرى لنـا معشـرَ الإسـلام إنَّ لنـا ... مــن العنايــة ركنًــا غــيرَ منهــدم

وقد تحقق بالفعل ما أخبر به النبي الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم؛ فلم تزل طآئفة منهم تناضل وتقاتل في سبيل الله وإعلاء كلمته في كل عصر منذ القرن الأول من الإسلام لم يتركوا الجهاد والدفاع عن الحق، عاملين بكتاب الله وسنة نبيه، مُوَالِينَ لأهل بيت نبي الله سبحانه لم يضعوا سيوفهم عن عواتقهم جيلاً بعد جيل منذ حملوها في يوم بدر يومَ الفرقان وما بعده إلى يوم الناس، هذا بينما جميع أقطار الإسلام الأخرى خضعت لحكام الجور والظلم منذ استشهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، وبعضُهم من قبل إلى يوم الناس هذا، ما سلُّوا سيفًا للجهاد، ولكنهم خضعوا تارة للظالمين وأيدوهم بالأقوال والأفعال، وتارة للمستعمرين، اللهم إلا اليمن الميمون فلم تزل طآئفة من أهله تقاتل في سبيل الله حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال.

وليس المراد أننا ننكر فضل العلماء والمؤمنين وأنصار الحق في سآئر أقطار المسلمين، كلا؛ ففي كل وطن إسلامي منهم من لا يُنْكَرُ فضله، ولا يُجْهَلُ مَقَامُهُ، ولكنهم متفرقون لا تجمعهم مثلنا قيادة ورياسة ودعوة، وإنما اختص بهذا

اليمن فقط، وكتب التاريخ تشهد بهذا، حتى قال صاحب فتح الباري عند الكلام على حديث: (لا تزال طآئفة من أمتي على الحق) [١]، أو في سياق الكلام على حديث بمعناه أو قريب منه، قال ما خلاصته: لم يبق من يصدُقُ عليه الحديث هذا إلا الذين في جبال اليمن، وإمامهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرَّسِّي [٢].

ونحن نقول والحمد لله: نعم إن لم يكونوا هم فمن ذا سيكونون ؟ وإذا لم يكونوا هم أهلَ الإيمان– وهم أهل نَفَس الرحمن؛ بشهادة رسول الله – فمن هم إذن ؟ وهم الذين لهم طابع مخصوص مَيَّزَهُمْ عمن عداهم من المسلمين.

---

(١) دلآئل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٢٧، المستدرك ٤/٥٥٠ ، كنز العمال ١٤/ ٥٥٥، ٥٥٦ رقم ٣٩٥٨٧، ٣٩٥٨٨.

(٢) ونص كلام الحافظ : " ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض بالبلاد اليمنية وهي النجود، منها طآئفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد من أواخر المآئة الثالثة، وأما من بالحجاز من ذرية الحسن بن علي، وهم أمراء مكة وأمراء ينبع. ومن ذرية الحسين بن علي وهو أمراء المدينة فإنهم وإن كانوا من صميم قريش لكنهم تحت غيرهم من ملوك الديار المصرية، فبقي الأمر في قريش بقطر من الأقطار في الجملة، وكبير أولئك ــ أي أهل اليمن ــ يقال له الإمام، ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرِّيًا للعدل". فتح الباري ١٣/ ١١٧. وقال أيضا في ص ١٩ من نفس الجزء" وقد جاء ما يؤيد ذلك لمسلم حديث أبي هريرة: (إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته).

كما أننا لا ننكر أن في اليمن من لا يَصْدُقُ عليهم الحديث أيضًا، ومن لهم أشباه وأمثال من المنحرفين عن الحق، ومن القاعدين عن الجهاد، فهؤلاء موجودون، ووجودُهم لا يضر بمن صدق عليهم وفيهم البُشْرَيَات النبوية، ولا يطعن في صدقها وصحتها.

وقد نجم في عهد قريب وإلى يومنا مَنْ يتطاول بلسانه وقلمه، وما أكثر المتطاولين من هذا النوع من اليمن ومن غير اليمن، يتطاولون على أهل اليمن ويتهمونهم بالجهالة للإسلام والإيمان، وبالشرك والابتداع وغير ذلك من باطل التهم.

فيا لله العجب أَيَرُدُّونَ شهادة رسول الله لنا بالإيمان ونَفَسِ الرحمن؟، أَوْ يَدَّعُون أن دعاء رسول الله لنا لم يقبله الله – وهو مجاب الدعاء عند إله الأرض والسماء – ؟ زِدْ على هذا أنَّ بعضهم من جهال يمنيين متعالين!!.

فما أحَقَّ أهل الإيمان أن يقولوا: لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي[(١)] .

---

(١) أي لو لطمتني ذاتُ سوار؛ والمعنى حرّة لا أمة ؛ لأن العرب قلما تلبس الإماء السوار ، فهو يقول : لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف عليَّ ، ومعنى المثل لو ظلمني من كان كفؤاً لي لهان علي ولكن ظلمني من هو دوني. ولهذا قال الشاعر:

فلو أني بُليتُ بهاشمي ... خؤلَتُه بنو عبد المدان
لهانَ عليَّ ما ألقى ولكن ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

نعم لا ننكر أن في اليمن ضُلالاً وملحدين، أيضًا في عصرنا وفيما قبله، كما لا ننكر أن في كل بلد غير اليمن مؤمنين وصالحين، ولكن مدار الكلام هو في مدار الحديث بل الأحاديث الشريفة التي بشرت بأن شوكة الإسلام وراية الجهاد والعمل بالكتاب والسنة لا تزال في اليمن وأهله حتى تأتيهم الساعة، فلا غَرْوَ إن كَرَّرْتُ الإشارة إلى الحديث الشريف في أهل اليمن الميمون مرتين في المنظومة وجعلت شطرًا منه عنوانًا لها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وفيهم يقول أمير المؤمنين عليٌّ كرم الله وجهه:

تيممت همدان الذين هُمُ هُمُ	إذا ناب أمر جنتي وسهامي
فوارس ليسوا في الحروب بعزَّلٍ	غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشم المطاعين بالقنا	ونهم وأحياء السبيع ويام
ووادعة الأبطال يخشى مصالها	بكل صقيل في الأكف حسام
ومن كل حي قد أتتني فوارس	كرام لدى الهيجاء أي كرام
يقودهمُ حامي الحقيقة ماجد	سعيد بن قيس والكريم محامي

وأراد المؤلف: لو أن الطاعن على اليمنيين من غيرهم أو منهم علماء أفذاذ لهان الأمر، أما دراويش وشحاتين فهي مصيبة وغبن. ينظر مجمع الأمثال ٢/ ٢٠٧ لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني.

جـزى الله همـدان الجنـان فـإنهم سمـام العـدا في كـل يـوم سمـام

رجـال يحبـون الـنبي ورهطـه لهـم سـالف في الـدهر غـير أيـام

ولـو كنـت بوابًـا علـى بـاب جَنَّـة لقلـتُ لهمـدانَ ادخلـوا بسـلام

وهمدان هو الجد الأكبر لجميع أهل اليمن إلا اليسير . ومنهم حاشد بن همدان، وبكيل بن همدان، والثناء في أبيات الإمام شامل لجميع أهل اليمن، وممن ذكرهم بالنص أرحب وخولان وشاكر وحمير وغيرهم.

النظرة الثالثة

حول:

لا تَعْـدُ عـن نهـج الكتـاب ونهـج آ ل محمـــد إنَّ الهـــدى الـــثقلان

ثبت حقًّا أن رسول الله ﷺ قال لأمته: (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي؛ إن اللطيفَ الخبيرَ نبأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض، وإني سآئلكم كيف خلفتموني فيهما؟)، وقد روي بألفاظ مختلفة متفقة المعنى ، وهو من الأحاديث المتواترة، وقد استشهد به ابن تيمية في عشرات المناسبات من كتبه، وابن القيم، وابن حجر الهيثمي[1] .

---

(١) حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة فقد رواه:

ابن تيمية في فتاويه ٢٨/ ٤٩٣، ابن حجر الهيثمي في الصواعق ١٤٩ ، الإمام زيد بن علي عليه السلام في المجموع ٤٠٤، وعلي بن موسى الرضا ٤٦٦، والإمام الهادي في الأحكام١/ ٤٠، والمرشد بالله ١/ ١٥٢، ١٥٤، وينظر الاعتصام ١/ ١٢٣ وما بعدها ، وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨ عن زيد بن أرقم، والترمذي ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦ عن جابر بن عبد الله ، وأحمد ٤/ ٣٧ رقم ١١١٣١ عن أبي سعيد و ٤/ ٣٠ رقم ١١١٠٤ عن أبي سعيد ، ٧/ ٨٤ رقم ١٩٣٣٢، ٨/ ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ ١٥٤ رقم ٢١٧١٢ عن زيد بن ثابت، ٤/ ٥٤ رقم ١١٢١١، ٤/ ١١٨٢ ورقم ١١٥٦، وأحمد في فضآئل الصحابة ٢/ ٩٧٨، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ٧٤٧ رقم ١٠٣٢، والطبراني في الأوسط ٣/ ٣٧٤ رقم ٣٤٣٩، ٤/ ٣٣ رقم ٣٥٤٢، البيهقي ٢/ ١٤٨، ٣/ ٣٠، ١٠ / ١١٤، صحيح ابن خريمة ٤/ ٣٦ رقم ٢٣٥٧، والطبراني في الكبير ٥/ ١٥٣ رقم

وهناك حديث آحادي صحيح غير متواتر فيه بدل عترتي سنتي، وهي تفرض علينا العمل بسنة رسول الله، ومن ضمنها ما أوجبته الرواية المتواترة من متابعة الكتاب وآل محمد.

وقد ذكر ابن القيم في بعض رسآئله أربعة أقوال في بيان الآل وسرد حجة كل قول، ورجح رابعَ الأقوال وهو من حَرُمَتْ عليهم الصدقة إلى يوم القيامة، وترجح له ولابن تيمية، ولابن حجر الهيثمي ولابن كثير في تفسيره أن نساء النبي إنما دخلن فيهم بالتبعية لا بالأصالة[1]، والمراد أن آل محمد العلماء منهم أعلم وأهدى سبيلاً؛ فمتابعتهم فيما رجحوه عند الاختلاف مع غيرهم هو الواجب؛ لأن الحق لا يخرج من جملتهم، لا من أفرادهم فلا، فعلمُهم هو العلم، وفقهُهم هو الفقه، ومن خالفهم فتقدمهم أو تأخر عنهم هلك.

وفي الأبيات بعد ذلك إشارات إلى عدد من الأحاديث النبوية التي رويت في أهل بيته منها: (أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها

٤٩٢٣، ٤٩٢١، والصغير ١/ ١٥٠، ص ١٥٣، ومختصر زوآئد البزار ٢/ ٣٣٣ رقم ١٩٤٦، ١٩٧٤، عن أبي هريرة، وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٢٨ وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(١) لابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة / ص ١٤٦، ولابن كثير ٣/ ص ٤٨٦ في تفسير الأية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هلك)[١] .

وانظر ما قاله الجلال رحمه الله في الحديثين وحديث من تقدم أو تأخر عن الثقلين في رسالته (العصمة عن الضلال)، وما قاله ابن الهيثمي في الصواعق[٢] ، وابن القيم وغيره في مكانها من كتبهم، وأن أهل البيت أمان لأهل الأرض فإذا ذهبوا أتى أهل الأرض ما يوعدون.

ومن أغرب الغرآئب الإنكار على من يصلي على آل محمد تبعًا للصلاة عليه مع العلم بأنه لم ترد في كتب السنة جمعاء أيُّ صلاة علَّمَنَاها رسولُ الله ﷺ إلا وصلى فيها على آله، و لم تَرِد في الكتب أيضًا أي صلاة قالها صحابي

---

(١) أخرجه الهادي في الأحكام ١/ ٤٠٠ ، والإمام علي بن موسى الرضى عن آبآئه في صحيفته ص ٤٦٤ بلفظ " أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها زجَّ في النار" ، والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣، عن أبي حنش الكسفاني قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة : أيها من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكر فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول " أهل بيتي .....الخ"، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه أيضا في ٣/ ١٥٠،وقاله صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط ٥/ رقم ٥٣٩٠، والكبير ٣/ ٤٥/ رقم ٢٦٣٦، والبزار ٢/٣٣٤ رقم ١٩٦٧من مختصر زوآئده لابن حجر.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٥٢.

إلا وفيها الصلاة على آل رسول الله[١] . زد على هذا حديث: (لا تصلوا علي الصلاة البتراء)[٢] .

وهاهي أكثر المطابع وأكثر الناطقين بالصلاة عليه قد تواطئوا على أن يفردوه بالصلاة عليه كتابة ونطقًا إلا القليل، و لم يكتفوا بذلك بل يظهر الإنكار إذا سُمِعَ المصلي على النبي يصلي على آله، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا فتأمل.

هذا وقد روى حديثَ الثقلين أيضًا من يُتَّهَمُ ببغض آل محمد، فساقه الله على لسانهم وأقلامهم ليكون حجة ومزيدًا من الحجة عليهم، حيث تكلفوا أحيانًا التأويل المتعسف، وبعضهم حاول الإنكار والتضعيف، والكل يَظْهَر لطالب الحق بأدنى تأمل. وهو ما حذر منه بعض الأبيات في السياق.

وهناك من زوروا أحاديث حاربوا بها الحق، وعليًّا ومَنْ بعده، ومنهم

---

(١) انظر البخاري/ الأنبياء/ باب ١٢/ ج ٣ / ص١٢٣٢ رقم ٣١٨٩ورقم ٣١٩٠، ومسلم رقم ٤٠٧ في الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ورقم ٤٠٦ نفس الموضوع ، وفي الدار قطني ١/ ٣٥٥ عن النبي ﷺ:(من صلى صلاة لم يصل فيها عليَّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) ونقل عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال : (لو صليتُ صلاة لا أصلي فيها على آل محمد ما رأيت أن صلاتي تمت).

(٢) هذا لفظ لصاحب الصواعق ١٤٦والشافي ٤/ ٩١ بسنده .

متظاهرون بحب الإمام علي وهو مجرد تظاهر بدلالة حبهم لأعدآئه في حياته، وأعداء ذريته وأعدآئه مِنْ بعده، وتعظيمهم لهم: إما عن جهالة بالباطل، وإما عن حب أعمى القلوب، وهو ما أشار إليه بعض أبيات المنظومة:

والحبُّ مثلُ البغضِ كم أعمى ... باعَ النجاةَ بأبخس الأثمان

وإنك لتكاد تجزم أنه لو عاد يومُ صفين لوجدهم من أصدق المحاربين قتالاً لعلي، أو يومُ كربلاء لما كانوا إلا تحت راية عُمَرَ بنِ سعد وابن ذي الجوشن، أو يومُ الْحَرَّةِ لكانوا مع عقبة بن مسلم المُرِّي، وفلتات ألسنتهم وأقلامهم وأعمالهم وبغضهم الشديد لأنصار الإمام علي وجرحهم لهم ورميهم بالكذب كافٍ في الدلالة على ذلك؛ بينما هم يزكون ويوالون أعداءه ويوثقونهم على الإطلاق، ولن يحبه ويحب أنصاره إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، بهذا قضى الله سبحانه[1].

يا أهل اليمن والإيمان لا يفتننكم الشيطان عن عقآئدكم الصحيحة كما أخرج أبويكم من الجنة، لا يَغُشَّنَّكُمْ عنها بالمال، فكم أَمَالَ بالمال، وفَتَنَ من رجال، لا يخدعنكم بالشبهات وسِحْرِ البيان، فكم له من ضحايا في هذا الميدان.

---

(١) راجع لزاما مبحث التشيع في كتاب (عدالة الرواة) للدكتور المرتضى بن زيد المحطوري وقد طبع مبحث التشيع منفردًا لأهميته.

لا يصدنكم بمكره عن مجد أسلافكم الباسق، وتراثكم العلمي العظيم، كما صد السامريُّ قومَ موسى عن طاعة هارون، وعبدوا العجل فَقَالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[المائدة: ٢٥] .

لقد استيقظ أكابر علماء قرننا الرابع عشر المشرف على الغروب من المسلمين وغيرهم إلى مجد أسلافكم العلمي العقآئدي والفقهي، ونوهوا به، ولا زالت اليقظة تكبر ويكثر أصحابها، فلا تجهلوا هذا وابحثوا تجدوه حقًّا، ولا تُخْدَعُوا فتنخدعوا فتدمغوا أنفسكم بوصمة الجهالة وخزيها، فالتأريخ سيحاسب المنحرفين والجاهلين ويصب عليهم اللعنة، وفي إمكانهم تجنب ذلك، ولكن لا تهدي من أحببت.

ومهما أقل لكم أنكم أهل الإيمان والحق وأحباب رسول الله الذي ينتظركم في اليوم الموعود على الحوض المورود فيذود الناسَ لأهل اليمن حتى يشربوا، ولكن لا غُنْيَةَ لكم عن الحث على تقوى الله والاستقامة، وتعليم الجاهلين، وتجنب كل بدعة تخالف الدين حتى يأتينا اليقين. نسأل الله لنا ولكافة عباده الصلاح والتوفيق والاستقامة وحسن الختام.

ولا يستغني أهل اليمن عن أن نؤكد في أذهانهم أن في كل أمة خيرًا كثيرًا ، وفي كل قبيلة خيرًا كثيرًا، وصلحاء ومؤمنين وعلماء وفضلاء. كما آؤكد أن في أهل اليمن من لا يرضى الله عن سلوكهم أو عن عقيدتهم، ومن لا خير في

آثارهم، ومن حملوا أوزارًا جسامًا إلى أوزارهم؛ فاليمن من هذه الوجهة كسآئر بلاد الله، وغير اليمن كاليمن بهذا الاعتبار، بل الحجة على مسيئهم أعظم، والذنب منه أجسم، حيث لم يغنم، وَفَاتَهُ خَيْرٌ ساقه الله إليه، وخَصَّ به قومه ودياره، فلم يَقْدُر نعمة الله عليه ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٢٢]،والخاسر من خسر نفسه وأهله يوم القيامة.

النظرة الرابعة

نظرة حول:

لأَخُـــو الـــنبيِّ وِدَادُه ووِلآؤه   عَلَـــمُ النجـــاة علامـــةُ الإيمـــان

وما بعده

اعلم هدانا الله جميعًا إلى الحق المبين أن المناقب المشار إليها في هذين البيتين وهي المؤآخاة للنبي، وكون ولآئه علم النجاة والإيمان، وكونه أحبَّ إلى الله ورسوله من غيره وكونه لم يفارق القرآن بل دار معه حيثما دار.

هذه المناقب الأربع قليل من كثير وقطرة من غيث غزير وهي تدل على ما عداها، وفيها من الدلالة ما كفى، وما تكبو فضآئل غيره دونها حسرى.

المنْقِبَةُ الأولى:

أما المؤآخاة فإن النبي ﷺ آخى بين أصحابه في مكة على أساس مُطَّرِدٍ بأن جعل كل اثنين من عشيرتين، و لم يجمع بين اثنين من عشيرة واحدة؛ فآخى

بين زُهريّ وأُمويّ، وعَدَويّ وتميميّ وهكذا. وقد ترك عليًّا بدون أخٍ، فلما سأله قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة، رغم أنه من عشيرته، ورغم فارق السن الكبير بينهما، ورغم أن هناك مثلاً الحمزةَ أسدَ الله وأسدَ رسوله أنسب سِنًّا لمؤآخاته؛ إذا لا يصلح لمؤآخاته إلا من هو من عشيرته.

ولما استقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة بعد الهجرة آخى بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل مهاجر أخًا أنصاريًّا، فإن فرضنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصلح أن يؤآخي أحدا من الأنصار فكان على الأقل سيؤآخي بين علي وأنصاري، لكنه لم يفعل بل قال له عندما سأله: لم تركتني ولم تؤآخ بيني وبين أحد؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت أخي في الدنيا والآخرة[1])، فكان هذا بتكرره بمثابة أن يقول: لا يصلح لمؤآخاتي غَيْرُك: ولو كنت صغيرًا، ولو كنت من عشيرتي، ولا يصلح لمؤآخاتك غيري وإلا لفعلتُ.

وقد امتعض لهذه المنقبة الحاسدون والمنافقون، وقد حاول البعض الغضَّ من

---

(١) في مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام عند الهجرة ينظر سيرة ابن هشام: ١١٨، ١١٩، وطبقات ابن سعد : ٢٢/٣، والاستيعاب: ٣/ ٢٠٢، وابن أبي شيبة: ٣٧٥/٦ ، والحاكم : ٣/ ١٤، والمناقب لمحمد بن سليمان الكوفي : ١/ ٣٢٥، والإصابة/ ٥٠١/٢، الترمذي ٥/ ص٥٩٥رقم ٣٧٢١، الإصابة: ٣٥/٣، البداية والنهاية لابن كثير ٢-٣/٢٧٧، فتح الباري ٧٢/٧. عيون الأثر ٣٢١/١، وفاء الوفاء ص٢٦١، السيرة الحلبية ٢/ ٢٠.

شأنها فزادها وضوحًا، فقال: إن النبي ﷺ قال لعمر: (ادْعُ لنا يا أَخِي). مع العلم أن النبي ﷺ لا يبخل بمثل هذه الكلمة على أحد من أصحابه ولا من المؤمنين من بعده مطلقًا ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، لكن أين هذا من ذاك؟! فمؤآخاةُ علي هي أُخُوَّةٌ خاصةٌ، لها امتيازها، ولا يشاركه فيها مشارك، كالتي كانت بين حمزة وزيدٍ مثلاً أخوة خاصة، لها آثارها المترتبة عليها، فهي غير الأُخُوَّةِ الثابتة بينهما وبين سائر المؤمنين عمومًا. كما تَكَلَّفَ بعضٌ التقليل من شأنها، فادَّعَى أن النبي ﷺ آخى بين علي وأنصاري، ومصادَمَةُ هذه الدعوى المغمورة للروايات المشهورة التي هي أشهر من نار على علم – كفيلةٌ لطالب الحق أن يفهم وأن يستجلي ما انبهم والله من وراء الجميع محيط.

وأغرب من هذا بكثير ما قاله الحلبي رحمه الله عن ابن تيمية في البحث، فإنه بعد أن ذكر أن النبي ﷺ آخى بين أبي بكر وعمر، وحمزة وزيد، وعثمان وابن عوف، والزبير وابن مسعود، ومصعب وسعد، حتى قال الحلبي: وبين سعيد وطلحة، وبين علي ونفسه ﷺ وقال: (أما ترضى أن أكون أخاك ؟) قال: بلى يا رسول الله رضيتُ، قال:(فأنت أخي في الدنيا والآخرة).

قال وأنكر ابن تيمية المؤآخاة بين المهاجرين سيما مؤآخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام، قال: لأن المؤآخاة بين المهاجرين والأنصار إنما جعلت للارتفاق ولتآلف قلوب بعضهم ببعض، فلا معنى لمؤآخاة مهاجري لمهاجري.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا رَدٌّ للنص بالقياس، وبعضُ المهاجرين كان

أقوى من بعضٍ بالمال والعشيرة، فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، ولهذا تظهر مؤآخاة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه؛ فقد كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة[(١)].

وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيد بن حارثة قال: إن بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المؤآخاة. انتهى من الحلبية بلفظه[(٢)].

ووجه استغرابي في غاية الوضوح والأحقية لوجوه:-

أولا: أنه من البعيد أن يخفى على ابن تيمية ما ظهر لابن حجر، وأن لا يعرف أن الحديث في الصحيح، وفي غيره من الأمهات والسِّيَر.

ثانيا:أنه لم يُسْبَق إلى إنكار المؤآخاة، فكيف استطاب أن يكون ابن بَجْدَتِه؟! على حين أنه لم يخطر الإنكار على قلب أي جاحد قَبْلَهُ؛ لمكان علي في الإسلام، ولمكانته من سيد الأنام.

ثالثا: لا يخفى على أحد البتة ما في قول الحلبي "سيما مؤآخاة النبي لعلي"، أي إنكار ابن تيمية لمؤآخاتهما.

تأمل جيّدًا في سيما أولاً، وما في حيزها ثانيًا؛ فإنها فيما يظهر حتى للبليد،

---

(١) فتح الباري ٧/٢٧١.

(٢) السيرة الحلبية ٣/ ٦٥.

الباعثُ الوحيد للإنكار للمؤآخاة من حيث هي.

رابعا: لا يخفى ما في قول الحافظ هذا رد للنص بالقياس، ولم يَقْصِد الحافظ القياس الأصولي فليس منه، ولا القياس المنطقي.

فالأول: هو حمل معلوم على معلوم لإجراء حكمه عليه بجامع. والثاني: هو القول المؤَلَّفُ من قضايا متى سُلِّمَتْ بذاتها لزم عنه التسليم بقول آخر.

فالحافظ رحمه الله أراد أنه رد النص برأي رآه، ولا أشد دمغًا لباطل هذا الرد منها. فما هو هذا الرأي الذي حمله على رد النص؟ الجواب هو أن المؤآخاة لا تكون إلا للارتفاق والتآلف، وهما فيما أظهر لا وجود للداعي لهما في مكة، كما وجد الداعي إلى ذلك في المدينة، وقد أبطل الحافظُ زَعْمَ ابن تيمية لعدم الموجِبِ والداعي وأثبته كما ترى.

وأعتقد أنه لم يخف على ابن تيمية هذا؛ فهو أعظم فطنة وذكاء وأكثر اطلاعًا وعرفانًا وفهمًا من أن يجهل ذلك أو يجهل المؤآخاة بين المهاجرين – وهي في درجة ورتبة المستفيض في كتب الحديث والتأريخ والسير إن لم تكن متواترة.

فلا غرابة من استغرابي، فإنه أصر على إنكار المؤآخاة، والباعثُ الأوضحُ هو ما دلت عليه جملة (لا سيما مؤآخاة النبي لعلي)، ثم بَرَّرَ إنكاره بما يشبه دعوى التعارض بين وجود المؤآخاة ووجود عدم الارتفاق الذي ادعاه بين المهاجرين، أي بعد أن ادعى عدم وجوده، كأنه كالتناقض بين قضيتين منطقيتين

المحدود بقولهم: اختلاف الجملتين في النفي والإثبات بحيث يستلزم لذاته صِدْقُ كل واحدة منهما كذب الأخرى، على حين لا تناقض بين الرواية المتلقاة بالقبول بين كافة المحدثين والمؤرخين، وبين ما يمكن بل ما يحسن وقوعه وهو المؤآخاة.

ولتعليل ابن تيمية هذا المتهافت نظآئرُ من تعليلاته، فهو عندما وقف على حديث: (إن الله أمر جبريل وميكآئيل أن يحرسا عليًّا عند رقدته على فراش رسول الله ﷺ عند أن هاجر).- استعظم واستكثر هذه المنقِبة على علي عليه السلام و لم يسعه إلا أن يهاجمها من بين يديها ومن خلفها.

فأما من بين يديها فقوله على حراسة الملكين: إنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير، لم يتردد أن يقول: باتفاق أهل العلم، ولم يتورع عن هذه الدعوى لأنه قد أعَدَّ في نفسه الجواب على أنه إذا عقب عليه المعقبون بمثل تعقيب الحافظ المذكور آنفًا فإنه سيقول: هؤلاء ليسوا من أهل العلم.

وهذا يُذَكِّرُني بإنسان عرض فُصًّا للبيع، ورغَّب فيه بأن من خواصه أنه إذا رآه الهر عَميَ، فجيئ بِهِرٍّ فلم يُعْمِهِ النظرُ إليه، فلما قيل له هاهو الهر لم يَعْمَ، قال: إنه ليس بِهِرٍّ.

وأما مهاجمة المنقبة من خلفها، فإنه لما أُشْرِقَ بها قال: وأيضًا قد حصلت لعلي الطمأنينة بقول الصادق له: "لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم" فلم يكن فيه فداء بالنفس، ولا إيثار بالحياة. والآيةُ التي جاء بها يعني ابن تيمية في حديث

الفداء وهي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧]، أنها نزلت في علي، قال ابن تيمية: والآية المذكورة في سورة البقرة هي مدنية باتفاق، وقد قيل: إنها نزلت في صهيب لـمَّا هاجر.

هذه مهاجمة للمنقبة من خلفها، يعني أنه سَلَّمَ جَدَلاً، أو لم يصدقه الناس أن الحديث كذب باتفاق أهل العلم، ففيها مطاعن أخرى.

وقد رَدَّ عليه الحلبي بما في الإمتاع وهو أن النبي ﷺ لم يذكر لعلي أنه لن يخلص إليه شيء يكرهه؛ فيكون فدآؤه واضحًا، وبأنه لا مانع من تكرر نزول الآية في حقهما معًا، وبأنه لا تُخْرِجُ الآية بنزولها في مكة السورةَ عن كونها مدنية؛ لأن الحكم للغالب. انتهى.

وأريد أن أضيف أنه إن صح أن النبي قال لعلي لن يخلص إليك شيء تكرهه فإنها منقبة لعلي أعظم من منقبة الفداء؛ لأنها منقَبة اليقين بما أخبره الرسول الأمين، أَوْجَدَتْ عنده عينَ اليقين الذي طلب خليل الرحمن من ربه أن يحصل له، فقال له ربه: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]، وأعتقد أنه لو فطن لهذه المنقبة أبو العباس لهان عليه الإغضاء على منقبة الفداء بالنسبة لمنقبة هذه الدرجة من اليقين التي اختص بها كما اختص بها سيد المرسلين وهو في الغار ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، ولَبَحَثَ عن وجه آخر لتحقير هذه المنقبة واعتبارها شيئًا لا يُعْبَأ به، كما لو

كانت المنقبة لغير علي لاستغرق إطرآؤه عليها مجلدًا كاملاً.

ومن استقرأ هذا في كتابته آمن بصدقه، فإنه وإن ذكر عليًّا بخير في كثير من المواضع، ولكن في إطار الحدود التي رسمها هو ومشايخه، والدآئرة التي كبحوا جماح مناقب الإمام علي عليه السلام إلى داخلها، وثنوا أعنتها عما تدل عليه مفرداتُها ومقتضياتُها وجُمَلُها، ومَنْ خرج عما تظاهروا عليه فهو من الغلاةُ بزعمهم، والغلاة شرعًا من الهالكين.

المَنْقَبَةُ الثانية:

في البيتين أنه الأحب إلى الله ورسوله ممن عداه. جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما حاصر حصون خيبر كان يبعث رجالاً من صحبه برآية القتال، فعادوا دون أن يفتح لهم، فقال في الليلة الثالثة: (لأَبْعَثَنَّ غدًا عليهم رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه، كرارًا غير فرار[1]).

(١) حديث الرآية روي بعدة طرق منها:- مسلم ٤/ ١٨٧١ رقم ٣٤٠٤، الترمذي ٥/ ٥٩٦ رقم ٣٧٢٤، أحمد بن حنبل ١/ ٣٩١/ ١٦٠٨، النسآئي في خصآئصه/ ٣٢ رقم ٩ و٧٠ رقم ٧٢، الحاكم ٣/ ١٠٨ ، والبخاري٣/ ١٣٥٧ رقم ٣٤٩٨، ٣٤٩٩، ١٣٥٨ رقم ٣٥٠٠. وبهذه الرواية : (لأبعثن غدًا عليهم رجلاً يحب اللهَ ورسولَه ويحبانه لا يولي الدبر يفتح الله عليه) . مجمع الزوآئد ٥/ ١٥١، المستدرك ٣/ ٨٣.

فمن رجال الحديث من رواه كاملاً، ومنهم من روى معظمه، وهو من أحاديث الأمهات.

والوجه في استنباطي من هذا أنه الأحبُّ: أن النبي ﷺ خاطب بهذا الخطاب جميع الموجودين من أصحابه في غزوة خيبر وفيهم أبو بكر وأكابر المهاجرين، وفيهم السَّعْدَانِ وأكابر الأنصار.

كما أنه من المعلوم أن الله يحب كل مؤمن ومؤمنة من أول الدنيا إلى يوم القيامة، وأن كل مؤمن ومؤمنة يحب الله ورسوله من أول الدنيا إلى نهايتها، وأن أصحاب رسول الله في طليعة المؤمنين، فما هي الفآئدة من إخبارهم بأن عليًّا يحب الله ورسوله وأنهما يحبانه مع أن هذا هو حال كل مؤمن ومؤمنة؟ فإذا لم يكن لهذا فآئدةٌ غيرُ هذا فهو كقولنا: السماء فوقنا، والأرض تحتنا؛ فالفآئدةُ إذن التنويهُ بأن حبَّ اللهِ ورسولِهِ لعلي من درجة لم ينلها المخاطبون، وأنَّ حُبَّ علي لهما على مستوى رفيع لم ولن يصل إليه أحدُ المخاطبين، حتى لكأن حبهم لله ورسوله وحب الله لهم لاشيءَ في جانب حُبِّ عليٍّ لهما، وحُبِّهما له، فَنَزَّلَ حبهم في ذلك المقام منزلة المعدوم.

هذا والأحب إليهما هو الأقرب والأكرم والأفضل حتمًا، غير أن الدنيا والحسد أو البغضاء أو التعصب والكبر لا تَدَعُ حقًّا دون أن تُلبِسَ عليه وتشوش فيه وتضلل الناس دونه مهما وجدت سبيلا إلى ذلك، وإن لم تجد وأمكن الكتم كتمت، وإلا فزعت إلى التآويل الفاسدة، كأن يقال: قتل عمارَ بن ياسر من

جاء به. وكأن تنصب المصاحف فيقال: هذا القرآن حُكْمُ الله بيننا. وكأن يقال: لا حكم إلا لله، وعليٌّ ألحد في دين الله.

وكأن يقال: معنى من كنت مولا ه فعلي مولاه؛ مَنْ أنا ابن عمه فعلي ابن عمه. وأن قوله تعالى في الكلام عن خبث الخمر ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، هو سؤآل لا تحريم. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وبعضهم عن علم ليحقق ما يريد. كما قيل: إن أحد الفلاسفة ولعله هيجل كان يفتعل رسوما لحيوانات أو نحوها ليثبت بها نظرية اعتقدها، ثم اعترف أنها تزوير منه، وأن له نظراء سلكوا مسلكه ليبرهنوا على صحة دعواهم؛ ويلحق بهذا التدليسُ في الرواية، فمن اعتقد صدق الحديث فيقول: أنا سمعته من فلان وليس كذلك.

المَنْقَبَةُ الثالثة:

كونه عليه السلام علم النجاة علامة الإيمان، وهي في ترتيب النظم الثانية إلا أنني سهوت فقدمت التي بعدها. جاء في الحديث الشريف (أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يُبغضه إلا منافق)، فحبه إذن علامة المؤمنين والإيمان علم النجاة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨].

ومفاد حديث الغدير أنه مولى كل مؤمن، وأن من والاه والى الله، ومن عاداه عادى الله، ومن خذله خذله الله.

ومفاد حديث المؤآخاة في الآخرة أنه مع النبي في الفردوس الأعلى، وأي فوز ونجاة أعظم من هذا، (والمرءُ مع من أحب)[1] كما في الحديث الشريف، وهو الداعي إلى الجنة بمقتضى حديث عمار المتواتر: (يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)[2] ؛ فأتباعه وأنصاره الدعاةُ إلى الجنة، كما أن أعداءه ومقاتليه وأتباعهم الدعاةُ إلى النار بنص المختار وبئس القرار.

وهو كاشف كغيره من فضآئله عليه السلام أنه على الهدى ، وكما جاء في البخاري عن أبي بكر الصديق: (عليٌّ عِتْرَةُ رسولِ الله)[3]، أي قرين الكتاب، والثِّقَلُ الأصغر لَزِيْمُ الثقل الأكبر الذي هو كتاب الله، وكما جاء في الصحيح: (أنه مع القرآن والقرآن معه يدور معه)[4]، (ومع الحق حيثما دار)[5].

---

(١) أبي داود / ص٣٤٥ رقم ٥١٢٧، مسلم / ص ٢٠٣٤ رقم ٢٦٣٩.

(٢) البخاري ١/ ١٧٢ رقم ٤٣٦، ٣/ ١٠٣٥ رقم ٢٦٥٧، مسلم ٥/ ٤٣٠ رقم ٢٩١٦ عن أم سلمة، والمستدرك ٣/ ٣٨٦، الترمذي ٥/ ص ٦٢٧ رقم ٣٨٠٠، المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٥٨ رقم ٣٧٢، ومجمع الزوآئد ٧/ ٢٤١، ٢٤٢، طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٢.

(٣) لسان الميزان ٧/ ٤٤ رقم ٤١٨ ، ضعفاء العقيلي ٤/ ٣٤٤ رقم ١٩٥٠.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ص ٢٤ وقال : حديث صحيح ، الترمذي ٥/ ٥٩١ رقم ٣٧١٤.

(٥) المستدرك ٣/ ١٣٤، وصححه الذهبي.

فقول بعضهم إن عليًّا أقربُ إلى الحق قول في غاية السقوط؛ لأن مفاده أن الإمام لم يكن على الحق وإنما كان قريبًا منه، وأن خصمه لم يكن على الحق وإنما كان أبعد من مكان علي منه، فكلاهما إذن على غير الحق، وكلاهما إذا خرجا عن الحق قيد شعرة كانا في الباطل، فالحق في مثل هذا واحد، وآخِرُ حَدٍّ له هو أولُ حَدٍّ للباطل.

ومراد بعضهم بهذا أن يجعل لكل منهما نصيبًا من الحق، وليس الأمر إليه إنما هو إلى الله الذي جعل الحق واحدًا، والباطل أجناسًا وأنواعًا، فإذا نظرتَ في هذا وفيما صح من فضآئل الإمام فقد علمت الحق.

فهذا إجماع عَقَدَتْهُ فضآئله كرم الله وجهه بإزاء إجماع الأمة الإسلامية أنه من الخلفاء الراشدين، إلى غير ذلك من مناقبه الصحيحة.

وإجماع المسلمين على أنه من الراشدين تجلى ذلك عند أن رفع اللهُ عنها كابوسَ معاوية وشيعته بالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي أبطل سَبَّ معاوية ولَعْنَهُ لعليٍّ والذي استمر أكثر من ستين عامًا تردده المنابر كلها في كل جمعة في مشارق الأرض ومغاربها، وهو قول معاوية الذي سنه للناس آخر الخطبة الثانية من خطبتي الجمعة، وهو قوله : اللهم إن أبا تراب قد

ألحد في دينك، وَصَدَّ عن سبيلك؛ فالعنه لعنًا وبيلاً، وعذبه عذابًا أليمًا[1] .

(١)شرح النهج الخطبة رقم ٥٦/رواه الجاحظ والمبرد ، وبعد مصرع الإمام علي كان من الطبيعي وقد امتد نفوذ معاوية على أقطار الإسلام إن يجهد في إيذاء علي ومحبيه فأمر بلعنه، ينظر مسلم ٤/ ١٨٧١، والترمذي ٥/ ٥٩٩ رقم ٣٧٧٤ ، ودلآئل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٥٦، وابن ماجه ج ١ = =ص٤٥ رقم ١٢١، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٥٤ وما بعدها ، والطبقات الكبرى ٦/ ٢١٧ وما بعدها ، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٥٢ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٤٠، وتاريخ الإسلام – عهد معاوية / ص ١٩٣– ١٩٤ ، ومروج الذهب ١٤/٣، وابن حجر في الإصابة ٢/ ٥٠٣.

وقد لُعن الإمام علي على سبعين ألف منبر، وقد قال ابن تيمية في منهاجه ٣/ ٣: بأن أصحاب معاوية قاتلوا عليا ولعنوه، والحاكم ١٠٨/٣، والشافي ١/ ١٥٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٦ رقم ٣٢٠٧٨، وابن حجر في الإصابة ٢/ ٥٠٣، والأبحاث المسددة للمقبلي ص ٢٤٥، وقد رُوي في نهج البلاغة ج ١ ص ٣١٨، وفي وقعة صفين للمنقري ص ٨٢، عندما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص ، فقال: يا عمرو إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله بن عمر ، وقد رأيت أن أقيمه خطيبا فيشهد على علي بقتل عثمان وينال منه ، فقال : الراي ما رأيت. فبعث إليه فأتى ، فقال له معاوية: يا ابن أخي إن لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك وتكلم بكل فيك، فأنت المأمون المصدق ، فاصعد المنبر واستم عليا ، واشهد عليه أنه قتل عثمان، فقال : يا أمير المؤمنين أما شتمه فإنه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، وأما بأسه فهو الشجاع المطْرِق، وأما أيامه فما قد عرفت، ولكني مُلزمُه دم عثمان. فقال عمرو بن العاص : إذًا والله قد نكأت القَرْحَة. فلما خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتله الهرمزان ، ومخافة علي على نفسه ، ما أتانا أبدا، ألم تر إلى تقريظه عليا ، فقال عمرو : إن لم تغلب فاخلُب ، فخرج حديثه إلى عبيد الله ، فلما قام خطيبا تكلم بحاجته، حتى إذا أتى إلى أمر علي أمسك ، و لم يقل شيئا ، فقال له معاوية: ابن أخي ،

وما أضافه بعضهم من لعنه للحسنين وأمهما، فمنع عنها عمر وجعل مكانها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وارجع إلى الكشاف في تفسير الآية[(١)].

إنك بين عيٍّ أو خيانة، فبعث إليه : كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها، فهجره معاوية واستخف بحقه وفسَّقه. وقال عبيد الله أبياتا شعرية منها:

وقذفي عليا بان عقان جهرة   يجدع في الشحناء أنوف الأقارب

=

=وقد روي مسلم ٤/ ١٨٧٤ رقم (٢٤٠٩) عن سهل بن سعيد قال : استُعمل على المدينة رجل من آل مروان فعدى سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال : فأبى سهل. فقال له : أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب. فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، إن كان ليفرح إذا دعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب، فذكر له القصة..الحديث. شرح النهج الخطبة رقم ٥٦، رواه الجاحظ ، رواه المبرد .

(١)روى المرشد بالله في أماليه ١/١٥٣، أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عندما أسقط من الخطب لعن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قام عمرو بن شعيب وقد بلغ الموضع الذي كانت بني أمية تلعن فيه عليًّا عليه السلام ، فقرأ مكانه: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ الآية . فقام إليه عمرو بن شعيب فقال: يا أمير المؤمنين، السنة، السنة – يحرضه على لعن علي عليه السلام – فقال عمر: أسكت قبحك الله . تلك البدعة لا السنة ، وتمم خطبته. وقد روى ابن تيمية في منهاجه ٣/ ٣ ، والعَلَمُ الشامخ للمقبلي ص ٤٥٤ وما بعدها: أن من أصحاب معاوية وبني مروان ممن قاتل عليا ولعنه. وقد قال الزمخشري رحمه الله في الكشاف٢/

حقًّا لقد أدرك عمر – وهو التقي الراشد – أن سبَّ أمير المؤمنين من الفحشاء، ومن المنكر، ومن البغي الذي سَنَّهُ معاوية؛ فرفعه، ورفع عن المؤمنين ما كانوا يعانونه منذ عهد معاوية ويزيد إلى عهده من الاضطهاد والتعذيب والتشريد؛ الأمر الذي لم يَمُتْ عمر حتى عاد، ولكن السبَّ لم يَعُد؛ لأن إخضاع الأمة وإرغامها عليه بعد أن تنفست منه الصعداء كان فوق مقدور من خَلَفَ عمر من الجبابرة والنواصب؛ لشمول مكان السباب، وشمول الوقت لجميع مساجد الأقطار الإسلامية، وأنى لهم بذلك، أما التنكيل فمحصورُ الأماكن، وكان يتجدد في بعضها متقطعَ الزمان.

٦٢٩:﴿والبغي﴾ طلب التطاول بالظلم، وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعنين على أمير المؤمنين علي عليه السلام أقيمت هذه الآية مقامها. ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرًا بغيًا ضاعف الله لمن سنها غضبًا ونكالاً وخزيًا إجابة لدعوة نبيه " وعاد من عاداه " . كما ترى ابن سعد في طبقاته ج ٥ ص ٣٩٣، أخبرنا علي بن محمد عن لوط بن يحيى الغامدي، قال: كان الغلاة من بني أمية= =قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون عليا رحمه الله . فلما ولي عمر أمسك عن ذلك ، فقال كثير عزة الخزاعي :

وليــت فلــم تشــتم عليًّــا و لم تخــف ... بَريًّـــا و لم تتبـــع مقالـــة مجـــرم
تكلمــــت بـــالحق المـــبين وإنمـــا ... تَبَـــيَّن آيـــاتُ الهـــدى بـــالتَّكلمِ
فصَدَّقت معروف الــذي قلــتَ بالــذي ... فعلت فأضــحى راضــيًا كــل مســلم

وقد روى الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٧ اللفظ ، والرواية .

وأمرُ السِّبَابِ والتنكيل بشيعة الإمام كان مما عاهد الحسنُ السبطُ عليه معاويةَ وتعهد هذا أن لا يُحْدِثَ منه، كما تعهد وعاهد على غيرهما من شروط الصلح، فما كاد يدخل الكوفة عقيب الصلح بيوم أو يومين حتى نقض وعده، ونكث عهده وقال على المنبر كل شرط شرطتموه فهو تحت قدميَّ هاتين.

ورحم الله أمير المؤمنين فقد قال: والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر.

هذا ولم يكن معاوية من المهاجرين، ولم يكن من الأنصار، وإنما أسلم بعد فتح مكة راهبا لا راغبًا، قال أمير المؤمنين عليه السلام فيه وفي أعوانه: (والله ما أسلموا ولكن استسلموا، ولقد عرفتهم صغارًا وكبارًا، فهم شر صغار وشر كبار).

وكما غدر بشروط الصلح فقد غدر بالحسن رضي الله عنه ومات شهيدَ السم ليتمكن من إخضاع المسلمين لمبايعة ابنه يزيد، وما أدراك ما يزيد؟! فقد حَمَلَه على رقاب المهاجرين والأنصار، والتأريخ ينعته لك، ويصف لك يوم الحَرَّة، ويوم الطفِّ وغيرهما فَنَقِّبْ في كتب التأريخ عن كل ذلك[1].

---

(١) مروج الذهب ٣/٦٩، ٤/ ٣٨٧، والعقد الفريد ٤/٣٨٧. والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٢١٠، والبداية والنهاية ٦/٢٦١ وما بعدها، ودلآئل النبوة ٦/٤٧٣ وما بعدها، والطبري ٥/٤٠٠–٤٧٠، وترجمة الحسين في الإصابة ١/ ٣٣١ برقم ١٧٢٤ طبعة دار الكتاب العربي ،

هذا وحيث جاء في المنظومة :

فَمَنِ ادَّعَى حُبَّ الوصيِّ مُعَظِّمًا   أَعْدَاءَه فهو الجهولُ الماني

والماني هو الكاذب، فلا بد أن تعرف الشبهة التي زخرفوا بها دعواهم، وهي إيهامهم للجهال أن من صَحِبَ النبيَّ فإن صحبته تُكَفِّرُ جميع ذنوبه السابقة واللاحقة ولا يضره معها أي ذنب، وأضفَوا على هذه الخرافة وأحاطوها بهالة من التقديس لها والإجلال، فأضلوا بذلك كثيرًا من عباد الله، وسنريك عيانًا أنها

وأسد الغابة٢/ ٢٤ رقم ١١٧٣، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٢ وما بعدها ، والاستيعاب ٤٤٢/١. وقد روي ابن الوردي في تاريخه ١٦٢/١ قال صاحب معالم الإسلام: روي عن انس بن الحارث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :(إن بُنَيَّ هذا – يعني الحسين – يقتل في أرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره). وعندما قعد يزيد فوق كرسي المُلْك ثلاث سنوات، (٦٠-٦٣هـ) فقد أنجز في الأولى قتل سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسين ، وسبعين من خيار المسلمين فيهم ٢١ من آل البيت= =وسبى بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي الثانية فتك جيشه وعدده (١٢٠٠٠) بأهل مدينة الرسول في وقعة الحرة بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقتل من أهل البيت وأولاد المهاجرين والأنصار (٤٢٠٠)، فيهم (٧٠٠)من حملة القرآن و (٣) من أصحاب النبي. وافتضت (١٠٠٠)عذراء، واستباحها ثلاثة أيام. وبويع له على أن أهل المدينة خول – أي عبيد – ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : (يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي). دلآئل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٧٣. والطبري ٤٨٢/٥. وابن الأثير ٣/ ٣١٠، ومروج الذهب(٣/ ٧٠). وتاريخ ابن الوردي ١/ ١٦٢. وفي السنة الثالثة أحرق الكعبة ورماها بالمنجنيق بقيادة الحصين بن نمير، فقبح الله من يتعصب لأهل النار بحجة أنه من أهل السنة والجماعة.

ضلالة وإضلال.

قال الله سبحانه لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾، ثم خاطب نساءه بقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٧ - ٣١] صدق الله سبحانه.

ففي هذه الآيات الكريمة جعل ذنبهن - إن وقع - ضعفَ مثْله من غيرهن؛ لأنهن صحابيات، وزيادة على فضيلة الصحبة للنبي، لَهُنَّ فضيلةُ اتصالهن وانضمامهن إليه؛ إذ لسن كأحد من غيرهن من النساء، بل لهن على سآئر النساء فضل وشرف عظيم.

وفي آية أخرى خاطب الله نبيه بقوله: ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٧٥]، وقال له في آية أخرى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فإذا كان الصحابي على زعمهم يستحق المحاباة من الله من أجل صحبة النبي؛ فلماذا لا يستحقها النبي وهو أعلى رتبة وأكبر جهادًا منه؟!. وقال النبي

مُعَرِّضًا بخالد لما آذى عبد الرحمن بن عوف: ألستم تاركين لي أصحابي؟ إنه لو تصدق أحدكم بمثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه [(١)] .

كل هذه الأدلة دلت على أن حسناهم أَجَلُّ من حسنات غيرهم أجرًا، وأن ذنوبهـم أفظع من ذنوب غيرهم عقابا، ولو لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وجاء في الصحيح: (أنه يساق بأُناس من أصحابه يوم القيامة ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقول لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم رجعوا أو قال: ارتدوا على أعقابهم [(٢)]).

فهؤلاء من أصحابه الذين فارقهم وهو راضٍ عنهم، بدَّلوا بعده فأوردهم الله ذات الشمال، لم تنفعهم صحبة النبي؛ لما أحدثوا بعده، وليس المراد به المنافقين، فلا يغشنك بذلك الغاشّون؛ لأن المنافقين أحدثوا في عهده وعرفهم

---

(١)" لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " . البخاري ٣/ ١٣٤٣، مسلم ٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٥٤١، سنن أبي داود ٥/ ٤٥/ ٤٦٥٨، الترمذي ٥/ ٦٥٣/ ٣٨٦١، البيهقي ٩/ ٢٠٩ وغيرهم.

(٢)البخاري ٥/٢٤٠٦، رواه بثمان روايات وفرَّد له باب في الحوض رقم/ ٢٦٠٥-٦٢١٢، ٦٢١٣، ٦٢١٤، ٦٢١٥، وأيضا البخاري ٦/ كتاب الفتن باب ما كان يحذر الفتن / ٢٥٨٧ رقم ٦٦٤١، ٦٦٤٢، ٦٦٤٣، ومسلم بتسع روايات منها مسلم ٥/ ١٧٩٦رقم ٢٢٩٤، ٢٢٩٧، ٢٣٠٤، وأحمد بن حنبل ٩/ ٨٤ رقم ٢٣٣٥٠، ١٠٦ رقم ٢٤٥٣، ورواه غيرهم كثير .

وعلم بنفاقهم، أما هؤلاء فأحدثوا بعده و لم يعرفهم.

إذا عرفت هذا لم يبق لديك شك في باطل زعمهم الذي اتبعوا به أهواءهم، وإذا عرفت مع هذا أن الله خاطبهم فيمن خاطب بقوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، وعلمت مع هذا أن النبي ﷺ قال:(والله لو سرقت فاطمة لقطعت يدها) [(١)]، وعرفت أنه لا هوادة بين الله وبين أحد من خلقه – عرفتَ أن مَنْ أساء من الصحابة مضاعَفُ العقاب يوم الحساب، وأن التماس المعاذير لهم، والاعتماد على الأوهام والظنون، وتجاهل القطعي دلالة وسندًا ما هو إلا ضلال ومكابرة جحدوا بها الحق واستيقنته أنفسهم.

إنهم يعلمون هذا، ويعلمون أن الله عاتب محمدًا ﷺ لأنه أذن للمنافقين بالتخلف عنه، وأن الله أخَّر الوحي مدة لأنه اشتغل عن ابن أم مكتوم بمن هو في نظره إذ ذاك أَهَمُّ، ثم أنزل عليه ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:١] ..الخ. أفلا حاباه ربه؟، كلا لأن مقامه العالي عند الله يستحق أن يحاسبه أعظم مما يحاسب غيره،

(١) البخاري ٣/ ص ١٢٨٢ رقم ٣٢٨٨، مسلم ٣/ ص ١٣١٥ رقم ١٦٨٨، النسآئي ٨/ ص ٧٣ رقم ٤٨٩٨، ٤٨٩٩.

كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولكنهم عكسوا الأمر ليتم لهم ما يريدون ولا قوة إلا بالله.

أما موالاة أولياء الله، ومعاداة أعدآئه فأمر أجلا من ابن جلا، وفي الحديث القدسي:(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وهو المراد في البيت: ضدان ما اجتمعا...الخ.

فأنشدُ الله طالبَ الحق هل عليٌّ من أولياء الله؟ وهل عاداه معاويةُ، وكاده حيًّا وميتًا، ومات على عِدآئه ولَعْنِه؟ وما حكم من كان هكذا من الذين عادوا عليًّا وسبوه؟ هل يتناولهم الحديث القدسي، وحديث:(سباب المؤمن فسوق)[(١)] أو لا يدخل في الحديث عليٌّ إجلالاً لمعاوية؟.

وقد يقول قآئل: فعليٌّ لَعَنَ معاويةَ في القنوت، فلماذا لا تحكمون عليه حكمكم على معاوية؟

والجواب أن عليًّا مُحِقٌّ يدور مع القرآن والحق حيثما دارا، وداع من الدعاة إلى الجنة، فإذا لعن داعيًا مًّا إلى النار، ومحولاً للخلافة الإسلامية إلى ملك

---

(١) البخاري ١/ ٢٧ رقم ٤٨، البخاري ٥/ ٢٢٤٧ رقم ٥٦٩٧، مسلم ١/ ٨١ رقم ٦٤، الترمذي ٥/ ٢٢ رقم ٢٦٣٥، النسآئي ٧/ ١٢٢، البيهقي ١/ ٢٠٩، احمد بن حنبل ٢/ ٢٨ رقم ٣٦٤٧، ٨٣ رقم ٣٩٠٣، ١٢٩ رقم ٤١٢٦ وغيرهم رواه كثير.

عضوض، والمنعش للعصبية والقومية التي أماها النبي ونهى عنها – فإن اللعن من المحق لمن يستحق حقٌّ لا فسوق، كمن لعنهم رسول الله، أو لعنهم الله؛ فإن اللعن لمستحقه لا اعتراض عليه، بينما السب لمن لا يستحق السبَّ لاسيما لأول من آمن بالله، أَعْظَمِ أبطالِ الإسلام غَنَاءً في الغزوات والسرايا، فسبُّه فسوق الفسوق بنص الحديث في الصحاح.

ألاَ ما أغنى المسلمين اليوم عن إثارة الخلافات بعد أن دفنتها مئات السنين وتناسوها، وما أشدَّ حاجةَ المسلمين إلى قيام دعوةٍ تبث بينهم الصفاء، وتوثق الصِّلاتِ، وتُقَوِّي الإخاءَ في عصر أصبحوا فيه شذر مذر، أما إثارة مثل هذه الخلافات التي لا تعود بأي نفع في حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل تزيدهم وهنًا وشتاتًا وضعفًا بين الأمم، لا سيما إثارة الباطل منها فهو أمر تستنكره العقول وتأسف له غاية الأسف.

أَمَا في قادة الأمة وملوكها ورؤسآئها – ويا للأسف – مَنْ يتيقظ لخطورة الأمر على دنيانا إذا كان لا يهمهم أمرُ ديننا.

أمَا في علماء المسلمين مَنْ يرى مِنْ واجبه النصحَ لزعماء الأمة الحاكمين والمناشدة لهم أن يُكَوِّنُوا بدلاً من مثل هذا جمعية ومنظمة من علماء الأقطار الإسلامية. منظمة لا تقيد بسياسة أو جهة، منتقاة من واسعي العلم والإيمان، تُؤَسِّسُ ما من شأنه نَشْرُ المحبة والحقيقة، وما من شأنه القضاءُ على الرواسب المظلمة.

إن الله لَسآئلُهم عن ذلك، وعن جاههم الذي ما نفعوا به العامَّة، وحصروه في نطاق ما يخصهم؛ لا سيما مَنْ لهم شهرة ولكلمتهم قبول، فالمسؤولية عليهم أعظم. أمَا في قوله سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المائدة: ٧٨] .. الخ وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].. الخ. أما في هذا ونحوه من وعيد الله ما يكفي لتأدية واجبهم على الوجه الأكمل المجدي، لا بمجرد إبلاء العذر يا علماءَ كافة الأرجاء؟!

قال قآئل رحمه الله[١]: تصَلَّبَ في دين الله رجالٌ فَجُهِّزَ من كلماهم جنود مجندة، وجرد من ألسنتهم سيوفٌ مُهَنَّدَةٌ، ونُكِّس لهم رؤسُ الصَّيْد، وخُفِضَ لهم أجنحةُ الصناديد، وأوهن آخرون فضُرِبَتْ بهم الأكالب، وبالت عليهم الثعالب، إنما حفظوا وعلقوا وصفقوا وحلَّقوا ليقمروا المال، ويَيْسِرُوا ذراريع خَتَّالة، وذراريح قَتَّالة، وأكمام واسعة، فيها أَصْلالٌ[٢] لاسعة، وأقلام، كأنها أزلام.

أيها العلماء إن غالبية القادة والزعماء بحمد الله يخافون الله ويرجونه، ويحبون الصلاح والإصلاح بدون شك ولا ريب، ويقبلون النصح ويشكرون

---

(١) للزمخشري في النوابغ.

(٢) ثعابين.

أهله، وهذا مزيد من الحجة لله على العلماء إن قصروا.

إنكم ملاقوا ربكم فماذا أنتم قآئلون إذا فلجكم الزعماء بين يديه بأنكم قصرتم في تذكيرهم، وفي تعليم الناس أمور دينهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو واجبكم؟، ماذا سيكون الجواب ؟ وكيف سيكون مبلغ الحسرات حينئذ؟.

وتصوروا كيف يكون الحال للرؤساء والخاصة والعامة لو قام العلماء بواجبهم وأَرَزَتِ الرذآئل، وانتشرت الفضآئل، وسقانا الله ماءً غدقًا، وعمت السعادة، وعلت كلمة الله، وعزَّت الأمة؛ واحترمتها الأمم، واقتدت بها، ورغَّبها واقعُ المسلمين الشريف السعيد الرشيد؛ فدخلت لذلك في دين الله أفواجًا، وزرافاتٍ ووحدانًا.

ولكن ويا أسفاه ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١ - ٣]، بالعاجل الداني والحطام الفاني.

هذا وفي الوقت الذي نرى فيه الدعاة للفُرقة والفتنة، نرى الشيوعية تزحف من أرض إلى أرض، وتنتقل من نصر إلى نصر، وتتسابق الشعوب إلى متابعتها حتى عمَّت أرجاء الصين وهم ثلث سكان العالم، ثم زحفت فالتهمت الهند الصينية وطردت منها أمريكا مهزومة، وتغلغلت في أوربا وابتلعت أفغانستان، وأرست أساطيلها الجبارة في المحيطات، وأنشبت مخالبها في جنوب القارة

الأفريقية وغيرها[١]، بينما يرى هؤلاءِ الدعاةُ هذا، ويرون المسلمين لم يبق فيهم من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، قد أغرقتهم الشهوات في الكبآئر والملذات، وتقبلوا فوادح الشبهات الماحية لجوهر الإسلام وأركانه وأصوله – إذا هم يشتغلون بمسآئل خلافية ظنية: مَنْ أصاب فيها فله أجران، ومن أخطأ عفى الله عنه وكتب له أجر اجتهاده، فيقيمون الدنيا ويقعدونها، ويدعون بالويل والثبور على الذين يدرسون سورة يس قلبِ القرآن على موتاهم وإلى أرواحهم، ويستغفرون لهم وللمسلمين أجمعين، ويشيعون موتاهم بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الذين يسبحون الله ويوحدونه ليلاً من المنارات لإيقاظ النآئمين للصلاة والسحور ونحو هذا من سُنَّةٍ مختلف فيها، أو بدعة حسنة استحسنها أهلها، ولكن بعض الدعاة يرى أن هذا ضلالة؛ وكل ضلالة في النار.

---

(١) كانت كما ذكر المؤلف حفظه الله، ولكنها قد اندحرت وتكسرت ومزقها الله شر ممزق ، وصارت الصولة والجولة لأمريكا وخلال كتابة هذه السطور دخلت القوات الأمريكية بغداد، واختفى صدام حسين رئيس العراق، وذاب حزب البعث خلال ثلاث ليال من الزحف على بغداد. وقبل العراق بأشهر احتلت أفغانستان وأزالت حكم حركة طالبان، وهاهي تهدد سوريا وتعربد شرقًا وغربًا ، وهي الآن القوة العظمى الوحيدة يتحكم في قيادتها جورج دابليو بوش وشلة من الصهاينة والصهاينة المتنصرنين مثل : رامسفلد و.رايس وكولن باول. أتوقع كما هو منطق التاريخ أن أمريكا تحفر لحتفها بظلفها فهي تدعم الإرهاب الصهيوني اليهودي في فلسطين ، كما تدعم إحدى ولاياتها بل وأعظم.

ومن المحزن جدًا أن التعليم في عموم مدارس العالم الإسلامي صعلوك من تغذية الطلاب بما يحتاجونه كمسلمين اللهم إلا النادر لكنه مع اعوجاج، أعرج.

يمشـــي علـــى ثلاثـــةٍ   كمشـــــية العَرَنْجَـــــلِ

أما ما يتلقاه الطلاب في أغلب البلدان فضئيل جدًا، وهذا من كيد المستعمرين، لاقى من المسؤلين فينا تجاوبا بل وإجلالاً وإعظامًا، أضف إلى هذا أن التعليم والإعلام بمختلف وسآئله في بلدان الإسلام يهدم الإسلام بكلتا يديه، ويشجع كلٌ منهما على التمرد والخروج عليه؛ تعاطفًا مع التعليم والإعلام في البلدان الكفرية، وإعجابًا بحياهم الماجنة وبمحاكاهم فيها.

هذا والحياة السعيدة الخالصة من الشرور والفساد لا وجود لها في أمريكا أرقى بلدان الكفر، وفي روسيا ولا غيرهما، فحياهم منغصة مشوبة بالشقاء والعناء، ثم هي مفضية بهم إلى أتعسَ وأشقى. وإن الحياة السعيدة الشريفة الهانئة المفضية إلى أسعدَ وأشرف وأهنأ لا توجد ولن توجد إلا في ظل الإسلام حين يُطَبَّقُ وحيثما يطبق عقيدةً وحكمًا وسلوكًا وأخلاقًا ونظامًا.

أقول هذا وأنا أعني ما أقول وعلى يقين مما أعني، لا جزافًا ولا تنجيمًا ولا رجمًا بالغيب، فويل للمسؤلين عن التربية والتعليم وعلى الإعلام في بلاد المسلمين جمعاء من يوم يُرْجَعُونَ فيه إلى الله يحملون مع أوزارهم مثل أوزار من أفسدوا من العباد، وويل لهم من ألسنة وأقلام الأجيال الآتية التي ستَصُبُّ عليهم اللعنة وسوء الحساب. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى

ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧].

اللهم وفقنا جميعا لما فيه رضاك، وأعز الحق وأهله في جميع بلادك وبين جميع عبادك، وأذل الباطل وأجناده وأجناسه وأنواعه في جميع بلادك وبين جميع عبادك، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

٣١ صفر سنة ١٤٠٠هجرية

تعليقات

على

منظومة برق يماني



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يرضاه ويرضى به عنا دآئما بدوام الله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الأكرمين قرناء القرآن، وسفراء الديَّان إلى يوم الدين.

لقيني من جزَّوني خيرًا على هذه المنظومة "قدسية الإيمان"، وأثناء ذلك لقيني شاب **فقال**: أنت صاحب برق يماني؟، **قلت**: نعم، **فقال**: قد سمعتُ كثيرا مرشدين لم يطعنوا في مخالفيهم ولا عابوا مذهبهم، **فقلت**: أحسنتَ، ولكنك لم تسمع الجميع، بل ولا شهدت كل مقام قام فيه من سمعتَهم، فكيف بمن في سآئر البلاد؟! كما أنني لا أحصي عدد الذين يَتَوَجَّعُون، والذين يُحَمِّلُونَنَا مسؤلية السكوت، ولقد سمعتُ أنا بعضهم مرارًا في أمكنة متعددة وأزمنة مختلفة.

منها أنه قام في مسجد النهرين بين العشآئين أحدُهم فشرَّح الله تشريحًا كما يُشَرِّحُ الطبيبُ لتلامذته أعضاءَ الإنسان، واستدل على الجوارح التي تَوَهَّمَهَا حقيقةً لرب العالمين عز وجل عن ذلك بظواهر من آيات، وأحاديث ظنية، ومجازات زَعَمَهَا حقآئق، وحرفها عن مواضعها، فتحفز غير واحد لإخراجه وانتهاره، و في الحاضرين الأخ حمود بن عباس المؤيد والأخ يحيي الصعفاني والأخ يحيى العلفي وآخرون من المتفقهين.

وقد فكرتُ في أنه لو قام إليه أحد لتسابق العامة إلى الرجل بما يسوء، ولتعذر علينا الدفاع عنه، فأومأتُ إلى كل متحفز بالتوقف، وأوهمناهم بأننا

سنرد عليه متى أكمل حديثه. وما أكمل حتى أوعزنا للمقيم فأقام الصلاة مكتفين بأذان المساجد الأخرى، و لم ندع فرصة لأي متكلم. وبعد الصلاة تلقينا اللوم من كثير لعدم إسكاته، وبعد أكثر من ساعة رأيتُه صدفة واقفًا في الظلام على جانب الطريق يتهامس مع معروف عندي من جماعتهم وهو يرد عليه قآئلا: لا، وأشار بيده إلى المسجد إشارةَ النفي، أي إنه لم يعترض عليه أحد، وقد لفت وجهه حال كلامه إلى المسجد، فعرفت أن المسألة مدبرة مدروسة. كان هذا حوالي سنة ١٣٨٥هـ أو سنة ١٣٨٦ هجرية.

أما الآن فقد توسعتْ كثيرًا، وتبيَّنَتْ مصادرُها ومنابعُها، لكن قد قال الأول:

وفي كـــل شـــرٍ دعتـــه الخطـــوب ... شواســـــعُ منفعـــــة أو دواني
وأجـــــزاءُ تَريــــاقِهم لا تَـــتِم ... إلاَّ بجـــــزءٍ مـــــن الأُفْعُـــوانِ

وما زالت الدعاة واللوم لنا في تكاثر.

ولقيني البارحة شاب سيماه الصلاح عقيب صلاة العشاء، فقال نحو قول الأول، وزاد أَنَّ ثَمَّةَ مغرضين يريدون إيحاش الناس من المرشدين، فقلت:- أحسنت، وأود أن نجتمع وتزيدني في وقت أوسع من هذا، واكتفيت بإفهامه أنني لم أعمم كل المرشدين، وبأنني مع الذين يرشدون الناس فيما ينفعهم من التذكير وأحكام الحلال والحرام والخير، ولا يطعنون في الحق ولا يزيفونه، ولا

يزينون الباطل ولا يزخرفونه، فَمَنْ حالهم هكذا من المرشدين فإني لم أَقْصِدْهُمْ ولا يشير إليهم كلامي، في برق يماني أصلاً، وأرجو أن تتأمله.

هذا وقد شاع وذاع ما ينكر الناس علينا التغاضي عنه من الحملات المسعورة ضد الحق وأهله، ومن سموم الدعايات الكاذبة المغرضة ضد الزيدية خاصة، واليمنيين عامة، وتحريف الحقيقة لتضليل الخليقة، فهنا من يتهمهم بعدم العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهناك من يتهمهم بالشرك وعبادة القبور، وآخرون يتهمونهم بالكهانة والكهنوت، وغير ذلك كثير مما تنفثه سموم الحقد والبغضاء والجهالة الجَهْلاَء من أَلْسِنَة الضالين وأقلام السفهاء مما لا يحتاج الواقفُ (على مثل هذا) التنبيهَ على إفلاس المتقولين من المعرفة والعقل والحكمة.

ورغم معرفتي بوقوع وصدور هذا من بعض من أعرف أعيانهم إلا أَنَّ كلامي معهم سلك مسلك الإقتداء برسول الله ﷺ، إذ كان يقول: (ما بال أناس)، ولا ينكر على معين. وعلى كلٍّ فمرحبا بالنقد الوارد، وأتشرف به وبالإصلاح لكل خطأ.

ولا أدري ما إذا كان هذا الشاب سيحرص على الاجتماع والمراجعة فبها ونعمت، وإلا فهذا تأكيدٌ له ولمثله بأننا نُجِلُّ الواعظين الذين لا ينتقصون ولا يُجَهِّلُون الهداةَ، ويُعَلِّمون الناس ما يحتاجون من معرفة الواجبات، والمحظورات، والمسنونات، والمكروهات، ومكارم الأخلاق وأحاسنها ومكارمها ومساويها.

فأما ما يتعاطاه بعضهم من التهليك للمسلمين بمسآئل خلافية ظنية حَكَمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه من أصاب فيها فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ – فإنما يخوضون في الباطل، وفيما نهاهم الله عنه مِنْ زَرْعِ الشحناء بين المسلمين والتباغض والتدابر، وذلك عكسُ ما أمر الله به من التآخي والتعاون والتوادِّ، وأن نكون كالبنيان المرصوص، وعكسُ ما حذرنا منه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ لأن المراد بالتفرق المنهي عنه هو تهليكُ بعضهم لبعض، وتكفيره، ونسبته إلى الشرك والضلال، وليس المراد الاختلاف في الاجتهاد في الظنيات، فهذا قد أَقَرَّنَا عليه اللهُ سُبحانه على لسان من لا ينطق عن الهوى إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوْحَى، وبتقريره صلى الله عليه وآله وسلم لما رآه من اختلاف أصحابه في الاجتهاد، فأقر كُلاً منهم: مثل اختلاف عمار بن ياسر وابن العاص، الأول أعاد الصلاة عندما وجد الماء وفي الوقت بقية، والثاني لم يعدها، فقال لعمار: لك الأجر مرتين، وللثاني: أصبت السنة.

وعندما صلى بعضهم العصر قبل أن يصل إلى بني قريظة لئلا يخرج الوقت، وأخرها آخرون حتى أدوها هناك بعد خروج الوقت.

وكما قال سبحانه لمن قطع نخيل بني النضير ولمن استبقاها: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، فأقر كلا

منهم على اجتهاده كما حقق ذلك ورثة الأنبياء عليهم جميعا وعلى آل نبينا الصلاة والتسليم.

وممن كتب في هذا الموضوع ابن تيمية في رسالة خصَّصها بهذا الموضوع وسماها "رفع الملام عن الآئمة الأعلام" ذكر فيها أن الخلاف في الظنيات: سندًا أو دلالةً أو سندًا ودلالةً حاصلٌ وواقعٌ أيام رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين وأيام التابعين جيلاً بعدَ جيلٍ و لم ينكر أحدٌ منهم على أحدٍ، ولا هلَّك أحد منهم أحدا، ولا زرع ضده البغضاء.

فكيف يَجْهَلُ هؤلاءِ هذا ويَنْقمُونَ على من يُؤَذِّنُ بحيَّ على خير العمل، والحال أنه قد صح لديه أنه كان يُؤَذِّنُ بها أيام رسول الله ﷺ، وقد قال ابن تيمية في رسالته المذكورة: "إنه يجب على كل أحدٍ أن يعملَ بما صح عنده وإن كان يراه الآخرون غيرَ صحيح كما فعل أبو بكر وعمر وعليٌّ فيما اختلفوا فيه، و لم ينقِم أحدٌ على أحدٍ لأنه خالفه في ذلك".

إنهم ليعلمون هذا ولكن بغضهم للزيدية أعماهم وأصمهم وأعمى أَبْصَارَهم ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

إن الحق لواضح، ولكن البغضاء الشديدة تحمل من لا يَتَّقُونَ اللهَ على انتهاز الفُرَص، وعلى التعصب بالباطل للباطل على الحق المبين، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٣٥].

والجدال بالباطل في الحق بعد ما تبين أيًّا كان نوعه أو جنسه، ومهما تضاءَلَ أو تعاظَم أمره فهو – وإن كان عند صاحبه هينًا – فهو عند الله عظيم.

وتعَصُّبُ هؤلاء وأسلافهم ضِدَّنَا و ضِدَّ أسلافنا منذ القرن الأول للهجرة إلى عصرنا أَبْيَنُ مِنْ أَنْ يُبَيَّنَ، لا لشيءٍ إلا لأننا نرى أن عليًّا كرم الله وجهه تَجِبُ موالاتهُ ومحبّةُ أوليآئه، وتَحْرُمُ معاداته ومعاداةُ أوليآئه كما تحرم موالاةُ أعدآئه؛ ولذلك قاموا علينا كما قاموا عليه وعلى المهاجرين والأنصار في صِفِّيْن وما بعدها، وحاربونا كما حاربوه وحاربوهم، واستباحوا دماءنا كما استباحوا دمه ودماءهم، وهم بذلك يجرحون روايات أسلافنا وينسبونهم وإيَّانَا إلى الكذب والوضع ولا يقبلون حديثنا، ويرون أَنَّ تَشَيُّعَنَا لعليّ قاصمةٌ لديننا، ويبررون ذلك التمويه بأننا غلاة، وهو محض افتراء يعرفونه في قرارات أنفسهم، فَبيننا وبين الغُلُوِّ مابين السماء والأرض، وإنما ذلك مجرد دعوى منهم تتماشى معها أهوآؤهم، ويبررون بها أحقادهم ومواقفَهم ضد الإمام علي وأنصاره وذريته في صفين والنهروان والحرَّة والطفِّ وغيرها.

وحسبك أن تقرأ ما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه "الإمام زيد"، صفحة (٥١) حتى نهاية البحث، وأيضا أن تطالع في كتاب (عدالة الرواة والشهود) للدكتور المرتضى بن زيد مبحث التشيع، وأن تستعرض للكميت:-

مدارسُ آيات خَلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحْيٍ مُقْفِرُ العرصاتِ
لآلِ رسول الله بالخَيْفِ من منىً وبالحِجْرِ والتعريف والجمراتِ

وهذا مجرد تمثيل وليس محل البحث والتحقيق، فالمرشدون اليوم -أي هذا النوع منهم- يثيرون أحقادا وفتنا قد نامت وهجعت؛ ليحملوا أوزارهم وأوزار من يضلونهم إلى يوم القيامة.

كما نؤكد أننا نتغاضى منذ سنين ونوصي بالتغاضي عسى أن يرجعوا عن غيهم كما قيل:

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكونُ ورآءَهُ فرَجٌ قريبُ

وكما قيل:

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تنفرجي قد آذنَ لَيْلُكِ بالبَلَجِ
وظلامُ اللَّيْلِ له سُرُجٌ حتى يغشاهُ أبو السُّرُجِ

وإشفاقًا من الإسهام في المزيد من تفرق أمة محمد ﷺ وتبديد قلوبها، وخوفًا من المشاركة في مسئولية تمزيقها، وأملاً في أنَّ مآسيَها قد أفادتها، وأنَّ استهانة جميع الأمم بهم يوشك أن يُوْجِدَ عندها ردَّ فعل ويقظةً تَحْمِلُها على

سلوك الجادَّة، وتلبيةِ القرآن، والراشدين؛ لجمع شتاهّا، وتطهيرها من الأدناس، وردَّ اعتبارها بين الناس، وتجديدَ مجدها وعزها بين سآئر الأجناس.

ولكن ويالِلأسف الشديد يظهر أن يوم اليقظة مازال بعيدًا، وأن محاولي الإصلاح من الراشدين لا يُجَابُون كأنهم يُنَادُون أمواتًا. وأما القاسطون فيُجَابون، ولكنهم يزيدون الأمة فرقة وشتاتًا؛ فقد سلكوا طرقًا شتى كلها عقيمةٌ، وحاولوا طيلة قرننا هذا الهجري القمري المشرف على الغروب محاولاتٍ كلها فاشلة، لا يخرجون من فشل إلا إلى مثله فلا يهتدون سبيلاً؛ لأنهم استبعدوا تجربةَ : (لا يَصْلُحُ أَمْرُ آخِرِ هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أوَّلُهَا).

في هُــوَّةٍ حُطُّــوا ومِــنْ رأيهــم   أنَّهمُـــــو في رِفْعَـــــةٍ يَرْتَقُـــــون

ولله در ابن دريد إذ يقول:

مَــــنْ لم تُفِــــدهُ عِبَـــرًا أيامُــــه   كـان العمـى أولى بـه مـن الهـدى

وذلك لأنهم جعلوا القرآن بآدابه وأحكامه وأخلاقه ونظامه وراءهم ظهريًّا، واستبدلوا به شيئًا فَرِيًّا.

مَـنْ نَـاط بالجهـل عُـرَى أخلاقـه   نِيطت عُرَى المقتِ إلى تلك العرى

وإذا نظرت في أيَّة حكومة تحمل لقب الإسلام وجدهّا عند الأمم الأخرى محتقرةً، أو أيِّ أمة مسلمةٍ وجدتَها كذلك. أمَّا الحكومات فلأن مصالحها الخاصة قد أَعْشَتْهَا عن النظر في المصالح العامة، وأما الأمم فلأن استنامتَها إلى الفساد وما يشتهون، وتضييعهم للإسلام ونظامه، وتمردهم على آدابه وأخلاقه

وأحكامه قد أفقدهم العزة والكرامة وشرف الدارين وسعادهما، وكلٌّ من الحاكمين والمحكومين عبيدُ أهوآئهم يجهلون جهلاً مركبًا داءَهم من دوآئهم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، ولولا هذا ما دبَّ في أوصال الأمة الإسلامية الهوانُ والإلحادُ، ولا أضحكتْ إسرآئيلُ منهم العبادَ، ولا بلغ بهم الذل واليأس إلى أبعد مما بلغ بالقآئل:

هل يغسل الناسَ من وجه الثرى مطرٌ   فما بَقُوا لم يُفَارِقْ وَجْهَهُ دنسُ
والأرضُ ليس بِمَرجُوٍّ طهارتُها   إلا إذا زال عن آفاقِها الأُنُسُ

نعم علم الله أننا نغضي سنين على القذى شاعرِينَ بالإثم، إلا أنني أعلل نفسي برجآء أن يُعْذِرَنَا الله بتخوفنا من أن نزيد الطين بَلَّة، والحالَ عِلَّةً، وأن يُقْبَلَ منا معالجةُ الأمر بالنصح في الآذان، والاكتفاء به عن الإعلان، ولكن ما زاد سكوتُنا النارَ إلا اشتعالاً، والحقَّ إلا وبالاً، فاقتنعتُ أننا إنما نعلل أنفسنا بما لا يعفينا عند الله من التقصير في الواجب نحو الحق والناس أجمعين.

ولَمَّا كانت خواطر الفصلين الأولين من المنظومة لا تَدَعُني منذ زمن طويل كلما خلوت بنفسي من ليل ونهار في كثير من أوقاتي، فقد هجم عليَّ نظم نحو عشرة أبيات عفوًا بدون سابق رَوِيَّة، فلم أشعر إلا وأنا أترنم بها وأنا أتمشى في صباح يوم من عشر ذي الحجة الحرام سنة ألف وثلاثمآئة وتسع وتسعين هجرية قمرية في بستان العلمي أُرَوِّحُ وأفسِّح صُغْرَى ولدي، وإذا بالأبيات تجري على

لساني بدون كلفة، فلما رأيتها هكذا جاءت بسهولة بادرت بتسجيلها ورغبت في استكمال موضوعها.

ولما كان النكير عليَّ لم ينقطع من مختلف الجهات اليمنية لسكوتِ مثلي عما أشرت إليه وعن غيره من النشاط المعادي للعدل والتوحيد خُصُوصًا، فقد ألحقتُ بالفصلين ما تلاهما والجميع في حدود فهمي القاصر.

ولما اطلع عليها البعض اقترح أن أمزجها بإيضاحات لمزيد من الإفادة، فكتبت نظرات، وجعلت لها مقدمةً ففاتحةً ذكرتُ فيها تسميتها "برق يماني"، وترجح لي تنكير الاسم على تحليته بلام التعريف، وإن كان بها ألطف في السمع واللسان، إلا أ نه سيكبر الاسم على مسماه، والبرق بأل المعرِّفة يليق بمجلد ذي تحقيق وتدقيق، لا بسطور تعليق. ولما استعرَضَتْها بعضُ الأنظار، اقْتَرحَ عليَّ بإلحاح إعادة كتابتها بخط أوضح وإضافة إيضاحات أخرى يرونها لازمة متخللة للنظم، فكتبت هذه المقدمة وأدمجت الزيادات على النظرات أثنآئها، وأرجو اللهَ أن يتقبله وأن يغفر ما هو به أعلم، وعذري عند القرآء فيما يجدونه من القصور والأخطاء أني لست في العِير ولا في النفير، ولهم الشكر على إصلاح ما عسى يجدونه من خطل ويكتشفونه من خلل وزلل وأسأل الله لي ولهم الغفران وحسن الختام.

قدسية الإيمان

عِلْمِـي بـربي شـامخُ الأركـان	بالعقـل أَشْـهَدُهُ وبـالقرآن
مـا مـرَّ بي جَهْـلٌ بـربي لحظـةً	وأحـاط جهلـي بي جميـع زمـاني
لم أدرِ ما أنا هل أنا أنا أي أنا الـ	مُتَحَيِّـزُ المحكـومُ بالحـدثان
أنـا جُـزْءٌ اوْ كُـلٌّ أمَحْسُـوسٌ فحـ	ـسبُ أَمِ المشاهَدُ ليس غيرَ مكاني
هل ما تبخَّر أو تَجَدَّدَ من وجو	دي أو تبقـى كلُّـه جُثمـاني
هـل حَـدِّيَ الجَمَّـاعُ والمنَّـاعُ في	دنيـايَ حَـدِّي في الثـرى أم ثـاني
أنا هَيْكَلِيْ أَمْ رُوحِيَ امْ نَفْسِيْ أَمِ الْ	إدراكُ أَمْ مجموعُهـا إنسـاني
إن قلـتُ مجمـوعي أَقَـلْ أفمـي ذَا	في لحـده سـيجيبُ بالإيمـان
أَلِكُلِّهـا حَشْـرٌ ولِلْكُـلِّ الجَـزَا	رَبِّ اهْـدِ للحـق المـبين جنـاني

كتبته أولاً أقول: أفميَّ ذا سيجيب فَتَّانَيْه بالإيمان، وهو صحيح فصيح، ومنه قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢] ، أي فهو يكون.

وأنا أقول: وهذا أرجح إلا أنه قليل الإستعمال، والمعدول إليه مرجوح من حيث إن فَمِيَّ بالتشديد لم يَرْوِهَا ابن الحاجب في كافيته إلا عن الزجَّاج، والمعنى إذا سئلتُ في قبري مَنْ ربي؟ فهل سأُجِيبُ الفتَّانَينِ بفمي هذا الذي أتكلم به الآن بأن تُعَادَ لجسدي الحياةُ بالصورة المشاهدة الآن؟ أم سينطق هو لكن على صورة مخفية عن الأحياء؟ أم المجيب الروح أو نحوه؟ .

وإذا كان هذا هو المجيب، فهل يلزم أنه على صورة الجسد على رأيِ مَن ادعى أنه كالجسد مُدَاخِلٌ لجميع أجزآئه؟ وعلى فرض هذا فلست أنا الجسد ولكني فيه وهو مكاني. أما عَجُزُ ما كتبتُ أوَّلاً فلعل ثَمَّةَ مَنْ يرجحه فاختر أيهما ترجح لك.

وحد الشيء: الجامع لأفراده، المانع من دخول غيره فيه ، والحِدْثَانِ بكسر الحاء المآسي، وحوادث الدهر: من صغر وكبر وشبابٍ وهرمٍ وأمنٍ وخوف وصحة وسقم وغيرها، والقصد بجميع التعليق الإيحاءُ للقارئ بمحل الخواطر التي تفتق عنها المنظوم بمنثور يكون أوضح.

هـلْ يقبـلُ العقـلُ اعتبـاري جُثَّتـي	كَمَشِـيْمَةٍ أمْ ذَا مـن الهَـذَيان
وتَفَكُّـرِي في الـروح أو في النفس لا	يُفْضِـي إلى شـيء سِـوَى المَـيَلانِ
فـالروحُ مـا هـيَ والحيـاةُ أَهـيْ أنـا	يـاَلَلْغُمُوضِ ويـا لَعَجْـزِ بَيَـانِي
أَخَـزَآئنُ المعلـومِ جسـمي أم سِـوا	هُ وأيـن تُصبحُ بعـد مـوت عيـاني
مـا حجـمُ ذا أم أيـن ذا أم كيـف ذا	أعْظِـمْ بِجَهْلِـي مـا حَـوَتْ أرداني
مـا كُنْـهُ ذا مـا كُنُّـهُ مـا كَمُّـهُ	مـا كَيْفُـهُ هـذا الغمـوضُ كيـاني
عجبًـا أأجهـلُ مـا أنـا وأنـا الـذي	بـاللهِ بـالرحمنِ ذُو الْعِرفَـانِ
أَللهَ أَشْـهَدُهُ وأَشْـهَدُ غـيرَه	غـيري وغـيرَ حقيقـة الحيـوان

الله أشهده بنصب الجلالة لإفادة التأكيد المناسب لمقتضى الحال بخلاف رفعها. قال البوصيري رحمه الله "ومن شده الظهور الخفاء"

نعم لا يعتري الإنسان شك في نفسه أنه كيانه الحي الناطق الماشي على قدمين، عريض الأظفار، بادي البشرة، مستوي القامة، الضاحك بالطبع، الشاغل للفراغ، المتحرك بالإرادة، المدرِك بالحواس الظاهرة والباطنة، وأنه مؤلف من أجزآء وأعضآء، وهكذا كل إنسان؛ فالعلم بهذا ضروري لا يحتاج إلى استدلال، لكنك إذا تَشَعَّبتْ بك التأملات فيما قيل عن الإنسان وماهيته ضِعْتَ واختفيتَ عن نفسك تماما، مثلا قالوا: إن جسمك يتبدل كل سبع سنين أو نحوها على حسب الخلاف بكماله، وعليه فإذا عُمِّرْتَ سبعين سنة فما سيواري منك القبرُ إلا عُشُرَك، أما تسعة أعشار فَستُخَلِّفُها على وجه الأرض وهوآئها، وإن أكثر فأقل، وإن أقل فأكثر، ويضاف إلى المتخلف منك المذكور عن باطن الأرض ما قلمت من ظفر، أو أزلت من شعر، وما هرقت من مآء الحياة ودمها[1].

---

(١) وما قيل أن ما سيبعث من الجسم هو ما به تقوم الحياة فاجتهاد، وعلى فرض سكون النفس إليه فقد تبدل في المثل مرارا، وكم رددت في خضم التأملات قول الشاعر:-

والناس في ظلم الشكوك تنازعوا ... فيها وما لحوا نهارًا باهرا

وإخالنا في البحر ليس بسالمٍ ... منه الذي ركب الغوارب ماهرا

❖ في المنجد: ومضارعه للمتكلم المفرد إخال وأخال.

كذلك إذا وقفت على تخرصات الحكمآء حول النفس كابن سينآء في :هبطت إليك من المحل الأرفع

ثم عندما تقتنع أن الإدراك والإحساس على اختلافه غيرُ آلاته، وعندما تقف على تقسيم الأرواح إلى روحاني وجسماني أو ترابي ..الخ.

وعلى أنظار الأصوليين حول ماهية العقل ومكانه من الأعضآء، وما قيل عن الحواس الخمس الباطنة: الخيال، والوهم، والفكر، والذكر، والحفظ، وأن الحس المشترك في التجويف الأول من الدماغ، وخزانتهُ الخيال، والفكرة في التجويف الأوسط..الخ.

وعندما تقف على مثل كتاب: جمع الشتيت عن أحوال الموتى، وما جآء فيها من أحاديث يصعب أحيانا ويتعذر أخرى التوفيق بينها، وتود لو رزقت اليقين عن لفظ ومراد رسول الله ﷺ وعن المعنى المتعين في مثل قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ومثل: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، هل هو لُبث الدنيا، أم البرزخ الذي يرجحه عندي قوله تعالى حاكيا الجواب على الذي مر على قرية خاوية:﴿قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وكان قد ظنها يوما أو بعض يوم، وعندما تقف ناظرا إلى بقايا أجساد في قبور جرفتها السيول، أو الحُفَرِ بعد اللبث فيها مئات السنين، وعلى

أجساد محنطة منذ آلاف السنين، وعندما تفكر في أجيال فاتت التأريخ وأجساد تحجرت كما قال:

خفف الوطء ما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الأجساد

فلا ترى أثرا لنعيم أو عذاب برزخي، وتجد نفسك منهكة القوى من الجري ورآء الحقيقة، وتحس بتزايد الحرص وأنت تحوم وتدور حول الحجاب العظيم بينك وبينها عساك تجد ثقبا أو نقبا تختلس منه نظرة إلى الحقيقة فتُلْقيَ عصا الأسفار والتجوال وتستريح من عنآء البحث باليقين.

كذلك عندما تقف على دعوى من قال: الإنسان هو جزء صغير محله القلب، أو دعوى أنه الجسد وحده، وحياته وروحه غيرُه، أو قول مَنْ زعم أنه ثلاثة أشيآء: الجسد، والروح، والنفس، أو من تَكَهَّنَ أنه الروح فقط ثم فسر الروح بالحياة كما قالوا في المجاز المبني على مجاز، ولم يفطن لقوله تعالى: ﴿ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسرآء: ٨٥]، وأن السؤآل والجواب يَسْتَبْعِدَانِ أن يكون المرادُ الإنسانَ وإنما هو شيء غيره.

أو قول القآئل: الإنسان شيء ضد الجسمِ الظاهرِ والروحِ الذي يحيى به ذلك الضد معا، وهما بمجموعهما حيان.

أو تقف على خيال من سلم بهذا وقال به واستدرك بأن الحياة خاصة بالضد، أما الجسد فموات، ولا تغفل عن أن القآئل هما بمجموعهما حيان لم

يذكر الجسد بحياة أو موت، وغير هذه الأقوال التي ذكرها الإمام المهدي رضي الله عنه في شرح الغايات مع شبهها المسماة أدلة.

فإذا ما طُوِّقْتَ بتأملك تلك الأقوال، وطوفت بتلك المعالم، وحططت حولها الرحال استبهم عليك أمر نفسك، وضاعت عنك حقيقتك، وتفرق ما كان مجتمعا، ولم تعد تنظر إلى نفسك نظرة الفطرة السليمة والتي كنت بها في نجوة من البلبلة والتشكيك، ولو اقتصر الأمر على مصاولة العقول لهان، وأمكن تصفية المعتكر، والتمييز بين الأجرب والسليم ولكن الأمر أهم وأخطر؛ إذ هو صراع بين المرئيات والمرويات من جهة، وفيما بين المرويات أنفسها من جهة، وبين المعقولات وحدها من جهة. ومهما كَدَّتِ القرآئح وكدحت، وجرت ورآء كشف الحقيقة جَرْيَ فرس أبي بكر بن دريد الموصوف في مقصورته بقوله:

يجـري فتكبـو الـريح في غاياتـه　　　　حـتى تلـوذَ بجـراثيم السـحا

فإنها هي الأخرى تجري حتى تَنِي فتلوذ بالجراثيم، ثم لا يبقى معك من معرفتك بنفسك إلا أنك موجود فقط. أما ما يُسأل عنه منك كما يقول المناطقة وأهل البيان بما ومن وأين ومتى وكيف فما إلى تَجَلِّيْه من سبيل، فلا حَدُّكَ ولا شكلك ولاكَمُّك ولا كيفك ولا مكانك بمعلوم أو حتى مفهوم .

ويترتب على هذا الخفآء والاستبهام كثير التسآؤلات: منها إن كنتُ أنا الجسد فقط فماذا ستكون حياتي البرزخية؟ وقد استحالت إلى بخارات

تصاعدت، وذرات تبددت أو عدمت عدمًا محضًا على الخلاف في هذا بين المتكلمين، اللهم إلا أن تكون وسآئلي الراهنة للمعرفة لا تقدر على إدراكها كالجنين لا يعرف عن أحوال أمه وعن الدنيا شيئا،وكأننا الآن بالنسبة لأهل البرزخ كالأجنة في بطون الأمهات، أو كالنيام وهم المستيقظون.

أو إذا كنتُ أنا الروح فقط في زَعْمٍ، أو مع النفس على وَهْمٍ، أو الحياة في ظَنٍّ، فهل سيكون لرميم جسدي اتصال بي فيشاركني فيما أكون فيه من خير بفضل الله ومَنِّهِ و جوده وكرمه وعظيم إفضاله وإحسانه؟ وما هي وسآئلي حين ذاك لإدراك المحسوسات والمعاني والوسآئل التي ستسد مسد وسآئلي الراهنة؟ وماذا سيقوم مقام اللسان المتكلمة وغيرها من الجوارح الخ من التسآؤل العقيم؟

والمهم أنك بإزآء هذه التشعبات والأقوال المُسَبِّبَة لها "رغم أنك تمج معظمها بديهة" لا تستطيع أن ترمي شيئا منها خلفك، فلا تلوي عليه بتاتًا – وإن بدا منكرًا ممجوجًا وأُجاجًا – بل تجد نفسك مشغولة به بلا اختيار كأنه من باب: مَنْ يَسْمَعْ يُخَلْ؛ وبدافع ما يمليه عليك الإنصاف من الإعذار بالنظر، وإعطآء كل قول حقه منه، ولا أستطيع مع ذلك أن أقتنع به: إما لقصوري، وإما لتقصيري، وإما لأني محجوب، وإما لأني على حق[1].

---

(١) وفي حديث السلام على رسول الله ﷺ ما لفظه: (إلا رد الله عليَّ روحي..الخ) ، فإذا كان هذا هو لفظ رسول الله فمفاده أن الروح في البرزخ مزايلة للجسد في البنى، وفي غيره أولى ، وإن رد

والقصدُ بهذا التوضيح أكثر لما تضمنته الأبيات حول الموضوع.

ولصاحب إحيآء العلوم أبيات نونية رآئعة البلاغة تُعَدُّ عندي من السهل الممتنع، تأخذ سلاستُها وبلاغتُها بمجامع القلب لولا أنه بناها على أحد الأقوال الخفية، وادعى أنه طآئر في قفص جسمه، فليتني أذكر شيئا منها فأتحف به القارئ، فهي من سحر البيان، وأهمها قوله:

قـــــل لإخـــــوان رأوني مَيتًـــــا	فَرَثَـــــوْني وبَكَـــــوْني حَزَنًـــــا
أتظنـــــــون بـــــــأني مَيْـــــتُكُم	لـــــيس ذاك الميِّـــــتُ والله أنـــــا

السلام لا يتأتى إلا بعد ردها، وأنها عنصر من مقومات ذات الإنسان ، ولكن لا يلزم أن الرد يكون إلى مثل حالتهما في الدنيا، بل يجوز أن يكون على صفة لا نعلمها، وهنا يقال: لا تكاد تمر ثانية من الزمن خالية من آلاف الصلاة عليه من الأمة، وهذا يقتضي بقاء الروح باستمرار في جسمها كما يقال أيضا: ما وجه الجمع بين هذا وبين حديث: الأنبياء أحياء في قبورهم؟ وما فآئدة الرد وقد انقطع الثواب على الرد عليه بانقطاع التكليف، ويخطر ببالي أنه والله أعلم مجاز عن استفادة الْمُسَلِّم عليه بالأجر، كما لو سلم عليه ورَدَّ في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وأحفظ من القاضي يحيى الإرياني حال الدرس في الكشاف :

ثلاثـــــة مقبولـــــة مـــــن العمـــــل	إن حضـــر القلـــب لـــديها أو غفـــل
قـــــــراءةُ القـــــرآن والصـــــــلاةُ	علـــــى النَّبِـــــيْ وآلـــــه الهـــــداة
وحســـــــــبنا الله إلى آخرهـــــــــا	وهـــــــــذه لأثـــــــــر ينقلـــــــــها

أنـــا كـــنز وحجـــابي طلســـم   مـــن تـــراب كـــان ضِـــيْقًا وَعَنَـــا

أنـــا عصـــفور وهـــذا قفصـــي   طِـــرْتُ عنـــه وبقـــي مُرْتَهِنَـــا

كنـــت قبـــل اليـــوم مَيْتًـــا بيـــنكم   فحييــــــت وخلعـــــت الكفنـــــا

وعياني أي جسمي، وما قيل عن خزآئن المعلومات المشار إليه أثنآء هذا الموجز فهو كلام عن محلها لاعن ماهيتها، وهل هي حسية أو معنوية؟ ومهما يكن فاليقين أنها قَيْدُ الوجود بعد الموت، ولكن هل هي يقظانة، أو نآئمة، أو مختلفة، باختلاف أهلها وأعمالهم؟

وقد تسآءلت أين ستكون المعلومات مخزونة بعد الموت إن كان المحسوس منَّا هو خَزَّانُهَا. ولو محا الله معارفنا لكان كل شيء بالنسبة لنا عدما محضا لا وجود له: لا ذهني، ولا خارجي، ولا كلامي، بل تنتفي الوجودات الثلاثة بالنسبة إلينا، واليقين أنها ستعود لنا بعد البعث على أكمل وجه، لا يقبل النسيان كما هو شأنها الآن، لكنها والله أعلم ستظل مجهولة الماهية، ومما تفرد بعلمه المليك الديان..

والمَيَلاَنُ لغةً: الزيغ عن الحق. والمشيمة: التي يتولد ويخرج فيها الجنين. وقد عبرت بأشهده مكان أعلمه؛ لأنها قد مرت بي في الحياة لحظات قصيرة مرارًا يتجلى فيها يقيني بالله أكثرَ من يقيني بكل محسوس وملموس، بل ومن يقيني بوجودي، كما مرت بي لحظات في المنام تماثلها فكان التعبير بأشهد أدل على ذلك من أعلم.

حَجَبَ الإلهُ حقيقتي عني وعن ... كل البرايا إنسها والجان
جَهِلَتْ جميعُ الكآئنات حقيقتي ... لا علْمَ إلا للعليم الباني
ما كان أو سيكون ذو علم بها ... العِلْمُ مقصورٌ على الدَّيَّان
إن شآء أطلع من يَشَا أو لم يَشَأ ... فهو المحال مجاوز الإمكان
لم يُغْنِ ما قالوه في الغايات شيـ ... ـئًا غيرَ قول البعض: جِسْمٌ فاني
فهو الذي دلت عليه ظواهر الـ ... آيات في التنزيل والتبيان
والظَّنُّ مدلولُ الظواهرِ لا سوى ... والمطلبُ القطعِّي كالوُجدان
فرعونُ يُعْرَضُ في الدوام على لظى ... أرميمُه أم روحُه أم ذَان؟
وأخو النميمة في العذاب وهل فمي ... هذا المجيب: الله يا مَلَكَان
مَجْدٌ لعزة ربنا سبحانه ... عِلْمُ الغيوبِ وعِلْمُ هذا الشان

ثم ثنيت عنان النظر والتفكير نحو الأهم، فقلت:

مالي وماهيتي أنا العمل الذي ... آتي به في الحشر للميزان
أنا مَنْ تُوُعِّدَ إن عصى بلظًى ومَنْ ... ربي براه لدآئم الإحسان

وسيأتيك التعليق عليها، ولنعد الآن إلى قولي:

حجب الإله حقيقتي عني... الخ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل جلاله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسرآء: ٨٥]، وقد صور

لنا حديثٌ شريفٌ المعلوماتِ التي أوتيناها في جانب المحجوبات عنا بما يَعْلَق بمنقار طآئر من البحر، وأعظم منه تصويرًا للحقيقة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فما لم يطلعنا عليه فمحال الوقوف عليه، وإذا أطلع من ارتضى على ما يشآء فهو على كل شيء قدير.

ومما لم يطلعنا عليه حقآئقنا؛ فنحن لها جاهلون، والمراد هنا الجهل البسيط المرادف لعدم العلم، أما الجهل المركب الذي هو جهلنا الشيءَ، وجَهْلُنا بأننا جاهلون به فهو المسمى بذلك لتركبه من جهلين.

قال حمار الحكيم يومًا ... لو أنصفوني لكنت أركب
لأنني جاهل بسيط ... وصاحبي جاهل مركب

هذا والجهل فيما يتعلق بما كلفنا بمعرفته مما لا نعذر بجهله، ونعوذ بالله منه هو غير مغتفر؛ لأننا إنما نُؤْتَى من قِبَلِ أنفسنا، فأما متى توفر لدينا الإخلاص في طلب الحق، وطَرْحِ التعصب جانبا، ووطَّنّا أنفسنا على الاعتراف به فقد أخذ الله على نفسه سبحانه أن يهدينا بهذه الشروط سبيل الرشاد، وأن يجعل لنا فرقانا.

فإذا رأيت الأمة قد تفرقت فيما لا تعذر فيه عند الله من أصول الدين والشريعة فاعلم أن الحق واحد، واجتهد في استجلآء الحق فيما اختلفوا فيه واحذر خطر التعصب لما ألفت أو لمن تحب، فإنك في خطر، وغير مستحق

للألطاف التي تعينك وتزيدك هدىً، وإذا سميتَ مخالفي الحقِّ علمآء بعد أن يثبتك الله عليه فاقصِدْ به المجاز العقلي[١]، أو فيما أصابوا فيه، لا فيما أخطأوا فهم جاهلون، فإن قصدتَ الحقيقة كذبت، وإن كنت على وضوء أَحْدَثْتَ، كما يقول بعض العلمآء، وكما قالت عآئشة أم المؤمنين أو ابن عباس: الحدث حدثان: حدث من فيك، وحدث من فرجك. وأرواح الناس كما قالوا صنفان. والنفس أمارة بالسوء، والعقل نَهَّآءٌ عنه[٢] .

وتربية الناس تختلف، وبيئاتهم مختلفة، ومعارفهم تختلف،كَمًّا وتَصَوُّرًا وتصديقًا اختلافًا كبيرًا، وتأثير المدارس، والبيوت، والمُدرِّس في تكوين الشخص، والسلوك والفهم وغير ذلك – قد خالف بين الخلآئق مخالفة كثيرة؛ ولهذا كان منهم: علمآء، وجهلآء، وفجرة، وأتقيآء، وزآئغون، وحنفآء، وكرمآء، وبخلآء، وحلمآء، وحمقى...الخ: من قساة، ورحمآء، وخونة، وأوفيآء.

وإذا تصورنا أعداد المركَّبِينَ من هذه الأشيآء ومما لم نذكره منها مضروبًا بعضها في بعض مقادير وكمًّا وكيفا – كانت أعداد الناتج أضعافَ أضعافِ

---

(١) كقولك للأعمى يا بصير، أو من باب ؛أدعوهم بأحب الأسماء إليهم.

(٢) وفي معناه قيل:

والجسمُ أصلُ فَرَّعَتْهُ قدرةٌ ... فأبان خالقُه حصىً وجواهرا

عدد المركبات من حروف الهجاء التي لا حصر لها[1]، ولعل هذا والله أعلم وجه من وجوه حكمة تكاثر الأجيال، وتراخي الزمان ربما حتى يستكمل العدد الذي نيطت به حكمة الله أحكم الحاكمين وأحسن الخالقين[2].

ومع هذا فإن القَدْرَ المشترك بينهم هو القدرةُ والتمكن والفهم لما كلفهم الله به، والتمكن من صعود درجات القُرْبِ من الله، والهبوط في دركات البعد عنه، وهم في هذا على سوآء، وما زاد فذلك فضل الله يؤتيه من يشآء، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والعبادة تصفي الأرواح والنفوس في كُلٍّ بحسبها كَمًّا وقبولا عند الله، وموقعا، وحلالا في الرزق، ومعرفة لله وإخلاصًا؛ ولذلك يوجد من تذكر عنهم غرآئب وكرامات، ومَنْ تتجلى لهم بعضُ الحقآئق، والعلمُ بأحوال الآخرة

---

(١) كما قال الأول:

وبـــــدآئعُ اللهِ القــــــدير كــــــثيرةٌ   فَيَحُــــورُ فيهـــا لُبُّنَـــا ويَحَـــارُ
هـذي حـروفُ اللفـظِ سـطر واحـد   منــــها يُؤَلَّـــفُ للكــــلام بِحَـــارُ

(٢) وقيل إن رجلاً نظر إلى القبور وهي مسنمة فشبهها بجمال باركة فقال:-

جمالٌ مناخاتٌ بأثقالها نَامَتْ،   و لم يستطع أن يتم البيت، فسمع هاتفًا يقول:
أناخت لباقيها متى استُكْمِلَتْ قامت.

والبرزخ على تفاوتٍ ويختلف تقويمهم للأشيآء والحقآئق ظاهرها وباطنها عن تقويمنا.

ومن ذلك قول الإمام علي كرم الله وجهه: " لو كشف لي الغطآء ما ازددت يقينا"، وقوله: "إني لمن قومٍ قلوبُهم في الجنان، وأجسادُهم في العمل"، وهذا مما علم بالتواتر والنظر، ومن واديه قوله تعالى في حديث قدسي: (ولا يزال العبد يتقرب إلي بالطاعة حتى أكونَ سمعَه الذي يسمع به.. الخ الحديث والعكس صحيح، وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، و: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ١٠]، و: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، و : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

أريد أن الطاعة تنير القلب بحسبها، والمعصية تعمي القلب بحسبها، ومن الصالحين من تنكشف له وتتجلى أمور - ونحن وإن كنا محجوبين عنها بصدأ الآمال والغفلة والريب بما كسبت أيدينا كما أشرت إليه في الآتي من المنظومة وهو: لكنهم لظلام أنفسنا تواروا عن مداركنا..- إننا رغم أنا محجوبون نعرف هذا، ومَنْ أنكره منا فمِنْ باب إنكار الأعمى لما يراه المبصرون، والأصمِّ لما نسمع من الأصوات. كما نعلم أن مداركنا لا تؤهلنا لما أَهلتهم له درجاتهم الرفيعة كما نرى على أفئدتهم ووجوههم نَضْرَةَ النعيم، وسعادة الرضى واليقين،

تلك السعادة التي لا تنال بملك الدنيا في كل زمنها ومنتهى ملاذها كما ذكرتُ ذلك بقولي آخر القدسية هذه:

وانْعَمْ بما فيه الهداةُ من النعيـ ـم الآنَ ما لنعيمهم من ثاني

وقول الإمام علي كرم الله وجهه: " قلوبُهم في الجنان، وأجسادُهم في العمل " يفيد هذا فتأمله مليا تجده رطبا جنيا وتَقَرُّ به عينًا إن كنت تقيًّا؛ ففي عَنَاهُمْ نشوةُ الانتصار على أنفسهم، ومُتْعَةُ الرضى، ولذةُ الشوق لما أعد الله لهم.

هذا ودلالة الآيات الكريمة في مخاطبة الناس والكلام عنهم مثل: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: ٦]، وإسنادُ الأيدي والأرجل والصَّمَمِ والبَكَمِ والخروج من الأجداث كُلُّه متوجه إلى أجسامنا أولا وبالذات، وبما أن التكليف منوط بالعقل ووجوده من عدمه، وبالقدرة وهي محسوسة فيظهر أن الإنسان هو الجسد وما حوى. قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقد أدى النظر في هذه المسألة إلى وجود من أنكر البعث والجزآء الجسماني ونعوذ بالله منه فهو ضلال مبين لا يغتفر، ولولا أن دلالة الظاهر ظنية لا قطعية لما ترددتُ في اعتبار هذا رِدَّةً ومصادمة للآيات منها: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقد دللت في القطعة الآتية تحت عنوان الحشر بما لا يبقى معه للناظر الحآئر أي شك بتاتا، وذلك بأن الحشر والبعث جسماني لا روحاني فقط، وإذا حصل لك القطع بأدلة العقل فإنها تُعَيَّنُ المعنى المرادَ من ظواهر الآيات لوجوب رد المتشابه إلى المحكم.

أما حَوْلَ الإنسان ما هو؟ فالراجحُ من معاني الظاهر أنه الجسم وما حوى رغم أن مطلبي البرهانُ القطعي كدلالة الوجدان والتجربة والمعلومات الأولية الضرورية مثل: إن الواحد نصف الاثنين، والنار محرقة، والإسبرو مخدر وأنى لي بذلك.

والذي رَجَّحْتُ في قولي: جسم؛ فإني أردتُ بما فيه، ولا يدفعه ما استشعرتُ بعده من إيرادٍ عليه بقولي: فرعون.. الخ كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦].

وعذاب النَّمَّام والذي كان لا يستنزه من البول فإنه وإن لم يظهر على الأجسام فلا يمتنع أن تُخَصَّ الروحُ والنفسُ أو نحوها بعذاب البرزخ، كما لا يمتنع أن يكون تراب الأجساد هو الآخر في عذاب أو نعيم يحس به ولا ندركه بمداركنا الراهنة، وكلا الأمرين غيب ولا يُظْهِرُ سبحانه هذا إلا لمن شآء؛ ولا يُطْلع على غيبه أحدا إلا من ارتضى، ونحن وُكِلْنا إلى الظنون، ومن أصاب في ظنه الحقيقة فلن ينتقل إلى العلم حتى يأتي الحال المذكور في قوله: ﴿فَكَشَفۡنَا

عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: ٢٢]، وكم ظنون ادعاها أهلها معلومات فانكشف غلطها وخطؤها.

وفي الثمانينات من قرننا الرابع عشر الهجري القمري أجرى الدكتور "برنارد" في جنوب أفريقيا عملية نقل القلب من إنسان لآخر لأول مرة في تأريخ البشر؛ فانقلبتْ نظريات وتصورات من شِبْهِ حقآئق ثابتة إلى أوهام كاذبة خاطئة، كما كشف تفجير "النواة" في هورشيما ونجازاكي في الخمسينات من هذا القرن عن كذب نظريات فلسفية كانت نابعة عن اعتقادهم الفاسد الباطل باستحالة انقسام النواة والذرة وفنآئها، وادعوا بذلك بقآء المادة وأزليتها وعدم قابليتها للفنآء فنسف الله هَوَسَهُم وزَعْمَهَم بتفجيرها، وثاب كثير منهم إلى الرشد؛ لأن ما استحال عدمه وجب قدمه، وما وجب قدمه استحال عدمه، كما أجمع على هذا الفلاسفة والمتكلمون و لم يشذ عنهم دهري ولا غير دهري.

فأما قصار النظر من مقلدة الفلاسفة المعاصرين الذين استحكم فيهم الهوى والشيطان وأنِفُوا عن التسليم والرجوع إلى الحق: فمنهم من غالط، ومنهم من سكت بعد أن استيقنتْ أنفسهم من أن بقآء المادة خرافة انتهت إلى الأبد.

وبعد فإنه وإن كان ما خضتُ فيه مهمًا فإن الأجدر بي أن أتوجه إلى النظر في الأهم من وجودي ومنقلبي فقلت:

مـالي ومـاهيتي أنـا العمـل الـذي	آتي بـــه في الحشـــر للميـــزان
أنا مـن تُوُعِّـدَ إن عصى بلظًى ومَـنْ	ربي بَـــرَاهُ لـــدآئم الإحســـان

حقا ما برى الله مكلفا إلا ليمن الله عليه بإحسانه الأبدي حتى إبليس؛ فهو أرحم الراحمين، وذو الفضل العظيم، الغني عن العالمين؛ فضلا عن تعذيب أحد، العليم باستغنآئه، العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، الحكيم. فَمَنْ آثر الحياة الدنيا فإنما أتي من جهة نفسه، وما دهاه إلا أسفله وأعلاه وانقياده لهواه، وتمرده على نُهاه، ولا يهلك على الله إلا هالك.

أما عِلْمُهُ جل وعلا بهلاك الهالك فلا تأثيرَ له فيما عملوه، واختاروه بمحض اختيارهم، وإرادهم، ولم يرضه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، إلى كثير من آيات الله التي تنفي محبةَ الله، وإرادتَه للعسر، والفساد، والعذاب.

وكل هذا لا يخفى ولا يخفيه إلا متجاهل لما يستيقنه تعصبًا ومحافظةً على ما قد استأنس به واستنام إليه من فَهْمِ فآئل، ومعتقد باطل، حتى إذا جآء الحق وانحسرت دواعي العصبية وجد ما زعم ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]، وعند ذلك تعظم حسرته يوم الحسرة، وتتفاقم الندامة يوم القيامة حين لا يغنيه ذلك من الله شيئا، وحين يتبين له أن ما كان يظنه في دنياه توحيدا لله وتقديسا إنما كان ذَمًّا لا مدحًا ولا تنزيها ولا توحيدا.

فعلينا أن نخلص لله في البحث عن محض الحقيقة خالصةً من الشوآئب، وأن نُفيق من غمرات الحياة وسكراهما قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا

فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، وعلينا أن نَشْخَصَ بأبصارنا وبصآئرنا إلى ما أمامنا ألا وهو البرزخ ونعيمه وجحيمه، فها نحن جميعا منه على قاب قوسين أو أدنى.

مـالي ومـاهيتي أنـا العمـل الـذي	آتي بـــــه في الحشـــــر للميـــــزان
أنـا مـن توعـد إن عصـى بلظـى	ومـــن ربي بـــراه لـــدآئم الإحســـان

حياة البرزخ

المـــوتُ طفَّـــل والحيـــاةُ بـــبرزخٍ تُطوى على ما ليس في الحسبانِ
مهما يَكُنْ فالمرءُ حسَّاسٌ متى أضحى رهين اللحد والأكفان
وتسآؤلي هل يعلمون بحالنا وتعاوُرِ الأفراح والأحزان
أيروننا لكنهم لا يملكون القول أمْ في عالم النسيان
أَيَسُرُّهُم ما سَرَّنا ويَسُؤهم ما سَآء إنْ صَحَّ الحديثُ شفاني
لكننا لظلام أنفسنا توا روا عن مداركنا تواري الجان
مِنَّا عَشٍ عنهمْ وآخَرُ مُبصرٌ بِتُقَاهُ والجمهورُ كالعُمْيَان
مِنهم نِيَام كالعروس وشَاخِصٌ لِلَظًّى ونَظَّارٌ لروض جِنَاني
أَمَّا الشهيد فلا تَسَلْ عن حالِ مَنْ ثَبَتَتْ لهُ عِنْدِيَّةُ الرَّحْمَنِ

لعل التواتر المعنوي حاصل على وجود حياة البرزخ؛ للعموم، وثابت بالنص القطعي في بعض، مثل: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر:٤٦]، و ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [غافر: ٤٦]، فهو قطعي فيمن وَرَدَتَا فيه.

وإنما قلت البرزخ ولم أقل القبور؛ لشمول البرزخ لمن أحرقتهم النار، أو أغرقهم خُضَيْرُ، ومن نهشتهم السباع، وتخطفتهم الطير ونحو ذلك.

ومن أحاديث البرزخ حديث أصحاب القَلِيْبِ، وحديث الترغيب في تحسين أكفان الموتى، والتزاور بين الأموات، وحديث احتواشهم للوافدين من الأموات عليهم واستخبارهم عن أحوال أهل الدنيا حتى يسألوا عن الهرة؟ فيقال: فلان تزوج، وفلان بنى، وفلان كذا حتى يقولوا ما حال فلان؟ فيقول: ألم يأتكم قبلي؟ ، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد سُلِكَ به غيرَ طريقنا، أي طريق العقاب.

وحديث إن الميت ليعذب ببكآء أهله، وحديث روضة من رياض الجنة الخ.. وغير ذلك، ومن أحب الإلمام فعليه بجمع الشتيت للأمير، وأمثاله للسيوطي وغيره.

ومن قواعد المحدثين أن التصحيح والتضعيف كان عملا بقواعد قَعَّدوها وإلا فقد يكون ما ضعفوه أو كذبوه صحيحا في الواقع ونفس الأمر والعكس؛ والقاعدة والتضعيف تقلل الاطمئنان إلى كثيرٍ؛ فيفقدان التواتر المعنوي لاسيما مع ورود متناقضات، أو شبه متناقضات، أو ما يحتاج الجمع إلى تكلف فيه أو تعسف للجمع بينها، وفي قريب منه قال أحمد:

جآءت أحاديث إن صحت فإن لها شأنا ولكنَّ فيها ضُعْفَ إسناد

وقد جآء في حديثِ مُنْكَرَ ونكيرَ قولُهما لبعضٍ: نَمْ نَوْمَةَ العروس، وهذا يوحي أنهم لا يعلمون بحالنا فلا يسرون بسرورنا والعكس، خلاف ما في حديث سابق، وفي حديث إن الميت يوصي الماشين في جنازته ما يدل على أنهم يروننا، وفي آخر إن الأرواح على يمين وشمال آدم في السمآء إلى غير ذلك، أما

المرآئي المنامية وهي جزء من الوحي فحدِّثْ عن البحر ولا حرج، وظلام الذنوب يحجبنا عما ينكشف لأهل التقوى على تفاوتٍ بينهم في الانكشاف، وهو ما أردتُ ببيتِ: أيروننا...الخ، وبيتِ: لكننا لظلام أنفسنا...الخ. وفي حديث: (لو بقيتم على تلكم الحال لصافحتكم الملآئكة في الطرقات)، وكثافة الحجاب والظلام تتفاوت: فمنا من هو في حكم الأعمى، ومن هو في حكم الأعشى. نسأل الله سبحانه أن يغفر لنا، وأن يرحمنا، وأن يسامحنا، وأن يعفو عنا وأن يتجاوز عنا وأن ينور قلوبنا وبصآئرنا ويختم لنا برضوانه آمين.

هذا وإذا كان البرزخ أهم من الموت وما قبله فإنه أهون مما بعده؛ لأن له نهاية هي بداية لما هو أشد وأفضع ألا وهو الحشر والنشر، ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]، قيل: من تحتهم، أو من منابت شعورهم، يسمع من كل شعرة: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة إن الله يأمرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضآء، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤] ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ٨ - ١١]، أي يبصر بعضهم بعضًا فلا يسأله عن حاله؛ لأن لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

وكيف لا يذهل وينشغل بنفسه وقد حُمِلَتِ الأرضُ والجبال فدكتا دكة واحدة كما قال رب العزة القهار، والملك الجبار: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ

برق يمان على قدسيَّة الإيمان وهو يمـاني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org

يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ أي يا ليتني لم أبعث، ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي لم يتقوله رسولنا الكريم ولا افتراه علينا، ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ١٦ - ٥٢].

الحشر والبعث

وعلمـــتُ أني ســـوف أُنْشَــرُ ثانيًــا ... عِلْـــمَ الـــيقين ومنتـــهى الإيقـــان

جســـمي ومـــا يحويـــه أَشْـــهَدُ أن لي ... حشـــرًا بـــنص العقـــل والقـــرآن

جســـدي ومـــا فيـــه لأَشـــهد أنـــه ... ســـيُعيده مـــن زانـــني ببَنَـــاني

مَـــنْ مَـــدَّني بالســـمع والإبصـــار مَـــنْ ... بالعقـــل كـــرَّمني ونُطْـــقِ لســـاني

مَـــنْ صـــاغ مـــن عـــدمٍ وجـــودي قـــادرٌ ... أن يجمـــعَ الأنقـــاضَ للبنيـــان

مَـــنْ صـــاغ مـــن عـــدمٍ كيـــاني أَوَّلاً ... أَهْـــونْ بشـــأنِ إعـــادةِ الجثمـــان

مـــا خَلْقُنـــا إلا كـــنفسٍ كُلُّنَـــا ... فـــإذا أرادَ أعادنـــا بثـــواني

الإرادة الإلهية

بـــل لا ثـــوانيَ فـــالمراد هـــو الإرا ... دةُ إنْ هُـــدِيْتَ لمـــا إليـــه هَـــدَاني

فـــالله فـــردٌ لا يَحِـــلُّ ولا يُحَـــ ... ـــل ولا يُجَـــزَّا. ذِيْ شـــؤونُ الفـــاني

كـــم آيـــةٍ فينـــا تشـــامخ فهمُهـــا ... عـــن فَهْـــمِ بُقْـــراطٍ وعـــن لقمـــان

مـــا أتقـــنَ الملكـــوتَ جـــلَّ حكيمُـــهُ الـــ ... ـــصمد البـــديع مفـــنن الأفنـــان

جَـــلَّ الـــذي مِـــنْ مَحض عُـــدْمٍ جـــآءِ بي ... وبِقُـــدرةٍ صـــفةَ الوجـــودِ كســـاني

وكمـــا يشـــا ومـــتى يشـــا الخـــلاقُ مَـــنْ ... مِـــنْ ســـابق العـــدم القـــديم بَرَانِـــي

سيعيد تركيبي كما قد كان للـ ... أحرى به وشهادة الإمكان

دع عنك زَعْمَ تقادُمِ الذرات أو ... قِدَمَ الثبوتِ فذا من الهذيان

من لوثة الهذيان زَعْمُ تقادم الـ ... ـذرات لا التركيبِ ذي الحدثان

هذا التناقض لا سبيل لدفعه ... أبدا لدى الدَّرَّاكةِ الفَهْمَان[1]

لم يَعْدُ ذاك وذا العنادَ أو القصو ... ر أو الإبا رُغمًا لكل بيان

ومن المقرر في العقول وفي الأصو ... لِ حدوثُ غيرِ الخالق الديَّان

---

(١) توضيحه أن التسليم بحدوث التراكيب يستلزم التسليم بحدوث المادة؛ إذ لو قَدُمَتْ المادة لم يكن بُدٌّ من مؤثر للتركيب الحادث؛ ضرورةَ احتياج الأثر إلى مؤثر فهو إما المادة أو غيرها ، الأول يستلزم قدم التراكيب؛ لأن ما وجب للذات لا يتخلف عنها فهو مقارن لها في الوجود، وإن تقدمت العلة حكما فالوجود متقارن وذلك ينافي ما اتفق عليه من حدوث التراكيب ، ويستلزم أيضا انتفاء البسيط الذي ادعوا تركيب المركبات منه وهو الهيولى والصورة اللتان زعموا أنهما عرضان بسيطان حل أحدهما في الآخر فتحيزا فصارا جسما.والثاني وهو أن المؤثر غير المادة إن كان مقارنا موجبًا لزم قدم التركيب؛ لأن ما وجب للذات لا يتخلف عنها ، وأيضا يحتاج إلى مخصِّص له بالتأثير دون المادة ، وإن تأخر كان حادثا كالتركيب ورجع الترديد في محدثه كما في محدث التركيب ، وإن تقدم على المادة كان ذلك معنى حدوثها . انتهى باختصار من العصمة عن الضلال للجلال ، وأقول: ذكرهم للهيولى والصورة مجرد احتمال وتصور لا طريق إلى العلم به ، فما أشهد اللهُ أحدًا من خلقه كيف فعل سبحانه. بقوله سبحانه:﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].(ﷺ)

فهـو الـذي وجـب الوجـودُ لذاتـه ... أَزَلاً وعـزَّ وجَـلَّ عـن إمكـان

ودليلنـا العقلـي أحجـمَ كُـلَّ كفَّـ ... ـارٍ دليـلَ الكـونِ والأكـوان

لـولا قضـى بمعادنـا مـا كـان تكليـ ... ـفٌ ولا كنـا ولا الكونـان

مـا للمـات بُرِيْـتُ كَـلاَّ لاَ ولاَ ... لقصـير عـيش شَـابَهُ الضـدان

اللهُ مـن عـدم برانـا ثم في الـ ... أطـوار سـيَّرنا الحكـيمُ البـاني

مـا آدَ ربي بَـدْؤُنا ومعادُنـا ... لكمالنـا التطـويرُ لا النقصـان

مـا شـذ شـيءٌ مَّا عـن الإحكـام في ... ملكوتـك اللـهم والإتقـان

مـا ذَرَّةً كونتَهـا عبثـا ولا ... لعبًـا ولا لهـوًا خـذوا برهـاني

ومـن المحـال وجـود مخلـوق خـلا ... عـن حكمـة بَهَـرَتْ وعُظْـمِ الشـان

الجـد والإحكـام والإحسـان مـن ... طبـع الوجـود وطـابعُ الأكـوان

وخلودنـا في فضـله ونعيمـه ... أولى ببرهـانين لا برهـان

ودوامُـه الأَوْلَـى فمَـنٌّ غـيرُ ممـ ... ـنونٍ مفـادُ الوصـف بالمنـان

ومفـادُ آيـات الخلـود وإنمـا ... بَيَّنْـتُ حُكْـمَ العقـل للحـيران

ومـدلِّلاً أن المعـاد ضـرورة ... لرجوحـه وزيـادةِ اطمئنـان

وحياتُنـا فيهـا التظـالُمُ فالمعـا ... دُ ضـرورةٌ للعـدل والإحسـان

وفنآؤنـا بالفعـل قبـل خلودنـا ... أولى مـن الإبقـآء في الإمكـان

فوجودُنـا وفنآؤنـا ومعادُنـا ... فخلودُنـا في غايـة الإتقـان

وأصولُنا حكمتْ بأن فعالَه ... لن تعدوَ الموصوفَ بالرجحان

تلك الأدلة آيةٌ أو حكمةٌ ... يمنيةُ الإيمانِ وهو يماني

الاستعارة بالكناية في "نص العقل" جديرة بلفت نظر القارئ إليها لقوة مناسبتها، وكذلك الاستعارة المكنية التبعية في "أشهده" أول المنظومة في بيتين حيث جُعِلَتْ مكان "اعلم" تشبيهًا للمعقول بالمحسوس، وارتفاعًا به إلى درجة النص القرآني والمشاهدة بالعين الجارحة، فقد أضمر تشبيه الدلالة العقلية بالدلالة المحسوسة بالعين وبالنص القرآني الكريم، ولم يُذكر شيء من أركان التشبيه، ودُلَّ عليه بشيء من لوازم السمعي القاطع وهو النص هنا، وبشيء من لوازم المحسوس في "أشهده" وهو الشهادة، ثم تبعت الاستعارةَ في الفعل الاستعارةُ في المصدر مؤكدًا بها تحصيل الدلالة العقلية لعين اليقين الذي يحصل بالمشاهدة وبكلام الله جل جلاله.

والأدلة السمعية القطعية على حشر الأجساد مبثوثة في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، فلم أضف إليه الدليل العقلي لحاجة المؤمن إلى ذلكم كلا، ولكن﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقد قال الحق جل جلاله لعبده وخليله عليه السلام: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ثم لحاجة الكافر الذي لا يؤمن بالسمع ولا يعترف به، ولحاجة الشاك الذي لا يطمئن به ولا تسكن نفسه.

وقد أَثَرْتُ في هذه القطعة السالفة دفآئن عقولنا في موضوعها في عدد من الأبيات، كل بيت منها حقيق بالتأمل طويلاً، وأوفيتُ البحث حقه بحيث لا ينتهي الحآئرون من كامل الأبيات بإمعان كامل حتى يحصل لهم اليقين الحاصل لنا ببعث الله للأجساد، وسأزيد وضوح الأبيات بوضوحٌ في هذا المنثور لبعضها ليتم وضوح على وضوح.

فأقول: القدرة على إعادة شيء أهون عقلاً من القدرة على اختراعه وابتدآئه لأول مرة، وقد ابتدع البديع سبحانه تأليف المادة وتركيبها، وهذا على التنازل للشاك والخصيم المبين، أما الحق الذي لا امترآء فيه فإن الله ابتدع المادة ابتداعا وخلقها من العدم المحض ثم أَلَّفَهَا، فلنبق على تنازلنا للخصيم المبين ولنُجْرِي كلامنا معه في حدود ما يسلم هو به فنقول: وإذا كان قد قَدَرَ على تأليف أجزآئنا، وركبنا وصورنا في الأرحام كيف يشآء؛ فأيسر من ذلك وأهون عليه أن يعيد تركيب أجزآئنا مرة أخرى. هذه واحدة هداك الله وإياي سوآء السبيل.

ثانيا: أجمع أهل النظر، ممن آمن وكفر أن الإتقان في الصنع والإحكام المتناهي شمل كل كآئن مما جل ودق، وأن النظام مسيطر سيطرة تامة في جزيئات ا لذرة وما دونها، فما بالنا بما هو أكبر، وسيادةُ النظام والقوانين الدقيقة المحكمة المهيلة، وخلو الكآئنات من الفوضى مطلقًا، وانتفآء العبث مطلقا في كل ما قد كان – دليلٌ على انتفآئه عقلا وعادة وتجربة في المستقبل أيضا، ﴿صُنْعَ

ﵟٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚﵞ [النمل: ٨٨]، و ﵟٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖﵞ [السجدة: ٧]، وإلى هذا أشارت آيات كثيرة منها: ﵟلَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَﵞ [يس: ٤٠]، فلو لم يقض الله سبحانه برجوعنا إليه، ثم يبعثنا ويخلدنا لكان خلقنا عبثا ولهوا ولعبا تعالى الله عنها علوا كبيرا، وكان منافيا لصفاتِ حكيم وغني ورحمن بل وكريم وغيرها، وقد أشار إلى هذا بيت:

لولا قَضَى بِمَعَادِنَا مَا كَانَ تَكْـــلِيْفٌ ولا كُنَّـــا ولا الكَوْنَـــانِ

وبيت:

مــا للمــات بُرِيْــتُ كَـلاَّ لاَ ولاَ لقصـــيرِ عـــيش شَـــابَهُ الضـــدان

لأن الغرض من خلق الكونين جآء تبعا للغرض من خلق المكلفين بمعرفته وعبادته فلا يقبل العقل أن يخلقنا لحياة نسعد فيها ونشقى ونلابس النعم والألم والعافية والسقم ثم يفنينا إلى الأبد وهو غني عن خلقنا أولاً، وعن تجرعنا للمكاره، كَلاَّ ما كان الله ليخلقنا لهذا؛ وإنما خلقنا للخلود في فضله وإحسانه، وما ثَمَّةَ مِنْ شاهد يدل على أن الله خلق هذه الحياة وجعلها غاية، بل كل الشواهد تشهد على أنها وسيلة وممر إلى دار أخرى هي الغاية.

وقد نبهنا الله إلى هذا وأنه حكيم لا يعبث ولا يلعب، وغني لا يحتاج إلى خلقه مطلقا، وتفنن القرآن الكريم في إيصال هذا الشأن إلى عقولنا وتغذية أفهامنا كقوله جل شأنه: ﵟأَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا

تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، و﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦ - ١٧]، وكلمة "لو" كما نعلمه من النحاة حرف امتناع لامتناع إذا لم يكن للجواب سبب سوى الشرط كما أوضحه الأزهري على قواعد ابن هشام.

ومثل هذه الآية سآئر الآيات التي نَفَتِ العبثَ واللهوَ بالمنطوق وبالمفهوم، وأثبَتتِ الجِدَّ بالمنطوق وبالمفهوم، وبدلالة الاقتضآء تارة، وبدلالة اللزوم أو التضمن أخرى، وكم من آية كريمة نبهتنا إلى الجد، والإحكام مثل آيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٦]، فقد شرح الله لنا الأطوار التي مرت وتمر بنا، وقصة الإنسان من البداية إلى النهاية، والمراحل التي تَنَقَّلَ ويتنقل: فيها من سلالة، إلى نطفة، إلى مضغة، إلى جنين، إلى مولود، إلى طفل، إلى يافع، إلى شاب، إلى كهل، إلى شيبة، إلى هرم، إلى موت إلى بعث.

وكما أن المراحل كلها معلومة بالمشاهدة لنا تَنْقُلُنَا من طور إلى طور ولكنها جادة، ومحكمة، ومتقنة لم يبق منها إلا أخرى المراحل، فإننا عند النظر في إتقان ما مضى وما عُلِمَ نعلم أن آخر الأطوار هو طور الكمال والوصول إلى الغاية لا النقص وهو البعث فالخلود، ولله در بن دريد إذ يقول:

مَنْ قاس ما لم يَرَهُ بما يرى أراه ما يدنو إليه ما نأى

وكأنه جل وعلا في عظموته قال لنا: إنَّ ما شاهدتموه كاف في اقتناعكم بما لم تشاهدوه فهو دليل بالفحوى عليه، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: " لو كشف لي الغطآء ما ازددت يقينا".

ومنْ لَفْتِ الأنظارِ إلى أنَّ ما ظهر دليلٌ على ما أضمر وبطن - قولُه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]،وقوله: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، وهو المشار إليه بقولي:

اللهُ مِنْ عَدَمٍ بَرَانَا ثم في الْـ أطوار سيّرنا الحكيمُ الباني

صدق الله، وسبحانه وبحمده، فإن ما نشاهده ونلمسه ونحسه بجميع مداركنا وحواسنا الظاهرة والباطنة من إحكام وإتقان وإحسان وامتنان وانتظام في أي شيء من هذه الدلآئل التي لا تحصى ولا يحيط بها تصور ولا خيال - فإنه كاف في الدلالة على الله وعلى كماله وتعاليه عن العبث واللهو واللعب التي هي من شأننا، ولعل افتتاح سورة الأنبيآء بوصفنا بالغفول والإعراض

واللعب واللهو والظلم وسوء التقدير والفهم المعرب عنها بقوله: ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [الأنبيآء: ٣]، ثم تعقيب ذلك؛ والتعقيب في كل شيء بحسبه بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبيآء: ١٦]، لعل من المراد لرب العباد أن نقارن بين ما نحن عليه وما هو عليه، وفيه من أنواع البديع التضاد.

وإذا تجلت لنا قدرة الله على بَدْئِنا وهو الأشق في الشاهد، فلم يَؤُدْهُ، تجلت لنا أكثرَ قدرتُه على إعادتنا؛ لأنه أخف وأيسر، على أن الأمرين بالنسبة للقدير سبحانه على سوآء، إنما يختلف المقدور يسرا وعسرا بالنسبة لنا؛ لأننا قادرون بقدرة لا قادرون لذواتنا ، كما أن تطويرنا هو من أدنى إلى أعلى لا العكس؛ فهو إذن لكمالنا لا لنقصاننا؛ لأن النقصان نَقْصٌ في الكمال لا يليق بذي الجلال، ولا يشكل عليك مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾ [الروم: ٥٤]، هذا بالنسبة لحياة الدنيا وهي بأسرها فانية لأنها وسيلة لا غاية، فالضعف فيها بعد القوة لم يخل من الحكمة إذ هو مؤقت، وهو رحمة وأي رحمة، لحمله للعبد على تلافي الرجوع إلى الله من فُرُطَاتِه في سِنِّ الشباب والغرور ، وكما يستحيل وجود أي مخلوق خاليًا عن حكمة في الماضي؛ فإنه يستحيل مستقبلا؛ إذ لا تأثير للزمان مطلقا.

ثم استطردتُ أَوْلَوِيَّةَ خلودنا في فضل الله وإحسانه على انقطاعه عقلا، وبرهانُه الأعظمُ النقليُّ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، **(وخالدين)** وغيرهما، فهما برهانان: عقلي ونقلي لا برهان واحد؛ كل منهما كافٍ بمفرده لإثلاج الصدر ببرد اليقين، يضاف إلى ذلكم أن وصف الله بالمنان الحنان وغيرهما من أسمآئه الحسنى يقضي بذلكم.

ثم استشعرتُ ما قد يَعْنّ من التسآؤل: لماذا لم يُعْفِنَا اللهُ عن العبور بالحياة الدنيا ويخلقنا لحياة الخلود رأسا؟ وأجبتُ بأن حكمة الله اقتضت إفنآءنا قبل الخلود لتخرج القدرة عليه من الكُمُونِ إلى الظهور كما خرجت قدرته على إيجادنا بالفعل من القدرة بالإمكان فقط إلى القدرة بالفعل، وهذا حق له تعالى مضاف إلى ما اقتضته الحكمة من التكليف، وسرُّه العظيم الذي منه أن نستحق الخلود استحقاقا لا مجرد تَفَضُّلٍ علينا به وذلك لقآء ما قاسيناه في الدنيا من تعبها ونصبها فتبارك الله خير الحاكمين وأحكم الحاكمين، وله الحمد كما يجب، وكما يحب دآئما بدوامه.

ولو ظلت قدرتُه على الإفنآء كامنةً، وأنعم علينا رأسا بالخلود في إنعامه – لما امتنع قطع الخلود، ولما كان أولى من إفنآئه؛ بل لكان الإفنآء هو الأولى للخروج من الإمكان إلى الفعل؛ إذ هو حق له سبحانه، ولا حق لنا في الخلود يتعارض مع حقه، ولو فرضنا محالا التعارض لكان حق الله هو الأولى؛ فأنعم

النظر وأمعنه في هذه الفآئدة القيمة، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثم عززت ما تفيده آيات الخلود بأن المعاد ضرورة وذلك لرجوحه على عدمه ولجلب المزيد من الطمأنينة للمؤمنين بذكر أرجحيته؛ ولأن هذه الحياة مليئة بالتظالم فلا بد من المعاد للتناصف، والأعواض، والثواب، والإحسان وهو التفضل الرباني بما يزيد على الاستحقاق كما وعد من لا يخلف الميعاد.

ثم لوحتُ بلؤلؤة الأصول، وواسطة عقد المعقول التي تبارت فيها عبقريات الفحول، تلك قاعدة الرجحان وأن الله لا يفعل إلا الأصلح والأرجح، وهو حق ما عليه غبار، فقل لمن حار:

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمس من رمدٍ ... وينكر الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

والمقدار الذي لا يحسن تجاوزه في هذه الخلاصة فيما يتعلق بها هي قولهم: الرجحان هو الذي يدعو الفاعل، ويبعث على الفعل وهو المراد بالحكمة،ويقابلها العبث وهو الفعل لا لِدَاعٍ أو لِدَاعٍ مرجوح، وأحسن منه اختيار المرجوح أو المساوي، وهو في حقه تعالى محال، وهذا توضيح للبيت:

وأصولُنا حَكَمتْ بأنَّ فِعَالَهُ ... لن تَعْدُوَا الموصوفَ بالرُّجْحَانِ

هذا وقد استطردتُ أثناء هذه القطعة الإرادةَ الإلهية بحسب ما اقتضاه السياق، وقد اختلف فيها المتكلمون كاختلافهم في صفات الذات والأفعال، وحسبك للسلامة أن تؤمن أن الله مريد، وأن ما يريد أن يكون فهو يكون، وأن

قدرته على إيجاد المراد لا تحتاج إلى الزمن، فالقدرة الربانية متمكنة من إيجاد كل ما كان وما يكون في لا زمن، وبعبارة أدق لا في زمن. أما إيجاده للأشيآء كالسموات والأرض في ستة أيام، والنبات والأجنة في مُدَدٍ مقدرة لها وغير ذلك، فليس ذلك لحاجة القدرة إلى الزمن، ولكنه لِتُطَابِقَ القدرةُ الحكمةَ الْمُرَجِّحَةَ، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

كما لا يخفى أن إحداث المراد لا يستلزم فَهْمَ حدوث الإرادة ولا أزليتها، وأزليتها لا تستلزم أزلية المراد، فإذا وقفت عند هذا فلا أراك إلا قد أخذت بالأسلم ونجوت.

وقد ذكرها اضطرارا لَمَّا جآءت كلمة: ثواني قبلها مقفية البيت وهي توهم الحاجة للزمن فلزم رفع الإيهام ببيت بعده وجعلت له عنوانا لأهميتها.

هذا واستطراد بعض الأدلة على وجود الله في سياق الحشر؛ لأن اليقين بالحشر والحساب فرع اليقين بوجود الله وصفاته، وثبوت الحشر يتوقف على ثبوته، فمن المستطرد دليل الحدوث في بيت:

وديلُنا العقليُّ أحجم كلَّ كَفَّـ ـــارٍ دليلَ الكونِ والأكوان

لأنه إذا تقرر في العقول حدوث الكآئنات وجب وجود المحدِث، وخلاصته أن كل جسم تراه: لا يخلو عن أن يكون متحركا أو ساكنا، مجتمعا أو متفرقا، فإذا رأيته ساكنا ثم تحرك علمت أن ذلك السكون قد عدم، فإذا سكن بعد تحركه علمت أن الحركة التي كان بها متحركا قد عدمت وخلفها سكون، فهذا

السكون الأخير هو غير السكون الأول، فإذا تحرك الجسم بعده عدم السكون الثاني ووُجِدَتْ في الجسم حركة هي أيضا غير الأولى، فالحركة والسكون إذاً يوجدان ويعدمان، وقبولهما للعدم دليل أنهما محدثان قابلان للعدم، ووجدنا مع ذلك حاجة الجسم إلى أيهما، وعدم استغنآئه عن وجود أحدهما بحيث يتعذر أن يوجد خاليا منهما معا، بل كلما ارتفع السكون حلت الحركة فيه والعكس، فلما كان الجسم لا يوجد إلا بوجود أحدهما فيه وهما محدثان علمنا أنه محدث مثلهما، وهكذا الاجتماع والافتراق فتأمل بإمعان.

وعلمنا أيضا وحتما أن التغير من حركة إلى سكون أو العكس مفتقر إلى المرجح وأنه يستحيل بغيره وبغير فاعل.

وإذا عرفت حدوث الكآئنات علمت ضرورة أنه لابد لها من محدث أحدثها لاستحالة وجود أثر بدون مؤثر عقلا؛ وهذا في غاية الوضوح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وجوابنا على نفاة الأعراض، وحماة الأغراض:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

أليس من العجب أن يفهم كل حيوان أنه لا بد من مؤثر ، فلو رجمت كلبًا نآئمًا فإنه يهرب مذعورًا يبحث عن الراجم ليفر منه، ولن تجد كلبًا يظل في هذه الحال مطمئنًا لا يفهم له غريمًا إلا الحجر؛ فكيف يتبالد بعضنا عمدًا لكي يقنع آخرين بأنه الغبيُّ وأن الحيوان بالنسبة إليه ذكي؟ .

وأثنآء تدريسي قبل سنتين لطلبة وكان في يدي كتاب من أنفس المخطوطات خطًّا وحَجْبًا بالذُّهْبَةِ واللاَّز، وأنواع من المداد نحو تسعة خطوط كل صفحة، كل خط فاصل بينهما أدق من الشعرة لم يختلف، والمؤلَّف من أجَلِّ ما قرأنا، فأجبت على سؤآل أحدهم بما يناسب سؤآله قآئلاً : لو سألني إنسان عن هذه النسخة وقد هاله ما هالنا من روعتها فقال: من المؤلف؟ فقلت: يحيى عزيز[1] ، فضحك الطلبة والسامعون ضحكًا عاليًا، ثم سأل: ومن حجبه هذا الحجب المعجز؟ فقلت: العزي بابلي،فضحكوا أكثر ، فقال:ومن الناسخ فقلت: علي عنبسة، فضحك الجميع، فقلت: ولو سألنا نحن أمس عندما سمعنا بانطلاق أول صاروخ حمل إنسانًا إلى القمر عمن صنعه واخترعه ؟ وعمن أطلقه؟ ومن صعد فيه؟ فأجابنا المسؤول ووزع هذه الأمور على الثلاثة المذكورين، فأغرق الطلبة في الضحك، فقلت: إن الإسناد إلى الصدفة للكآئنات أسفه وأسخف بكثير وأكثر مجونًا ومزحًا من الإسناد إلى الثلاثة البُلْهِ؛ لأن لهم قدرةً ووجودًا وحياةً بخلاف الطبيعة والصدفة فغاية في سفه العقول.

---

(١) هذا والاثنان الذي بعده أسماء بلهٍ عاصرهم المؤلف.

ولما لم تجد العقول مهربًا من التسليم بوجود الخالق للكآئنات، اللهم إلا مَنْ خبطوا فقد هربوا بدعوى لا تغني، ولا تستطيع أن تستقر على قدميها أمام العقل لحظة واحدة.

تلك هي زعمهم الفاسد أن المادة قديمة، والمُحْدَثُ هو تركيبُها فقط، وفساد هذه النظرة ظاهر من قولنا: إذا سلمتم بحدوث التراكيب فلا بد من مؤثر للتركيب؛ لضرورة احتياج الأثر إلى مؤثر باتفاق، فالتراكيب تحتاج لمركب لها، فإن كان التأثير من باب العلية بأن تكون المادة هي المؤثرة وجب قدم التركيب؛ لأن المعلول لابد أن يكون مقارنا لعلته في الوجود كالشمس وضيآئها لما حولها، والمصباح ونوره لما حوله؛ كلما أنرنا المصباح أضآء ما حوله: ولا يتصور أن يتخلف النور عن الإنارة؛ لأن الإنارة علة، ووجود النور فيما حوله معلول.

وقد بينوا أن الترتيب بين العلة والمعلول إنما هو ذهني لا غير، أي ليس في الوجود؛ لأن وجود كل منهما مقارن لوجود الآخر، وعلى هذا يلزم أنه لا وجود للجزئيات والبسآئط بل المادة قديمة، وتركيبها قديم لقدمها.

كما أنه يلزم من زعم قدمها عدم فنآئها وعدم تغيرها، والواقع خلافه، وإن كان المُؤَثِّرُ ليس علة لزم تقدمه على المادة وهو الفاعل المختار وهذا ما أشرت إليه في بيت:

مِـنْ لوثـة الهـذيان زَعْـمُ تقـادم الـ ذرات لا التركيـــبِ ذي الحِـــدثان

فأما قِدَمُ الثبوت فهو وإن كان قد قال به علمآء أجلآء؛ فإنما قالوا به ظنا منهم أنه لابد للعلم الأزلي من متعلَّق يتعلق به ككل صفة، والمراد غير النحوية، وظنوا لزوم تقدم المتعلَّق، وحيث إن المعلوم حدوثه فقد جعلوا له ثبوتا غير موجود؛ ففرقوا بين معنى ثبت ومعنى وُجِدَ، وجعلوا التفرقة مصطلحا علميا لهم، حيث لافرق بينهما في المصطلح اللغوي، كما فعلوا نحوه بين القديم والأزلي[1] والحقيقة أنه لا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم قِدَمُ المعلوم كعلمنا بالجنة لا يلزم أن يحصل العلم بها حتى توجد، بل يوجد العلم بها وهي في العدم، وكتصورنا للدنيا والعالَمِ بعد ألف عام فإنه يصح تصوره قبل وجوده، كما يقال لهم أيضا: الثبوت عَرَضٌ كالوجود لا يستقل أيهما بالوجود في غير موجود، ولا محل لهما إلا الأجسام في المخلوق، وأنتم تقولون بهذا، فكيف يصح ما زعمتم، وهذا مجرد تقريب لا أنه محل النظر.

هذا واعلم أيها القارئ ويا أيها الباحث أن الأدلة العقلية وبراهينها الصادعة لا يحتاجها المؤمن إلا ليزداد الذين آمنوا إيمانا، وإلا لإقناع الكافر المنصف المستعد للإذعان للحق متى وجده في جانب مُنَاظِرِه، وإنما يحتاجها العالم ليحاجج بها الكافر العنيد ليقطع شبهته، ويدحض حجة الملحدين، أو لتثبيت

---

(١) أي كان قبل الوجود الثبوت.

المؤمن الذي إيمانُه على شفا جرف تزلزله لضعف فهمه شبهةَ الوسواس الخناس، أو سحر بيان الكفور المبين؛ فإن من البيان لسحرا، فأما المنصف الفاهم مؤمنا كان أو كافرا أو حآئرا فإنه إذا أمعن نظره في آيات الله البينات، وحججه الصادعات التي أودعها كتابه الكريم وتنزيله العظيم، واستبطنتها أكثر السور فيما يتعلق بوجود الله، ووحدانيته، وجميع صفاته: من القدرة، والحكمة، والعلم وغيرها.

وفيما يتعلق بعباده، وحالهم، ومآلهم، وما يسعدهم، وما يشقيهم في حاضرهم ومستقبلهم، فإن الناظر المنصف يجد في كتاب الله سبحانه ما يُسْتَصْغَرُ بعده كل برهان، ويستسمج مع تبيانه كل تبيان، مع فارق عظيم وهو أن آيات الله كلما تليت بتدبر زادت التالي إيمانًا واستحسانًا واستعذابًا ورغبةً وإكبارًا واستجلآء لدقآئق وغوامض لا تنقضي ولا تنزف، وكلما عاودت تلاوته زادك علما وازددت له إعظاما وبه إعجابا، وكل دليل تطرقت إليه العقول قد اشتمل عليه كلام العليم الخبير.

وعلمآء الكلام جزاهم الله خيرا ما دونوا تلكم المؤلفات إلا خدمة لما في كتاب الله، وتفسيرا لمقاصده؛ لأساليب وترتيب في الاستدلال تُقَرِّب مِنْ فهمه، وتقطع الطريق على المعاند والمغالط، فحدث مع الأسف تحامل من بعض العلمآء المؤمنين الذين خفي عليهم مقصدهم، واستغلق عليهم أسلوبهم؛ فانصدعت الجماعة وصارت حزبين،وكان منهم من أجهد نفسه في الغض من علم الكلام،

والتحذير عنه وعن المتكلمين، وكاد بعض خصومهم أن يُخرجهم من حظيرة الإسلام، وزَهَّدَ في علومهم، وجعلها من المحقرات بل ومن المنكرات، ونَفَّرَ منها جهده. ومن المعلوم أن اللدادة في الخصام والجدال والمرآء تخرج صاحبها عن الإنصاف، وتحمله على الغلو في الاعتساف. والمؤمن مُصَدَّقٌ إلا في سلعته، ومن جهل شيئا عابه.

لذلك أنصحك أيها القارئ أن لا تعتمد ما تقف عليه من هذا القبيل، وانظر في حال نفسك، فإن عرفت أن ذهنك وفهمك وذكآءك تؤهلك للغوص في دقآئق علم الكلام، وأنك ذو قدرة على إدراك الحق والحقيقية، والصَّدَرِ من بين الشُّبَهِ الدقيقة، وآنست من نفسك هواية للفن؛ فَخُضْ في بحاره موفقا معانا بإذن الله على شريطة أن تكون مخلصا دينك لله، وإلا تكن كذلك ففي كلام الله سبحانه غاية المطلوب، والحاجة التي في نفس يعقوب، ولكن لا تنتقص مع ذلك علم المتكلم، ولا تغض من شأنهم فتشارك مَنْ فَعَلَ في حرج أقحموا أنفسهم فيه جعلهم الله أجمعين بمنه وفضله ممن قال فيهم جل جلاله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧][(١)].

(١) وللموضوع تتمة في آخر المنظومة لا تتم فائدته إلا بها.

ومما يجدر بنا ذكره هنا وإن كان قد طال الكلام هذه الجُمَلُ الرآئعة للإمام محمد ابن إبراهيم الوزير رحمه الله في: إيثار الحق على الخلق، فهي تقوم مقام مجلد كبير في علم الكلام، قال رضي الله عنه ص٥٩ و٦٠: "ومِنْ أنفع ما تُدْفع به الحيرة أنه لابد من لزوم المحارة في العقول على كل تقدير، والإسلام أقل المحارات من جميع الملل الكفرية، وبالإسلام تندفع كلها وتخرج العقول من الظلمات إلى النور، وانظر إلى هذا العالم المحسوس بالضرورة تجد المحارة العقلية لازمة لوجوده؛ لأنه لا يخلو بالضرورة من الحدوث أو القدم، فالقِدَمُ من محارات العقول، والحدوث من غير مُحْدِثٍ من محاراتها بل من محالاتها، فالمحاراتُ أقرب من المحالات؛ لأن الممكن البعيد أقرب من الممتنع، ولا ثالث لهذين الأمرين إلا الإسلام، وإلى هذا أشار من قال:

صورة الكون محال — وهي حق في الحقيقة

لكنه أخطأ في تسمية المحارة محالا، فإن كانت المحارة لازمة للإسلام فهي لما عداه ألزم، فإن كان هذا اللزوم حقا فالمحارة حق؛ والحق لا يستوحش منه، وإن كان باطلا فالباطل حقيق بألا يستوحش من خشيته؛ لأنه لاشيء حقيقة، فكيف الخوف من لاشيء؟: فمن لم يثبت الرب قديما أثبت العالم قديما، ومن لم يثبت له أسمآءه الحسنى بلا سبب أثبت العالم بإحكامه وعجآئبه بلا سبب، ومن لم يقبل الإيمان بالبرهان والقرآن قَبِلَ الكفر بلا قرآن ولا برهان، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ حيث قال: (لا يَزَالُ الناسُ يتسآءلون حتى يقولوا: هذا الله

خلق الخلق فمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ !)[1]، وأَمَرَنَا بالاستعاذة والانتهآء حينئذ؛ لأنه يقال للكافر: فإذا أمكن وجود العالم بغير خالق؛ فأَوْلَى منه وجود الرب بغير خالق، ودَلَّ على أنه لابد من انتهآء الموجودات الممكنة إلى واجب الوجود عز وجل" انتهى كلام الوزير؛ فخذها بقوة أيها القارئ فإنها والله تحفة لا تقدر بثمن، وكلما زدتَها نظرًا ازددتَ فهمًا وعلمًا.

يزيـــدك وجههـــا حســـنا إذا مازدتهـــا نظـــرا

وقول الوزير: لابد من انتهآء الممكنات إلى واجب الوجود هو المراد من بيتَي:

ومـن المقـرر في العقـول وفي الأصـو ل حـدوثُ غـير الخـالق الـديان

والذي يليه:

فهـو الـذي وجـب الوجـود لذاتـه أزلا وعـز وجـل عـن إمكـان

لأن البراهين قامت على أن الأكوان متغيرة؛ وأن كل متغير حادث، وأنها ممكنة الوجود، وكُلُّ ممكنٍ وجودُه جآئزٌ عدمُه، ومستحيل قِدَمُه، وواجبٌ حدوثُه، وواجبٌ وجودُ مُحْدِثٍ له، ومحدثُه لابد أن يكون واجبَ الوجود، وإلا

(١) الاعتصام ٩/ ١١٩، البخاري ٦/ ٢٦٦٠ رقم ٦٨٦٦، مسلم ١/ ١٢١ رقم ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ابن حبان / رقم ١٥٠، أبي داود ٥/ ٩٢ رقم ٤٧٢١، البيهقي في السنن/ ١٠٤٩٧.

يكن واجبَ الوجود فإنه سيجب أن يكون له في النهاية مهما تعدد الوسط محدثٌ واجب الوجود، وإنما هو الله وحده.

وقال بعض العلمآء: الله هو الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، أي المستحق لصفات الكمال المطلق وحده، ولم يرض بهذه الحقيقة آخرون فقالوا: هو اسم لصفات الذات الواجب الوجود، نظرا منهم إلى أن الاسم الشريف مشعر بالمدح، والأعلام لا تشعر بمدح أو ذم[1].

والعَلَمُ أيضًا ما وضع لتمييز مسماه من جنسه، والله لا جنس له، أي إن الجلالة علم شخصي لا جنسي، وعليه فهو حقيقة لأنه استعمل فيما وضع له. وقال آخرون ليس حقيقة ولا مجازا؛ لأنهما من خواص الأمور الكلية؛ والأعلام موضوعة لمعان جزئية، وعليه فهو واسطة بينهما كما في حاشية عرفة على الشرح الصغير، وقال بعض: قد صار علما بالغلبة بعد أن كان موضوعا بإزآء صفة ذات.

---

(١) ولا يرد أن اللقب يشعر بمدح أو ذم ، فهذا لا يصدق عليه حقيقة العَلَم، وهي ما دل على شيء بعينه غير متناول غيره بوضعٍ واحد؛ لأن هذا يدل بوضعه على مجرد الذات فقط، وذاك يقصد به من الأصل المدح والذم للذات؛ فالعلَم أخص من اللقب.

هذا ومن وجب وجوده استحال عدمه واختص بالأزل، فإذا عاد الفكر بعد هذا يتسآءل كما في الحديث الوارد في كلام ابن الوزير أجيب عليه بقوله: إذا أمكن وجود الخلق بدون خالق؛ فوجود الخالق بدون خالق أولى أي أقل استحالة من وجود الخلق بلا خالق؛ فالفكرُ بين مستحيل بدرجة، ومستحيل بدرجتين، فإذا كان قد قَبِلَ المستحيل بدرجتين وهو وجود الخلق بدون خالق فأولى وأحر ى أن يقبل ما هو في نظره أقل استحالة وهو وجود الأزلي المطلق واجب الوجود، وهذا مجرد لفت نظر إلى ما تُجنُّه وتُكِنُّه عبارات ابن الوزير رحمه الله التي يحتاج تفصيلها إلى مجلد، والجديرة بقول الأول:

لـــــيس البلاغـــــةُ معنًـــــى	فيــــه الكــــلام يطــــولُ
بــــل صَـــوْغُ معـــنى جليـــلِ	يحويـــــه لفـــــظ قليـــــلُ
يظنـــــه النـــــاس ســـــهلاً	ومـــــا إليـــــه ســـــبيل

❁ ❁ ❁

فـإلى الخلـود وأرتجـي مـن فضـل ربــ	ــي أن ينجـــيني مـــن الـــنيران
ومن العذاب ببرزخـي والخـوف عنــ	ــد الـنفخ في صُـوْري ومـن ميـزاني
يـا مـن ذخـرتَ أجـلَّ رحمتـك الـتي	وأجـــلَّ غفـــران ليـــومي الثـــاني
خـــلاَّقَ رحمـــةِ كـــل أمٍّ أو أبِ	في الـــوحش والحيتـــان والثعبـــان
في الصـقر يغـدو سـاغبا مـن وكـره	بعزيمـــة التمـــوين لِلْفُرْخَـــانِ
رحمــاك بي يــا خــالقي رحمــاك بي	يــا رازقـــي رحمـــاك يـــا ديـــاني

عَمَلِي يُجَرِّعُنِي المخافةَ والأسَا	أملي بعفوك لا سواه أماني
طوبى لمن فازوا بحسن خواتمٍ	ويلٌ لمن ولّى صريعَ أمانِ[1]
ويل لمن فتنتهم الدنيا بزخـ	ـرفها وغرهم القليل الفاني
هل عنه أغنتْ ألفُ عام قد مضت	ألفٌ مضى أو لحظةٌ سِيَّان
إياي بل إياك بل إياي قد	حذرتُه فليحذر الإثنان

نعم لقد وضح وضوح الشمس في رآئعة النهار أن الله سينشؤنا النشأة الآخرة، فهيا بنا إلى الخلود، أيها الشهود.

وصُوْرِي: جمع صورة كصوف وصوفة. وبُسْرٍ وبُسْرَة: أي صُوْرُ أجزآئي. ومن ميزاني: عطف على النيران، وفيه من عيوب البلاغة ضعف التأليف لم أهتد لأحسن منه، أي من عاقبة ميزاني، ففيه مجاز بالحذف. وصريع أماني: إما جمع أمنية وقد ذم الله الأماني في غير آية، أو تريد به الأمان ضد الخوف، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وهل عنه أغنت الخ: يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

(١) تصلح جمع أمنية بالياء وتصلح بحذفها بمعنى أمان من الأمن ضد الخوف.

يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعرآء: ٢٠٥ - ٢٠٧]. ولَمَّا علمتُني أحوجَ من المخاطب للنصح والتذكير قلتُ: إياي مرتين وإياك مرة، نفعنا الله جميعا آمين.

وصية ونصيحة

أوصيك بالإخلاص عند البحث عن حَـــقٍّ وبـــالتقوى عـــن البـــهتان
وعـــن اتبـــاع هـــواك والتقلـــد أيـــ ـــاً كـــان للقاصـــين أو للـــداني
وعـــن العِـــدآء لمـــا جهلـــتَ والانخـــدا ع بشـــــهرة لفـــــلانٍ او لفـــــلان
وانظـــــر لمـــــا قـــــالوه لا تنظـــــر لمـــــن قـــــالوا وحـــــاذر فتنـــــة الفتـــــان

مما روى التاريخ أن عليًّا كرم الله وجهه لما صرع عمرو بن عبد ود وأراد الإمام أن يُذَفِّفَ عليه – تفله عمرو في وجهه؛ فانصرف علي عنه وقتا، ثم عاد فأنهاه؛ ولما سئل عن السبب قال: خفت إن أجهزت عليه تلك اللحظة أن يدخل في عملي لله شيء من الغضب لنفسي؛ فانصرفت حتى أمنت على عملي من ذلك.

وحاجة العمل للإخلاص أعظم من حاجة الحي إلى التنفس والهوآء والمآء، فإنما يتقبل الله من المتقين. فإذا قمت بالبحث عن الحق فاطلب به الحق كما يطلب الغريق الإنقاذ؛ لا يلوي على شيء سوى النجاة.

وإذا كان اتباع الهوى، وكذلك التقليد بتعصب للآبآء والمشآئخ من المهلكات، ومما ينبغي محاذرته ومجانبته؛ فبالأولى الأباعد، كما يجب تجنب المعاداة لما يجهله المرء، فعسى أن يكره شيئا وهو خير له والعكس.

وقد حظي كثير من العلمآء بشهرة عظيمة خالدة تربي في النفوس إكبارا لهم، ومغالاة في حسن الظن بهم وبدقة أنظارهم، ولا عصمة لأحد منهم ولا لغيرهم من الخطأ، إنما العصمة لمن أخبر الله أو الأنبيآء لا سوى.

فواجب الباحث عن الحق أن لا يتكل إلا على بذل وُسْعِه والإنصاف في بحثه، فإذا وجد له موافقين في اجتهاده كان على ثقة أنه من الوفاق لا من التقليد، سوآء كان من توافقه من المحظيين بالشهرة والأتباع، أومن المغمورين.

وواجب الباحث عن الحق أن لا ينظر فيمن قال، وإنما ينظر فيما قال، فالرجال يعرفون بالحق، لا أن الحق يعرف بالرجال.

قال الزمخشري رحمه الله في أطواق الذهب: "امش في دينك تحت راية السلطان -أي البرهان- ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان، فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من المحتج على قرينه، وما العنز الجربآء تحت الشمأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل، ومن تبع في أصول الدين تقليده فقد ضيع ورآء الباب المرتج إقليده".

وقال في الحث على النظر: "املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجِلْهما في جملة هذه العجآئب؛ متفكرا في قدرة مقدرها، متدبرا في حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر" انتهي.

ولا يقدر هذه النصيحة حق قدرها إلا من تصور واستحضر حاله يوم يقال: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

وهذا ما توحيه فكرة الأربعة الأبيات السالفة. نسأل الله لنا التوفيق أجمعين؛ آمين.

الثقلان

يـا حـآئر استمسـك بحبـل الله إن	خفـت الوقـوع غـدا بـدار هـوان
لا تعـد عـن نهـج الكتـاب ونهـج آ	ل محمـدٍ إن الهـدى الثقلان
مـن مثـل بـاقرهم وصـادقهم وكـا	ظمهـم وكالسـجاد والإيـراني
مـن مثـل زيـد يـا تـرى والناصـر الـ	أطـروش أو كالقاسـم الربـاني

يشير البيتان الأولان إلى حديث الثقلين المتواتر، ولا يشك في تواتره إلا قاصر الاطلاع، ولا يغمز في صحته إلا من في قلبه مرض؛ والحديث أشهر من نار على علم، وقد ذكره أكابر علمآء السنة بخير ونوهوا بالفضيلة، أذكر منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في مواضع كثيرة من مؤلفاهما ، ورددا مثل حديث: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)[1]، وحديث الاصطفآء، والكسآء والمباهلة، وآية ذوي القربى، وآية إذهاب الرجس. ومنهم الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، والإمام محمد بن إسماعيل الأمير في الروضة الندية[2]، وغيرها، والسيد محمد رشيد رضا في تفسير سورة الكوثر ذكر معجزة بقآء الذرية النبوية وعدم انقطاعها إلى يوم القيامة. ولو

---

(١) الترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٩، الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) أعيد طبعها وتخريج أحاديثها بعناية فآئقة بمركز بدر فاطلبها.

سردت أسمآء من ذكروا حديث الثقلين من علمآء الفرق الإسلامية لأمللت القارئ.

ومن يستقري يجد معشار رواته من كل جيل بيننا وبين جيل الصحابة محصلا للتواتر، كما أن ثمانية وعشرين صحابيا يحصل العلم باتفاقهم على روايته بصيغة كتاب الله وعترتي، أو أهل بيتي، أو بمعناها، كما لا يخفاك أن رواية: وسنتي بدل وأهل بيتي هي أحادية صحيحة تزيد المتواتر قوة وتعزز مدلوله ووجوب العمل به، فإن من السنة العمل بموجب الرواية المتواترة.

ومما تواتر في مدلوله حديث: (أهل بيتي كسفينة نوح)[1] جزم بتواتره عدد من أكابر آئمة السنة، وراجع الروضة الندية في بحثه، والعصمة عن الضلال للإمام الجلال، وراجع تفسير ابن كثير في سورة الأحزاب، وجلآء الأفهام لابن القيم. ومحاولةُ الاستيفآء للمؤلفين والمؤلفات التي ذكرته تحتاج مجلدا، وحسبك ما إليه أشرت.

هذا والبيتان الأخيران ذكرا نموذجا من علمآء أهل البيت. وَسْرَدُ فضآئلهم ومناقبهم لو فعلته لكان من باب:

وصفاتُ ضوء الشمس تذهب باطلا ۞ ...

(١) سبق تخريجه.

إلى جانب الإخلال بالاختصار المناسب للمقام. ومما عثرت عليه من خطي قديما ما لفظه: رب هفوة تتولد منها هفوات؛ تتناسل غير عقيمة، وتتعاقب عليها الأزمان دهرا بعد دهر، وجيلا بعد جيل.

قالوا: ادعى عليٌّ عليه السلام آن نصوص النبي يوم الغدير وفي غزوة تبوك وغيرهما تلزم بإمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا فاصل، وهذه الدعوى تستوقف النظر في: هل هو محق، أو مبطل فيها؟ وتتطلب منا النظر في قول الخليفة عمر في حديث الصحيحين: لقد كانت بيعة أبي بكر فلتة..إلخ. وتستوقف التأمل والإمعان في قوله: لأهل الشورى الستة لا يغلبكم معاوية..إلخ. هل قالها على فهم صآئب بما عليه معاوية من القوة العظمى في بلاد الشام، وما عليه معاوية من الطموح إلى الملك العضوض؟ أم كان مجرد كلام كمن يهرف بما لا يعرف؟ ،هل كان عمر يخشى بذلك تفرق الستة رجال الشورى، كما حدث الذي سيؤدي إلى ملك معاوية العضوض بنص حديث الصحاح، وبنص الحديث أيضا الذي منه: يؤتى بأناس من أصحابي يوم القيامة فيساق بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.. إلى قوله عليه السلام: فأقول: سحقا سحقا[1].

(١) البخاري٥/٢٤٠٦، وقد سبق تخريجه.

كما يجب على الباحث في الموضوع أن لا يغفل عن التدليس بأن المراد هم المنافقون، ولو لم يكن إلا قول الحق لعبده إنك لا تدري ما أحدثوا ..إلخ. فإن النبي ﷺ كان على علم بالمنافقين في حياته، وأسَرَّ بأمر بعضهم إلى حذيفة بن اليمان.

كما يجب على الباحث أن لا يفلت من يديه معنى حديث: ثم يكون ملكا عضوضا، وهناك حديث: (إن تُوَلُّوا عليًّا تجدوه هاديا مهديا) [1]، كما ألفت نظر الباحث هل كان علي هاديا مهديا أم لا؟ وأنه بالإجماع أحد الخلفآء الراشدين؟ وإلى حديث: (يكون هلاك هذا الدين على أيدي أغيلمة ..إلخ) [2] في الصحيحين أيضا. وحديث: (إن حامل لوآئي في الدنيا والآخرة..) هل كان حامل لوآء رسول الله في معاركه جميعها إلا في أُحُدٍ لسبب، وإلا في تبوك لسبب، أم لا؟ وهل كانت بدر إلا لعلي كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؟ [3] وهل برز غيره لعمرو بن عبد ود بعد تكرر الطلب يوم الأحزاب؟ وهل تفرقت الأحزاب إثر ذلك؟ ؛ ولذلك تأمل جيدا متحريا بالإنصاف يوفقك الله وإياي.

---

(١) أحمد في المسند١/٢٣٢ رقم ٨٥٩، الاصابة٢/٣٥٠٣، الاستيعاب٣/٢١٢، وأمالي المرشد بالله١/١٤٣.
(٢) دلآئل النبوة ٦/٤٦٤.
(٣) شرح النهج خطبة ٦٥.

ولما أراد معاوية مبايعة ابنه يزيد وبويع من الأغلب كرها، ومن العامة رغبا في العطآء، وقال خطيب من أنصاره لمعاوية: أمير المؤمنين هذا فإن مات فهذا- وأشار إلى يزيد- فمن أبى فهذا، وأشار إلى السيف، فقال له: أنت أخطب العرب اقعد. وأوصى معاوية يزيد: أنه إن ظفر بابن الزبير قطَّعه إربا، وأما الحسين فليصفح عنه كما صفح النبي عنه وعن والده أبي سفيان يوم الفتح. وقد أشار منصور في أبياته إلى فاجعة كربلآء و لم يتعرض لفاجعة المدينة المهيلة من مسلم بن عقبة المري أيضا، ورمي معسكر يزيد للكعبة، وقتل ابن الزبير، ويقول الحق سبحانه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣].

قال الزمخشري في الكشاف عند قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل:٩٠] ولعمري لقد كان شتم علي على منابر الجمعة فحشا وبغيا ومنكرا، وقد استمر هذا حتى أزاله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد قرابة سبعين عاما.

ولمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري سبعة عشر بيتا لم أقف على أروع منها من كل جهة اعتبار، فكل بيت منها قآئم بنفسه، ويحتاج شرحه لكراريس. وفي تأريخ المسعودي، وابن كثير وابن جرير الطبري وغيرها مثل: الإمامة والسياسة لابن قتيبة ما يكفي. وهي:

شَـآءٌ مـن النـاس راتِـعٌ هامِـلٌ … يعللـون النفـوس بالباطـلْ
تُقْتَـلُ ذُرِّيَـةُ الـنبي ويـر … ـجون دخـولَ الجِنَـانِ للقاتـلْ

برق يمان على قدسيَّة الإيمان وهو يماني .
تأليف: السيد العلامة الحجة: محمد بن محمد بن مطهر المنصور ، تقديم: د. المرتضى بن زيد المَحَطْوَري الحَسَنِي .
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مطبوعات مركز بدر العلمي والثقافي – صنعاء .
www.almahatwary.org

ويلك يا قاتلَ الحسين لقد ... بُؤْتَ بحِمْلٍ يميل بالحاملْ

أَيُّ حِبآء حبوتَ أحمدَ في ... حُفرتِه من حرارةِ الثاكلْ

بأيِّ وجهٍ تلقى النبيَّ وقد ... دخلتَ في قتله مع القاتلْ

تعالَ فاطلب غدًا شفاعتَه ... أَوْ لاَ فَرِدْ حوضَه مع الناهلْ

ما الشك عندي في حال قاتله ... ولا أراني أشكُّ في الخاذلْ

نفسي فدآءُ الحسين حين غدا ... إلى المنايا غُدوَّ لا قافِلْ

ذلك يومٌ أنحى بشَفرته ... على سَنَامِ الإسلام والكاهلْ

يا عاذلي إنني أحب بني ... أحمدَ فالتُّرْبُ في فم العاذلْ

كم ميِّت منهمو بغصته ... مغتربُ القبر بالعَرَا نازلْ

ما انتحَبَتْ حولَه قرابتُه ... عند مقاساة يومه الباسل

أَذْكُرُ مَنْ هُمْ ومَنْ أَصَابَهُمُ ... فيمنعُ الصَّلْبُ سَلْوَةَ الذاهل

مظلومةٌ والنبيُّ والدها ... تُديرُ أرجآءَ مقلةٍ حافلْ

ألا مصاليتُ يغضبون لها ... بسلَّة البِيضِ والقَنَا الذابل

قد ذُقْتُ ما أنتمُ عليه فما ... رجعتُ من دينكم إلى طآئل

من دينكم جفوةُ النبي وما الـ ... ـجافي لآل النبي كالواصلْ

ومن يتأمل في أبيات منصور يعلم أنه كان ملما بذلك التأريخ وتلك الأحاديث، وبما ترتب عليها من مآسيها وما تلتها من المآسي– رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

ولما دون الخليل بن أحمد أوزان العروض رآه ابن له فخرج يقول للناس: إن أبي قد جُنَّ، فقال أبوه:

لو كنتَ تعلم ما أقولُ عَذَرْتَني ... أو كنتُ أجهلُ ما تَقول عذلتُكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتَني ... وعلمتُ أنك جاهل فعذرتُكا

إن تمحيص الحقيقة يحتاج إلى إمعان وتدبر في هذا وفي ما دبت عليه الوقائع، وفي ما دلت عليه آحاديث أُخر، ومن تتبع كل ذلك فإنها ستوصله إلى برد اليقين فيما يريد الوقوف والتوقف عليه.

هذا والإمام محمد الباقر مات بالجحفة، ودفن في البقيع في قبة أهل البيت مع أبيه علي السجاد والحسن سيد شباب أهل الجنة وغيرهما، وفي تاريخ وفاته اختلاف، قيل سنة مآئة وثمانية عشر.

وابنه الإمام جعفر الصادق مولده سنة ثمانين، ووفاته سنة مآئة وثمانية وأربعين، دفن في قبة أهل البيت بالبقيع.

والإمام موسى الكاظم ابنه توفي ببغداد، وابنه الإمام علي الرضى في مشهد طُوْس، وهو مرادي بالإيراني، وقد سبق إلى بعض الأذهان "ونعم ما سبق إليه"

أن المراد الإمام آية الله الخميني حفظه الله وأطال في عافيته وتأييد عمره، ونعم الإمام هو، ونعم الخلف لخير السلف[1].

والسجاد زين العابدين مولده سنة خمسين، ووفاته بالمدينة سنة أربع وتسعين، دفن في قبة أهل البيت صلوات الله وبركاته على جدهم الأمين وعليه وجميع آله الأكرمين.

والإمام الأعظم زيد الشهيد شقيق الباقر خرج للجهاد في سبيل الله سنة مآئة وإحدى وعشرين، واستشهد ودفن، ثم استُخرج وصُلِبَ أربع سنين، ثم أحرق بالنار في الكوفة، ومشهده مزور معروف شرقي الكوفة.

والإمام الناصر سمي الأطروش لطرش كان في أذنه، ولد سنة مآئتين وثلاثين ومات سنة ثلاثمآئة وأربع، وكان آية في الشجاعة والعلم والزهد والكرم، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أجمعين.

والإمام القاسم ترجمان الدين ونجم آل محمد مولده سنة مآئة وسبعين بعد قتل الإمام الحسين بن علي الفخي بأشهر، ووفاته سنة مآئتين واثنتين وأربعين، وقيل: وأربع وأربعين. قال قآئل فيه:

(١) حال إعادة الكتاب للطبع قد كان توفي الخميني قبل ١٢ سنة.

ولـو أنـه نـادى المنـادي بمكـةٍ بخيـفِ مِنَـىً في مَـنْ تضـمُّ المواسـمُ
مَـنْ السـيدُ السـباق في كـل غايـة لقـال جميـعُ النـاس لا شـكَّ قاسـمُ

وهو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم وعلى جدهم سيد المرسلين وعليهم وعلى جميع الآل المطهرين.

وهذه الكوكبة التي ذكرناها من آل محمد بعضٌ من كُلٍّ، فلا يخلو زمان عن القآئمين بحجة الله مصداقا لقوله ﷺ : (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[1].

ومصداقا لما قاله محمد رشيد في تفسير سورة الكوثر : إن الله بَشَّرَ نبيه بثلاث بشارات فيها: إحداها أن ذريته لا تنقطع إلى يوم القيامة؛ فما هو بالأبتر، إنما الأبتر شانيه العاص بن وآئل السهمي.

ونزين هذا البحث بكلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه الذي أورده أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل في كتابه عين الأدب والسياسة، وهي أيضا موجودة في النهج وغيره. قال كرم الله وجهه لكميل بن زياد: "إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك ؛ الناس ثلاثة: فعالم

(١) سبق تخريجه.

رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، ها إن هاهنا لَعِلْمًا جمًّا –وأشار بيده إلى صدره– لو أصبت له حَمَلَةً بلى أصيب لَقِنًا غير مأمون عليه، مستعملا آلة الدين للدنيا، ومستظهرا بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليآئه، أو منقادا لَحَمَلَةِ الحق لا بصيرة له في احنآئه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، ألا لاذا ولاذاك، أو منهوما باللذة، سلس القيادة للشهوة، أومغرما بالجمع والإدخار، ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شَبَهًا بِهِمَا الأنعام السآئمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه. اللهم بلى لا تخلو الأرض من قآئم لله بحجة، إما ظاهرا مشهورا، وإما خآئفا مغمورا؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم ذا وأين؟ أولئك والله الأقلُّون عددًا، والأعظمون عند الله قدرًا، يحفظ الله بهم حججه وبيانته حتى يودعها نظرآءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفآء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه".

هذا بيان للناس يهدي للتي هي أقوم، خرج من المشكاة التي خرج منها كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ ، تبهرك بلاغتُه بمقدار ما يبهرك هُدَاهُ، نصب الأعلام على جوانب المحجة، وأوضح الحجة، وقوله: ألا لا ذا ولا ذاك،

أي: لا ذا أهلٌ لاستيداع العلم ولا ذاك فأُوْدِعُهُما إياه، كما أن الصنفين الآخرين كذلك؛ فلم يبق إلا نزر يسير أشار إلى قلتهم بقوله: وكم ذا؟، وإلى خفآئهم بقوله: وأين؟.

ونظير هذا الكلام الجليل من بعض الوجوه قوله عليه السلام: "يا ابن الكَوَّا حفظتَ المسألة فافهم الجواب؛ السنة والله سنة محمد ﷺ ، والبدعة والله ما خالفها،والجماعة والله أهل الحق وإن قلوا، والفُرقة والله متابعة أهل الباطل وإن كثروا"، وبهذا نفهم معنى يدُ اللهِ مع الجماعة؛ ومَنْ شَذَّ شَذَّ إلى النار. وعلى مثل هذا تَرَكَنَا النبيُّ ﷺ على بيضآء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

مـــا غـــارب إلا وآخـــر طـــالع	بالســـــنة الغــــرا وبـــــالقرآن
مرضـــاة ربـــك في لزومهمـــا وإن	شـن القــلاة عليـك حـرب عَـوان
إن الكتـــــــاب وإن آل محمــــــــد	يـــا عـــابر الـــدنيا ســبيلُ أمـــان
إيـــاك تقـــدم أو تـــأخّر عنـــهما	واعلــم بــأن هلاكــك الطرفــان
أنظـــر بإنصــــاف إلى أنظـــارهم	والـــنص والتأويـــل بالإمعـــان
في العـــدل والتوحيـــد تعلـــم أنهـــم	أهـــل الهـــدى والعلـــم والإيمـــان
قل لا غضاضة في الرجوع إلى الصوا	ب عـن الخطـا ومزالـق الشـيطان
هــم بــاب حطـة والسـفينة والأمـا	ن وهـــم أدلتنـــا إلى الرضـــوان
هـــم حجـــة الله الـــتي قُـــرِنَ الكتـــا	ب بهـم بـلا ريـب مـدى الأزمـان
فعليــك بــالثقلين تَــنْجُ ولا تُبَــل	إن أنكـــر الملـــوان والـــثقلان

وعلـي الكـرار والحسنان والـ ... ـهادي جمان العقد أي جُمان

وبنو علي هم وشيعتهم تَرَا ... جمَةُ البلاغ وشوكة الميزان

تلك السفينة في خِضَمٍّ هائجٍ ... فاركب معي اْركب مع الرُّباني

وحذار من تأويلٍ أو تحريفٍ أو ... تزوير قالٍ آلَهُ أيْ شاني

جعلوا الحقآئق والهدى تبع الهوى ... ويل لهم ويل لهم ويلان

لأخو النبي وداده وولآؤه ... علم النجاة علامة الإيمان

لَهُوَ الأحب إلى النبي وربه ... ما دار إلا دار بالفرقان

فمن ادعى حب الوصي معظما ... أعدآءه فهو الجهول الماني

ضدان ما اجتمعا ومن زعم اجتما ... عهما أسير وساوس الولهان

ومآل من عاداه قعر جهنم ... إن لم يتب عن زلة الشنئان

كم حَجَّهُ متواترٌ وصحيحُ آ ... حادٍ وآياتٌ من القرآن

فأبى قبول الحق ثاني عطفه ... أَوَ مَا يخاف الله هذا الثاني

ووسيلتي يا رب حُبُّ محبهم ... والبغض للقالين كل أواني

حبي لشيعته وبغض عدآئهم ... زادي لنيل العفو والرضوان

والسنة الغرآء سنة رسول الله ﷺ، أي هم كالنجوم كلما غرب نجم طلع آخر لاستمرار حجة الله على عباده بهم كاستمرارها بالثقل الأكبر.

وبيت: إياك تقدم أو تأخر عنهما...الخ، أي عن الثقلين، ولفظ الحديث: (فلا تقدموهما ولا تأخروا عنهما فتهلكوا)، وهو مما دار في كتب ابن حجر الهيثمي، وابن القيم، وابن تيمية. وكلمة الأمان تشير إلى حديث: (أهل بيتي أمان لأهل الأرض، والنجوم أمان لأهل السمآء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهب النجوم من السمآء أتى أهل السمآء ما يوعدون)[1].

وفي وسع القارئ أن يقف على تخريج أي حديث ذكرناه أو نذكره من كتب التخريج، أو الروضة الندية للأمير، أو ذخآئر العقبى أو من ذكرتهم آنفا.

والرضوان: صالح لأن تعنيَ به رِضَى الله، أو خازن الجنة، فتكون الألف واللام للمح الأصل، والثقلان الأولان الكتاب والعترة، والأخيران الجن والإنس، وربان السفينة قآئدها عبر أمواج البحار بكفآءة، وهو بالنون فقط، وبيآء بعدها أيضا، والتحذير من التأويلات الباطلة والتحريف والتزوير جآء فيه حديث شريف لفظه: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) والكتب الإسلامية في الحديث والتاريخ وعلم الرجال دخلها كثير من هذا. ومَنْ أخلص دينه لله هداه الله حتى يميز الخبيث من الطيب.

---

(١) الصواعق المحرقة ص١٥٢.

والباغض لعلي أو شيعته الراشدين منافق، وقعر جهنم يشير إلى قوله تعالى: ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النسآء: ١٤٥]، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النسآء: ١٤٠]، ومَنْ عُرِفَ بالبغض يَحْسُنُ التأكد هل مات على ذلك ولم يتب؟ وإلا تاب الله عليه مالم يكن قد حضره الموت: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٨].

وفي حديث عن العباس بن عبد المطلب قال له النبي ﷺ : (والله لا يؤمنون -ثلاثا- حتى يحبوكم لله ولأجلي)، وفي حديث قال له ﷺ : (والله لا يدخلون الجنة)؛ وهذا نص في عدم إيمانهم المعتد به؛ لبغضهم لآل النبي وفي عدم دخولهم الجنة، وفي حديث عمار: (يدعونه إلى النار)، دليل أنهم أهلها إن لم يتوبوا وإلا فالحديث لغو لا معنى له.

وفي بعض الآثار: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام: (قل لفلان الزاهد: أمَّا زُهدُك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعُك إليَّ فقد اكتسبتَ به العِزَّة، ولكن ما عملتَ في ما لي عليك؟ ، قال: يا رب وما لك عليَّ بعد هذا؟ ، قال: هل واليت فيَّ وليًّا أو عاديت فيَّ عدوًا؟ ، انتهى).

وهذا مطابق لقوله تعالى:﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، و [المجادلة:٢٢] لحديث: (من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب).

وفي حب شيعة علي وآله أحاديث كثيرة: من بواعثها عِلْمُ الله تعالى بما سَيُكْذَبُ عليه، ويُؤْمَرُ بسببه والبرآءة منه. اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك ويحب نبيك وآل نبيك يا ذا الجلال والإكرام، واجعلنا مع حبيبك ومجتباك سِلْمًا لمن سالم حَرْبًا لمن حارب.

والمراد بتراجمة البلاغ تراجمة القرآن الكريم، والبلاغ من أسمآئه، قال تعالى: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، والملوان الليل والنهار، والإسناد إليهما مجاز عقلي علاقته الظرفية، والهادي في البيت هو "الإمام الأعظم الهادي إلى الحق".

الإمام الأعظم الهادي إلى الحق

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأم إبراهيم بن الحسن المثنى هي فاطمة بنت الحسين بن علي، فإبراهيم سليل السبطين الحسن والحسين، ولدته فاطمة الزهرآء وعلي المرتضى مرتين، وسيدُ الخمسة أهل الكسآء وأعظمُهم، أفضلُ مَنْ حملت الغبرآء وأظلت السمآء محمدٌ المصطفى؛ هؤلآء ولدوا كلُّهم إبراهيم الشبيه برسول الله مرتين.

وقد ذهبت جماعة من أهل اليمن إلى مدينة رسول الله ﷺ قاصدين إلى الهادي يحيى عليه السلام لَمَّا اشتد البلآء بأهل اليمن من جرآء الفتن، وتطاحن الرؤسآء فيما بينهم واشتدت وطأة الظالمين على الضعفآء حتى كان اليأس، وعِظَمُ البأس، وبلغ الحال إلى أن بعض الأجناد كانوا لا يكتفون باغتصاب النسآء؛ فربما رأوا غلاما وسيما فيأخذونه من بين الناس، واختفى الأمن والاستقرار عن طول اليمن وعرضها على الأنفس والأعراض والأموال.

فلما وصَلَتْ إلى يحيى تكلم الجماعة وأقاموا عليه الحجة، أجابهم وشرط عليهم الطاعة ما عمل بكتاب الله، وعلى نفسه أن لا طاعة له إذا عصى الله، ولبث في اليمن عامين فكان من بعض الجند نَهْبُ فاكهة على بعض الرعايا، فقام الهادي فيهم وقال: إنْ هِيَ إلا سيرة محمد ﷺ وإلا فالنار، ولن أكون فيكم كالمصباح يحرق نفسه ليضيء غيره، وانكفأ عآئدا إلى المدينة؛ فتعاظمت

المحن، وتفاقمت الفتن، فاضطر أهل اليمن إلى الذهاب إليه ثانيا، وبعد إلحاح أقنعوه فعاد سنة أربع وثمانين ومآئتين، واستمر إلى سنة ثمان وتسعين يقاتل في سبيل الله في زمرة من الخِيرة الأبرار من اليمنيين ومن مختلف الأقطار[1].

وإلى جانب قتاله بالسيف لم ينقطع جهاده بالقلم واللسان، وتخلدت انتصاراته بهما إلى يوم القيامة حيث طهر اليمن من رجس الجبر والتشبيه والقرمطة؛ ونشر فيها العدل والتوحيد، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه، ومنع من التقليد، وفتح باب الاجتهاد وأبواب الجهاد، وقاتل في إحدى وثمانين معركة كان في كل منها في مقدمة المجاهدين كما شرط هذا على نفسه في كلام عظيم. ولا يعرف قدره، وينزله في المنزلة التي بوأه الله إياها إلا من قرأ سيرته، واستشف من كلامه ورسآئله سريرته، فهو في اليمن يعسوب المجاهدين المحقين، وإمام آئمة الجهاد والاجتهاد الراسخين المحققين، أقواهم حجة، وأهداهم محجة.

(١) كانوا رضوان الله عليهم مصداق ما جاء في حديث أبي ثعلبة: "الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل أجر خمسين يعملون مثل عمله. قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟، قال: أجر خمسين منكم كانوا غرباء في الناس". وكثير منهم كانوا غرباء عن أوطانهم، غرباء بتقواهم وصبرهم الذي لا تتحمله الجبال، غرباء بثباتهم على هذا حتى لقوا الله شهداء. وجاء في حديث شريف: (طوبى للغرباء).

قيل له وقد كاد يكبر تكبيرة الإحرام: ممن المعاصي؟ ، فالتفت وقال: ومَنِ العاصي؟ !، فأحجم السآئل الذي تحيَّن ذلك الوقت لسؤآله لعلمه أن يحيى يرى الكذب من نواقض الوضوء.

وما انهزم في معركة قط. قآئم ليله، صآئم أكثر أيامه. من أزهد الناس: في مأكله، وملبسه، ومسكنه. وبيتُ: انظر بإنصاف إلى أنظارهم...الخ، والبيت الذي يليه شاهدُهما سيرةُ يحيى، وسيرة زيد بن علي، وثروتهما، وثروة القاسم بن إبراهيم العلمية وغيرهم من علمآء أهل البيت عليهم جميعا سلامُ الله ورحمته وبركاته.

ومن قرأ وأنصف علم أنهم مصداقُ حديثِ الثقلين أهل الهدى والعلم والإيمان، وإذا أحببت أن تزداد يقينا من هذا فقارن بين أخلاق وسلوك أهل هذا البيت النبوي وغيرهم، فبضدها تتبين الأشيآء، وستجد العجب العجاب من حلمهم وعفوهم وكرمهم ومروءتهم وزهدهم وعدلهم. فقارِنْ مثلا بين أخلاق علي وسلوكه وضميره وبين أخلاق وسلوك وضمير خصمه يومَ سبق خصمُه إلى شرعة المآء بصفين فمنع عليا وأصحابه أن يستقوا، وحاول أن يقتلهم عطشا؛ فاضطر أصحاب علي للقتال على المآء، فلما أَجْلَوْا خصومهم وأرادوا أن يعاقبوا بمثل ما عوقبوا أمرهم علي أن يتركوهم يستقوا، وقَسَمًا بَرًّا بفضل الله: لو تمكنوا من منع علي لأهلكوه وأصحابه عطشا، ودليل هذا ليس من ذلك اليوم ببعيد؛ فإنهم قتلوا الحسين وأطفاله وصحبه عطشا يوم الطف، وكانوا

يلوحون لأصحاب الحسين بالمآء وقد أشرفوا على الموت عطشا ويقسمون لهم أن لا يذوقوه حتى يفارقوا الحياة، وفعلا لم يذوقوه. وقد استعطفهم الحسين لطِفْلَيْنِ؛ إذ اشتد بهم سعير العطش فرفع لهم أَصْغَرَهُمَا وهو في نحو عام ونصف أو عامين وناشدهم أن يسقوه فكان جوابهم أن سددوا سهما إلى فم الطفل فقتله بعد أن جاد بنفسه ينازع والدم ينبعث من داخل حلقه من الرمية والسهم، وكان جوابهم لابن الأربع سنوات أن رموه بسهم في ثغرة نحره فمات بعد معالجة سكرات الموت في حضن أبيه بالسهم والعطش معا، وفي ذلك يقول عبد الباقي العمري:

شن بنو حَرْبٍ على ابْنِ سِلْمِهِمْ	للحرب يوم الطف خيلا شُزَّبا
للحرب نارا أوقدوها فاغتدوا	– ويل لهم – لنار ربي حطبا
وقطعوا وشآئج الأرحام في	ماضٍ بتامور القلوب انشعبا
لا بكت السماءُ أجداثَ الأُلى	أبكوا على فقد الحسين زينبا
تالله مايفعل هذا غيرُ مَنْ	أنكر حشره غدا وكذبا
صدوه عن ماء الفرات صاديا	فاختار من حوض أبيه مشربا

وقد ماتوا جميعا وهم يرون ماء الفرات تتمرغ فيه كلاب السواد وليس بينهم وبينه إلا سد منيع من جيش الأمويين.

وقارن أيضا بين رسول الله ﷺ يوم قال: اذهبوا فأنتم الطلقآء، وكذا بين موقف علي وقد ظفر بمروان وشيعته يوم الجمل، وموقف ابن زياد ويزيد

من أسارى الطف، وعدم اكتفآئهم بقتل الحسين؛ بل حَمَلَهُم شدةُ الحقد والبغض للخمسة أهل الكسآء المتمثل في عبثهم بالمنع من المآء، وسفك الدمآء، ونهب النسآء، والتعزير بهم بين الملأ، والتطواف بهم في الشوارع، وإركابهم على الأقتاب من الكوفة إلى تخوم الشام.

لم يكتفوا بهذا بل سخّروا عشرا من الخيول تدوس ذاهبة وآيبة مرارا عديدة جسد الحسين الشريف، وماذا الذي أفادوه من هذا كله؟ وماذا كان عليهم لو سقوا الأطفال؟ بل الجميع، هل كانوا يخشون أن يموتوا عطشا إذا شربت هذه الجماعة الصغيرة الأسيرة بين أربعة آلاف فارس؟ كلا إنها الضمآئر، والأخلاق، والسلوك، والجرأة على الله؛ وكل إنآء بالذي فيه ينضح.

وأَوْصَى عليٌّ أن يحسنوا إلى ابن ملجم، وهو مَنْ تَعْلَم!

وفي الجليس والأنيس قصة: خلاصتها أن ابنا لهشام بن عبد الملك كان يتخفى من المنصور الدوانيقي، فعرف المنصور أنه بين الحجيج، فلما أكمل الناس الصلاة بالحرم قام الحرس على الأبواب وأغلقوها إلا بابا، كان لا يخرج أحد إلا بعد أن يعرفوا أنه غير المطلوب، وكان من ضمن الجمع رجل من ذرية زيد بن علي رأى بجانبه إنسانا قد تغير وجهه واستطار لبُّه، فلما سأله عن السبب ؟ قال : أنا المطلوب وهذا من أجلي، وسأله من هو ؟ قال: أنا فلان، فأيس

الرجل وقال في نفسه :أَبِيْ قاتلُ أبيه وهو أشد عليَّ من المنصور ،فطمأنه الزيدي وأعمل الحيلة حتى أنجاه[1] وقال :أنا إلى مساعدتك وإنقاذك أحوج[2]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. وكم هناك من حوادث تدلك أن آل محمد أهل الأخلاق والتواضع والرحمة والعدل وغيرها.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، واجعلنا مهتدين مقتدين بمن بعثته متمما لمكارم الأخلاق محمد ﷺ .

ولما مُنِعَ عثمانُ عن المآء لقي الحسنان مالقيا في إيصال المآء إليه والدفاع عنه؛ بينما أَمَرَ معاويةُ الذاهبين من الشام لنصرته أن لا يغادروا دومة الجندل حتى يلحقهم؛ مكيدةً منه لعثمان؛ لأنه لا يريد نصرته إنما يريد أن تتم الجريمة؛ لأنها وسيلته للغاية التي هدف إليها.

---

(١) يروى أنه قال له : تظاهر أنك عبدي، وأقوم بسحبك وضربك وشتمك وخرج به من أمام عساكر المنصور وقد سألوه ماذا صنع هذا؟ فقال: هذا الخبيث عبدي فعل كذا وكذا قبحه الله من عبد سوء فحاولوا تهدئته، ونصحوا العبد الذي هو مطلوب بطاعة سيده وهكذا أنقذه من الموت وأمَّنه حين انتهك أبو الدوانق حرمة البيت الذي يأمن فيه الخآئف.

(٢) أي إلى فعل المعروف وعمل الجميل الذي يعشقه دآئما آل بيت النبوة.

وإذا كان الزبير قد قَتَل بالبصرة بعضَ الثآئرين فإن معاوية لم يعاقب أحدا منهم أدنى عقوبة لما صاروا تحت حكمه، ومثلُ هذا مغتفر عند النواصب كاستلحاق معاوية لابن زياد – وإن رد بذلك حكم رسول الله[1] – وكحمله ليزيد على رقاب المهاجرين والأنصار، وأَمْرِهِ لابنه أن يولي عبيد الله بن زياد، وإن رابه شيء من أهل مدينة النبي فيبعث عليهم مُسْلِمَ بْنَ عقبةَ المُرِّي الذي فعل بهم ما تعلمون.

وكتأسيسه للعن الإمام علي على جميع المنابر كل جمعة، وأمره باستمراره، فإن كل هذا مغتفر عند النواصب– وإن نهى النبي عن إيذآء المؤمنين؛ خصوصا أصحابه، وخصوصا صنوه، وحامل لوآئه يوم القيامة، وهارونه، وولي كل مؤمن ومؤمنه، وإن نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧- ٥٨]. وإن كان معاوية مع هذا قد عاهد الحسن السبط على ترك اللعن فنكث، وإن قتل حجر بن عدي وأصحابه، وإن قتل عمارا ونحو

(١) وهو قوله: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

سبعين ألفا من جيش الحق، وغرر بنحو مآئة ألف من جيش البغي فقتلوا – كل هذا وغيره كثير مغتفر عند النواصب، وجُرْحُ معاوية عندهم جُبَار[1]، وإن كان الله تعالى قال في حديث قدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)، وإن كان الله سبحانه قال في فرقانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وإن كان النبي ﷺ قال لعلي: (لا يُحبُّك إلا مؤمن ولا يُبْغِضُك إلا مُنَافِقٌ)[2]. وإن كان علي أحد المبشرين بالجنة. وإن كان داعيا إلى الجنة، وإن كان معاوية داعية إلى النار؛ فكل هذا مغتفر عند النواصب لا يلتفت إليه ولا يقيمون له وزنًا. قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣:١٠٤]، وحبك للشيء يعمي ويصم.

---

(١) يشير إلى العجماء جرحها جبار" أي لا شيء في جناية الدابة".

(٢) الترمذي٥/٦١١رقم٣٧٣٦، مسلم ٨٦/١ رقم ٧٨وشرحه النووي ١-٢/٦٤-٦٥رقم الحديث١٣١، ابن ماجه٤٢/١رقم ١١٤، فتح الباري٦٣/١، تأريخ الإسلام عهد الخلفاء ص٦٣٤، تذكرة الحفاظ ١٠/١، المستدرك١٢٩/٣، الاعتصام ٤٢/١-٤٧، أمالي أبي طالب٤٩، أسد الغابة ٣٠/٤، والخصآئص للنسآئي ص١٠١-١٠٢، مجمع الزوآئد ١٣٣/٩ وغيرهم كثير.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وما أسآء كرم الله وجهه وحاشاه وهو المطهر من الأدناس، ولكن قضى الله على لسان نبيه أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، وإذا اتهمونا بالغلو، وادعو مع ذلك حبهم لعلي فهو مجرد مغالطة ونعوذ بالله من الغلو في حبه، والله يشهد إنهم لكاذبون.

وفي حديث شريف: (الكِبْرُ غَمْطُ النَّاسِ وبَطَرُ الحقِّ)[1]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ .[إبراهيم:٣٨].

اللهم وإنا نشكو إليك بالظالمين الذين يعظمون من صغرت، ويوالون من عاديت أمثال الأسود العنسي وعلي بن الفضل، ويصغرون من عظمت، ويعادون من واليت أمثال عبدك يحيى بن الحسين بن رسول الله، ويعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، بل بلغ الحال ببعض إلى أن قال كما قيل: قد تركت الصلاة على محمد في الصلاة من أجل آله كما تركها ابن الزبير على النبي نفسه لئلا تشمخ أنوف بني هاشم على حد تعبيره وتصوره.

(١) مسلم١/ص٩٣، ابن حبان١٢/ص٢٨٠ رقم ٥٤٦٦، المستدرك١/ص٧٨ رقم ٩٦، المستدرك٦/ص٢٠١رقم ٧٣٦٦، أبي داود ٤/ ص٥٩رقم٤٠٩٢ ، الترمذي ٤/ ص٣٩١/١٩٩٩.

وبلغ الحال بسفهآئهم الجهال أن لعن البعض فاطمة؛ لأنها أنجبت الحسنين. أقمأه الله،وأنا أعرف واحدا من هؤلآء عاش بعد ذلك سنين تعيسة أشمتت عدوه، وسآءت صديقه ،ولما أدخلت جنازته إلى الجامع للصلاة عليها تهرب الناس من الصلاة عليه فكان موقفا محرجا لأهله ويوما مشهودا، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]، وفي مثلهم أيضا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٨ - ٣٠].

والله يشهد على ما تبطن سريرتي من أنني أحب لهم أن ينيبوا إلى ربهم وأن يسلموا له، وأن نسير جميعا إلى الله في طريق واحدة هي صراطه المستقيم، وأن لا يقنطوا وأن لا أقنط أنا أيضا من رحمة الله بما أسرفنا على أنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فليراجع كل منا ضميره، وفهرس أعماله وأقواله؛ فهناتي وذنوبي التي خفيت على الناس بستر الله الحليم الرحيم أكثر وأكبر من ما انكشف وظهر، وكما أحب لنفسي التوفيق للمتاب أحب ذلك لجميع الناس لافرق بين من

يودني ويبغضني، ولنحمد الله على نعمته بقبول التوبة والتمكن منها فيما بقي من الحياة. وفي أمالي المرشد بالله لأبي بكر العلاف رحمه الله:

ما عذر من جَرَّ خاليا رسَنَه	ما عذره بعد أربعين سَنَهْ
أكلما طالت الحياة به	أطال عن أخذ حذره وسَنَهْ
ما عذر من لم يَكف منتهيًا	عن ذنبه قبل لُبسه كَفَنَهْ
يا ساكن القصر في بُلَهْنِيَةٍ	أما رأيت الثرى ومن سَكَنَهْ
عجبت من ذي أخٍ يُسَرّ به	يُسَرّ من بعده وقد دَفَنَهْ
طالت به في الحياة بهجتُه	فلم يُطِلْ بعد موته حَزَنَهْ
يا لازم الذنب لا يفارقه	والروح منه مفارقٌ بَدَنَهْ
قل لي إذا مت كيف تَنْقُصُ من	سيئةٍ أو تزيد في حَسَنَهْ
وكيف للنفس بالنجاة غدًا	وهي بما قدّمتْه مرتهَنَهْ
كم مسلمٍ يسكن الجنان غدًا	عليه فيها تُسَلِّمُ الخزنهْ
طوبى لمن لم يخن أمانته	والويل عند الحساب لِلْخَوَنَهْ
كم بين من خَصَّه برحمته	ذو العرش منا وبين من لَعَنَهْ

والأمانة في هذه الأبيات هي نفسها التي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وفي الحديث: (الصلاة أمانة ..وعدد أشيآء) فالمراد بالأمانة التكاليف الربانية فعلا وتركا.

ومما أعجبني كثيرا قول أبي حازم رحمه الله أحد التابعين: "ما أحببتَ أن يكون معك غدا فقدمه اليوم" وقوله: "كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه لئلا يضرك متى مت". فليمعن كلنا النظر في هذا فعسى ولعل. ألا وما أغنى الناس عن الكتابة في ما كان من الفتن والمحن في الصدر الأول، وما أشد حاجة المسلمين إلى إغفالها وتناسيها، لكن ماذا تقول لمن يَحُشون نارها، ويثيرون المسلمين بإثارتها، ويرموهم بالشرك وبكل داهية[1]، ولو تُرك القطا ليلا لناما، ولله القآئل:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له　　　بوادر تحمي صفوه أن يكدَّرا

أيها الملحون علي بطلب هذا التعليق لبيان الحق فيما يتهموننا به من الابتداع والخروج عن جماعة الحق في عقآئدنا وعباداتنا هذا ملخص لمجموع ما ورد إلي من أسئلة خلال تسع سنوات تقريبا إلى التأريخ، فأقول: يجب أن تفهم أن البدعة المحرمة هي ما خالف حكم الله باتفاق، ولو عمل بها وقبلها الأغلبية

(١) كقولهم فينا: نحن الخوارج، وإمامنا زيدٌ خارجي، وجده الحسين خارجي، وزيد أمير المؤمنين ونحن روافض. ومن أشد السب أو أشده إذا سب بعضهم بعضا أن يقول له: يا زيدي.

الساحقة من المسلمين؛ فإنها ضلالة، ولأهلها النار كما أفادته كلمة علي عليه السلام المذكورة آخر التعليق الذي قبل هذا. فأما ما لا يخالف حكم الله، أو كان محل خلاف واجتهاد: فإن كان عملا رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وذلك فيما لا نص فيه من المشرع صلوات الله عليه وسلامه، وإن كان عملا يراه المسلمون قبيحا فهو كذلك عند الله إذا لم يكن فيه نص من الشارع صلى الله عليه وآله وسلم . مثلا ذكر المقريزي رحمه الله أن الحشيشة لم تعرف إلا أوآئل القرن السابع في مصر، فلم يُحكم بتحريمها إلا بعد وقت، وبعد يقظة الناس إلى تأثيرها في متعاطيها، فلما كثر مستقبحوها حرمت بالقياس عند القآئلين به، أو بدخولها في العمومات والمطلقات عند المانعين منه.

وقد وجدتُ أنا في مصر من الدكاترة الأطبآء المتدينين في أوآئل الثمانينات من قرننا هذا الرابع عشر الهجري القمري من ينكر تحريمها ويستنكر ذلك، ومثل هذا يعتبر شاذا بالنظر إلى اقتناع الجمهور بتحريمها، وأعني جمهور العلمآء من جميع المذاهب، فأما ما لم يرد فيه نصٌّ كأن تجد حديثا شريفا يقول: مَنْ قال كذا عشرا، أو سبح ثلاثا وثلاثين وحَمَّدَ مثلها، وكَبَّرَ مثلها، أو من صلى ركعتين في كذا، ومن ذكر الله بكذا فعملتَ ذلك ووجدتَ رغبة فزدت على ذلك واستحسنتَ مداومة ذلك طلبا للمزيد من الثواب، أو لمجرد الرغبة في الطاعة، أو عظَّمتَ يوما من أيام الله كما يعظم اليمنيون أول جمعة من رجب؛ لأنه يوم إسلامهم، أو يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعظاما لنعمة الله علينا بإرساله

أو إيقاظا للناس إلى ذلك؛ ولما يصحب ذلك من قرآءة لسيرته، وانتفاع بالتذكير واتعاظ، ولما يتبع هذا من بر بالأقارب وصلة للأرحام وتأثير في سلوك ما، فمثل هذا لا يخالف بل يشاكل ويوالف ما أمر الله به وهو من جنسه.

ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع أحد المؤتمين به في الصلاة قال: ربنا لك الحمد حمدا كثيرا... إلخ[1] لم ينكر عليه بل بشره بأن أحد عشر ملكا استبقوه لرفعها، ولم يقل له: لماذا لم تَقْتَدِ بي؟ أو لماذا قلت ما لم أشرعه لك؟ ولهذا نظآئر أقر النبي أهلها، بل أثنى عليها؛ ودلت أن لكل طاعة أجرا: أخبر به النبي أم لا، هدانا إليه النبي أم لا، كحديث ركعتي بلال كلما أحدث وضوًا[2]. وكقوله بالمعنى أو اللفظ أو أكثره: "لم يأت أحد بأفضل من ذلك إلا من زاد" فجعل المجال للزيادة مفتوحا والأجر بحسبه[3].

---

(١) مسلم ٤١٩/١/٦٠٠، ابن خزيمة ٢٣٧/١/٤٦٦، وفيها أنه أثنا عشر ملكا أو بضع وثلاثون ملكا ، ابن حبان١٢٥/٣/٨٤٥، المستدرك١/ ٣٨٤.

(٢) مسلم٢٦٩٢/٤، النسائي ١٦٤/٦ رقم ١٤٣٠، الترمذي٥١٣/٥/٣٤٦٩، أحمد ٣٨٢١/٢.

(٣) فإن قال قآئل: قوله (إلا من زاد) تشريع . فهو مكابر أو بليد، ولما ألزم ابن عمر نفسه أن يصوم الدهر لم ينهره لأنه ابتدع ما لم يؤمر به، بل نصحه أن يصوم صوم داوود، ومن كثير نحو هذا يستفاد عدم الحجر والتحجر.

وكان ابن مسعود يصلي على النبي بصيغة أَلِفَهَا هو مع أنه ممن سمع الصيغة التي علمهم إياها النبي. وكان النبي يلبي وآخرون يزيدون وينقصون دون رجوع إليه فلم ينكر. وكم من أمثال لهذا مما يدلك على أن البدعة الضالة هي ما ليس عليه أمر الله. ومن فعل من هذا شيئا فهو رد عليه لأنه من الضلال.

أما تفسير الجامدين للبدعة وتزمتهم فهو وَهَمٌ وسوء فهم لمقاصد الشرع واللغة. وكلامُ أوَّلِيهم ومتأخر يهم مضطرب، والتراجُعُ ممن حسن فهمهم مشوب بالتعصب والأنفة عن الاعتراف، كاختراع الكسب[1]، وكقولهم: وجَهٌ لا كالأوجه؛ إذ لامناص من التشبيه بقولهم (لا كالأوجه)، ولا من خوضهم في ذات الله سبحانه المنهي عنه ، ولا مجال عن التسليم بالمجاز ولا نجاة بغيره ،ولامناص من الجبر بزعم الكسب إذا لم يكن هو العمل بالاختيار. والأنفةُ الداخلة في حديث: (الكبر غَمْطُ الناس وبَطَرُ الحق) [2] والاعتراف فضيلة عند

(١) الذي قال به الأشاعرة حين وجدوا قول شيخهم أبي الحسن الأشعري بأن العبد في فعله كالورقة في مهب الريح، والقلم في يد الكاتب، كلام لا يقبله العقل ولا النقل، فقالوا: عن عمل العبد خَلْقٌ لله كسْبٌ للعبد. لما ظهر لهم بشناعة نسبة القبآئح إلى الله قالوا: بالكسب؛ ولكن ما زال الإشكال باقيا؛ لأن الكسب إن كان من فعل العبد فلم يخرجوا عن الاعتزال، وإن كان من فعل الله فلم يخرجوا عن الجبر، وقولهم بالكسب بمثابة فعل بين فاعلين وهو مستحيل.

(٢) سبق تخريجه.

الله وعند خلقه. وكلامي في هذا اقتضته السؤآلات الموجهة إليَّ وإن لم تشر إليه المنظومة[١].

وأختم هذه القطعة من التعليق بقولي للقآئلين: ماذا نعمل في مواقف يختلف أهلها؟ فأقول: انْهَوْهُمْ عن الخوض فيما يختلفون فيه، وإلا فقوموا عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، ولا تماروا، ولا تردوا على من ترونه مخطئا مصرًّا، واسكتوا ما لم يكن مسترشدا فقولوا الحق بالتي هي أحسن، وأقول للسآئل: هل يجب لعن الفاسق؟ إن كان قد مات فقد قَدِمَ على ما قدّم؛ ولا وجوبَ مطلقا للعن فاسق أو كافر ،وإن كان حيا فاجعل النصح مكان اللعن، والدعآء له بالهداية. وإن كان المراد هو الجواب: فبالنسبة للميت لابد أن تتحقق من أنه مات مصرا غير تآئب، والآيات الواردة في مثل لعن الله والملآئكة والناس، ومثل حديث ستة أو سبعة لعنتهم، وكلٌّ نبي قبلي... الخ[٢] تدل على الجواز.

---

(١) كما يقتضيه الرباط الوثيق بينه وبين ما في المنظومة.

(٢) ابن حبان ١٣/٦٠رقم ٥٧٤٩ ، المستدرك١/٩١ رقم ١٠٢،المستدرك٢/٥٧١ رقم ٣٩٤٠، والمستدرك٤/١٠١ رقم٧٠١١،الترمذي ٤/٤٥٧ رقم ٢١٥٤، المعجم الكبير للطبراني ٣/١٢٦ رقم٢٨٨٣، المعجم الكبير١٧/ص٤٣ رقم ٨٩ بلفظ:"سبعة لعنتهم" وزآئد: " والمستأثر بالغي". بلفظ " ستة لعنتهم ولعنهم كل نبي مجاب: الزآئد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والسلط بالجبروت ليذل بذلك من اعز الله ، وليعز به من أذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم، والتارك لسنتي". وفي المعجم الكبير ١٧/٤٣ برقم ٨٩ بلفظ : (سبعة لعنتهم) وزائد : (والمستأثر بالفيئ) .

وأقول للسآئلين عن قولي ومعتقدي فيمن عادى عليا وقاتلوه وماتوا على هذا، فأقول: قولي فيهم ومعتقدي هو قول علي عليه السلام فيهم ومعتقده، فإن لم تكونوا قد وقفتم عليه فتتبعوه في مظانّه ،وعليٌّ قرين القرآن كما سبق، ويأتي بعض من ذلك ويسعني ما يسعه، وعلي كرم الله وجهه أتقى لله من المتحرجين بجهالة وتعصب كتحرّج الخوارج، وفهمِهم السقيم، وأمُرهم معلوم، على أنَّ تَحَرُّجَهُمْ مُنَافٍ لما أوجب الله من موالاة أوليآئه، ومعاداة أعدآئه. وعليٌّ أهدى سبيلا.

ومن بحث فيما سبق ويأتي مخلصا لله عرف الحق. وعجبي كثيرٌ من السآئلين؛ أليس في وسعهم أن يقرؤا كتابا من كتب أهل البيت عليهم السلام في أصول الدين، فهل بلغ ضعف الهمم بنا إلى حد أن نكتفي بما يجيب المسؤول. زد على هذا أن الاعتماد عليه وحده لا يكفي لما فيه من شآئبة التقليد في العقيدة. وفي الحديث: (مَنْ أخذ دينه عن التفكر في آلآء الله، والتدبر لكتاب الله، والتفهم لسنتي – زالت الرواسي و لم يَزُل. ومَنْ أخذ دينه من أفواه الرجال، وقلدهم فيه – ذهب به الرجال من يمين إلى شمال؛ وكان من دين الله على أعظم زوال)، وأنا[1] فيما أحرر إنما أنصب لكم الأعلام الدالة على الطريق؛ فأكتفي لذلكم

(١) قد سألتُ المؤلف حفظه الله وأفادنا بعلمه عن تحريم التقليد، ثم قولنا بوجوب متابعة عقيدة آل البيت في العدل والتوحيد وافترضنا شخصا يبحث مخلصا عن الحق ، فخالف أهل البيت في الرأي، وكان=

بمجرد الإشارة إلى الدليل: من الكتاب، والسنة، والعقل، وعليكم أن تأخذوه من مكانه كاملا، وتمعنوا النظر سآئلين الله سؤآل المضطر للهداية، وفي وسعكم أن تقرؤا من المختصرات مثل عقآئد آل محمد للديلمي، و لم أطلع عليه وإنما قيل: إنه مختصر مفيد، أو البدر الساري لعز الدين بن الحسن، أو ينابيع النصيحة، أو الثلاثين المسألة لابن حابس[1]، فهناك التحقيق، وهنا مجرد دلالة على الطريق، وبحسب ما عندي فقط ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

واعلموا جميعا أن ما صح عن رسول الله ﷺ هو لاحِقٌ في حجيته بحجة كتاب الله سبحانه؛ لأن النبي لا ينطق عن الهوى، وهو لاحِقٌ بالثِّقَلِ الأكبر الذي وصانا به رسول الله قَبْلَ الثقل الأصغر الذي هو آل محمد. وكم تمنيتُ – ولو

=الجواب أن هذا لن و لم يحدث طالما وجد الإخلاص والانقياد للحق؛ لقوله تعالى:﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ وقوله تعالى:﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ ، وقوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وبهذه الآيات وغيرها يتبين أن الإخلاص الخالص موجب للوصول إلى الحق، فإذا خالف فقد أُتِي من جهة نفسه وتبين أن في إخلاصه شيئا؛ لأن الحق أبلج واضح.

(١) عقآئد آل محمد للديلمي، والبدر الساري لعز الدين بن الحسن، والثلاثين المسألة لابن حابس.

أن التمني مذموم – لو يمحو الله من بطون الدفاتر كلَّ ما كُذِبَ به على رسول الله، وكلَّ تأويل مخالفٍ لمراد الله ورسوله كما فعل سبحانه بصحيفة قطيعة قريش لبني هاشم، وما أبقى فيها إلا الحق خالصا، إذن لخفت البلوى، وتضآءلت الكتب الدينية إلى أقل من معشارها؛ فالعلم نقطة كثّرها الجاهلون، وشغلوا طالبي الحق بباطلهم ،وضيعوا عليهم أعمارهم، ولات حين مناص من ذلكم؛ فما أشد حسابهم، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]، ورحم الله القآئل:-

فلا تكتب بكفك غيرَ شيء يسرك في القيامة أن تراه[1]

---

(١) قبله: وما من كاتب إلا سيفنى ويبقي الدهرُ ما كتبت يداهُ.

العدل والتوحيد أو الجبر والتشبيه وا لمجاز إلى المفاز

في الخلق كُن مُتَفكِّرًا تُبْصِرْ ومَنْ ... في الله فَكَّر صار في العميان

قَدِّسْهُ عن جَبْرٍ وعن جِسْمٍ وعن ... فعل القبيح وسآئر النقصان

دَعْ عنك رَأْيَ فُلَّى وزَعْمَ فُلَى[1] ... فالحقُّ مفتقرٌ إلى الإمعان

لا تنخدعْ بالاشتهار وشبهةٍ ... صِيْغَتْ بزَخْرَفَةٍ وسِحْرِ بيان

لا تسلُبَنَّ الذِّكْرَ أجملَ حُلَّةٍ ... مما به فَضُلَ الجهولَ الفاني

صِفْهُ بما وصف الكتابُ وما عنى ... وصحيحُ أخبارٍ من الحُدْثان

وانْعَتْهُ نَعْتَهُمَا المطابقَ للحقيـ ... ـقة في مقامٍ أو مجازِ معاني

واحذر تبالُدَ أو تعَصُّبَ ضالعٍ ... وتَنَكُّرًا لنُهَاك والتبيان

صِفْهُ بما وصفاه منه حقيقةً ... وكنايةً وكذا مجاز مباني

أَلْحقُّ فيما قلتُه لك واحدٌ ... من زاغ عنه باءَ بالخسران

لا يفتِنَنَّك بالخَطابة قآئلٌ ... ذَا يقتضي التَّلبيسَ في القرآن

ذا القولُ تشويهٌ خَطَابيٌّ لتنـ ... ـفِرَ عن جَلِيِّ الحقِ في الميزان

فَهْمِي سَيَقْدُرُ قَدْرَهُ فهَّامةٌ ... علامةٌ متوفِّرُ الإمعان

(١) أصله: فلان فحذفت النون للعلم بها ولاستقامة الوزن.

متـوَفِّرُ الإخـلاص في طلـب الهـدى ... لا يـــــنحني للكـــــبر والشـــــنآن

أمثــالُ نعمــانِ بــنِ قآئــدٍ بــن را ... جـــحٍ[1] الـــذي لم يختلــف اثنــان

في فضــله والنبــل والتحقيــق مــن ... حلـــيٍ ابـــن يعقـــوبٍ إلى بَعْـــدَانِ

لا تصــــرفنك عِـــزَّةٌ بـــالإثم عـــن ... حـــــق أتـــــاك بنيِّـــــر البرهـــــان

في الحـــق عِـــزُّك والتعصـــبُ ذِلَّـــةٌ ... في الـــدين والـــدنيا وثـــوبُ هـــوان

مــاذا ســيغني عنــك مــن قلــدتَ أو ... أيَّـــــدتَ أو عظَّمْـــــتَ بـــــالبطلان

مـــــا خُلَّـــــةٌ إلا تعـــــود عـــــداوةً ... إن لم تكـــن بـــالحق يـــوم رهـــان

والبغضُ مثلُ الحب كم أعمى وكم ... بـــاع النجـــاةَ بـــأبخس الأثمـــان

يا ويلَ مَنْ صدفوا ومَنْ صدوا عن ... ـــمُثْلى وسَـــلُّوا صـــارمَ العـــدوان

الجهـــلُ لـــيس بعـــاذر أحـــدًا غـــدًا ... في مثـــل ذا يـــا معشـــر الخُـــلاَّن

في مثلـــهم قـــال الـــنبي لأقتلـــنَّـ ... ـــهُمُو كقَتْـــلِ ثمـــودَ يـــا ثَقَـــلان[2]

لم يُغْـــنِهِمْ طَلَـــبٌ لِحَـــقٍّ أخطـــأو ... ه فهـــل أمِنْـــتَ مكآئـــدَ الشـــيطان

---

(١) كان زميل المؤلف في مجلس الشعب، كان فقيهًا علامة عرفه في ذمار؛ إذ كان رهينة لأبيه من بيت الوجيه من بعدان.

(٢) مناسبة نداء الثقلين هنا وهما الإنس والجن، أن الحكم هذا مما تعم به البلوى علما وليس مجرد تقفيل، وفي الآتي يعمهم المقول.

ما سبق أن حررته في النظرات السابقة عن الجبر والتجسيم يكفي. والحُدْثان بضم الحاء جمع حديث. وقد ذكر الله نفسه وخلقه في القرآن بالحقائق والمجازات، ومن ذلك ما مثلتُ به في نظرة سابقة، ومن ذلك: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ فالمراد باليد هنا النعمة، ومرادُ اليهودِ غيرِ المجسمة منهم أيضا بـ "يد الله مغلولة" نعمة الله مقبوضة، وهذا مجاز عن بسط النعمة وقبضها، وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ [الإسراء: ٢٩]؛ فإنه مجاز في حق الخلق، وفي مثل قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤] المراد الحقيقة، وفي مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢]، المراد عمى البصيرة، فهو مجاز. والأُولَى ركبوا رؤوسهم عنادا وأنفة عن الرجوع إلى الصواب من الخطأ كي لا يعترفوا به فيرى الناسُ لغيرهم فضلا عليهم؛ فهم لذلك يتمحَّلون ويتعسفون تعسفا واضحا، وهذا أحد أسباب الاختلاف المنافي لوجود الإخلاص النقي، فلو شمل الناسَ الإخلاصُ نقيا ما اختلفوا فيما لا يغتفر فيه الخطأ، ولكنه مشوب بما كدره من حيث يشعر بعض ومن حيث لا يشعر آخرون. وإن لسوء الظن ببعضٍ من جهة، ولحسن الظن ببعض من جهة، ولسرعة التصديق من جهة، ولاعتمادِ حديثٍ غير صحيح من جهة، ولرد صحيح من جهةٍ أثرا كبيرا في الاختلاف، بالإضافة إلى أن الأكثر في كل عصر بين محب للفساد، أو مغرم

بالعناد، أو قاصر النظر كما جآء في حديث شريف: (إنك لعريضُ الوساد[1]، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وعليها يحيون وعليها يموتون.

والشيطان إنما يأتي كُلّاً منا من الجهة التي عَرَفَ أنه يُزِلُّه منها، فالجريء على الله يزين له شهواته، والمتدين قد يأتيه من جهة حثه على التمسك بما قد قِبَله من زيغ باسم الدين كما فعل مع الخوارج، أو باسم الغيرة على الدين أن تنتهك حرماته، وتُضَيَّعَ سننه، أو باسم أن هؤلآء ابتدعوا من الدين ما ليس منه، ويصور لهم ما لا يخالف الدين بأنه مخالف وضلال يجب القضآء عليه وعلى أهله، وأن هذا العمل لله وفي الله ومن الجهاد في سبيل الله، فيظل المغرورون في إسار كيده دون أن يفهموا أنهم قد وقعوا في أسره.

قال أحد التابعين: "إن الشيطان يأتيني في الصلاة فيشككني في الوضوء لعلك نسيت غسل كذا، فأقول: أَبَلَغَ بك النصح لي إلى هذا؟ ، وإن الشيطان ليأتيني وأنا متردد بين عملين فيرجح لي أقلهما أجرا ليربح مني شعيرة"[2].

وفي زماننا هذا عبَّأ كثيرا من المتدينين بالحث على نصرة دين الله، ومحاربة البدع، وأدخل تحت اسم البدع الضالة ما ليس منها، وفسرها بما تعمق في

(١) الدارمي٢/٥ باب متى يمسك المتسحر من الطعام والشراب، آخرون بلفظ "إنك لعريض القفا" البخاري ٦/رقم ٤٢٤٠، ابن خزيمة ٣/رقم١٩٢٦.

(٢) في الكشاف في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ ﴾.

أذهانهم؛ كما تعمق في أذهان الخوارج كُفْرُ علي بن أبي طالب، حتى قال عمران بن حطَّان:

يا ضربةً من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

وهؤلآء استحكم الوسواس فيهم حتى عدوا كل من خالفهم في عمليٍّ ظني مبتدعا ضالا، وإن كان له دليل، فالحق عندهم ليس إلا ما هم عليه، وفرضوا على الناس أتباعهم أي تقليدهم باسم أنهم العاملون بالكتاب والسنة، وأن غيرهم مقلدون للرجال وكعابدين للأوثان، ويلوثون هنا فهمهم للآيات والأحاديث، ولا يستطيعون أن يفهموا أن كل مسلم يعمل بالكتاب والسنة؛ ويرى مخالفتها عمدا كفرا.

ونحن إنصافا لكل مسلم نقول لكل مسلم:لا يجوز لك أن تقلدنا فيما تستطيع معرفته من الأحكام، وعليك أن تعمل بما يترجح لك وإلا أثمت، وإن لم تكن أهلا فقلّد مَنْ يترجح لك من العلمآء منَّا أو من أي مذهب:

فكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

ولقد امتحن الله الإسلام بأقلامِ علمآء أعلام نالوا درجة علية، وحظوا بشهرة كبيرة وبثقة غالية، وسخروا مواهبهم وبيانهم الخلاب في مسآئل لم يكونوا فيها مصيبين، وهم يحسبون مع ذلك أنهم يحسنون صنعا، فلا تقل: فإذا كانوا بهذه المثابة من العلم والبيان والشهرة والثقة فكيف نصدقك ؟ لأني أقول: هناك أمثالٌ أجَلُّ منهم قَدْرًا في كل هذا، خَالَفُوهُمْ وبينوا خطأهم، وقد

أوصيتك سابقا بالإخلاص، وأكدتُ بعد بأن الحق يفتقر إلى الإمعان، وأنه لا يغنينا من الله شيئا تقليدُنا وتعظيمُنا وثقتُنا بمن أحببنا بالباطل، وأشرتُ إلى مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٨] وأن المراد بالحرث الدِّينُ، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]، فهلاك دين الله أن يُعْمَلَ بخلاف كتاب الله، وهلاك عباد الله أن يعمل فيهم بالجور فلا ينكرون ذلك فيهلكون، كما في حديث شريف، وقد أشكل عليَّ فيه إثباتُ نون الخمسة في ينكرون ويهلكون، والظاهر أنهما منصوبان، فإذا كان الحديث هكذا ولا غلط من الناسخ فعلى تقدير: (هم لا ينكرون). كما أشرت لك إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

ومِنْ أحسنِ ما وقفتُ عليه أن شابا تقيا متدينا وَلِعَ بجارية لنخاس، فكان كثيرا ما يُعَرِّجُ عليه ليراها، وكانت هي أيضا قد أحبته أكثر، وما كلم أحدهما الآخر بما في نفسه، فجآء مرة فلم يجد إلا الجارية، فقالت له: إني أحبك، فقال

:وأنا، فقالت:وأشتهي أن تُقَبِّلَني، فقال: وأنا والله، قالت: فما يمنعك والمكان خال، قال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿الأخلآء﴾...الخ، فأنا أكره أن آتي يوم القيامة وأنتِ في كفة سيئاتي وأن أكون في كفة سيئاتك يوم القيامة، ودمعت عيناه وانصرف.

أما أمْرُ الخوارج، وعبادتِهم، وحُسْنَ مَقْصَدِهِم؛ وهلاكِهم مع هذا بخطئهم فأَمْرٌ معلوم. وأضيف أن الحكم ثابت لمن احتذى بحذوهم في أخطآء مثل خطئهم، وقد استزلتهم الشبهات. وما سميت الشبهة شبهة إلا لأنها تشبه الحق، وقد صدَّقوا أولا الخدعة بالنصب للمصاحف لضعف فهمهم، ولم تنجع مراجعتهم بقول المحقين: إنما جئنا وقاتلنا على بصيرة بحكم الله، فقال فيهم النبي ﷺ: (لئن أدركتُهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود) [(١)]، وإنما نهى الإمام عن قتالهم بعده بقوله: "لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه" فإنما نهى ليبين لنا أنه يجب تقديم الأهم، وأن الأولى بالقتال أهل الباطل نيةً وقصدا وعملا مع ذلك إذا استطاعوا،وهم الذين اتخذوا عباد الله خَوَلاً، وماله دُوَلاً، وجعلوا الإسلام سُلَّما لإشباع نزواتهم من الحياة

---

(١) البخاري ٣/١٢١٩/٣١٦٦، وأيضا/١٥٨٠/٤٠٩٤،مسلم ٢/رقم ١٠٦٤، ابن حبان ١/ برقم ٢٥، النسائي ٥/٨٧ برقم ٢٥٧٨ ، ٧/١١٨. وأحمد بن حنبل ٤/١٤٦ برقم ١١٦٩٥، ومسند أبي يعلى ٢/١١٦٣.

الدنيا، ولعله كان لدى الإمام عِلْمٌ من النبي ﷺ أن القاسطين سيقاتلون المارقين ويكفون المؤمنين المؤنة؛ فأراد أن لا يعينوا الأضلين على الضالين. وكأني ببعض من يطلع على هذا يتميَّز من الغيظ ويسب ويلعن، وأمْثَلُهُمْ طريقة يسكت على مضض، ولو كانا يخافان الله حق خيفته لأَمْعَنَا بَحْثًا عن الحق، فإن وجداه هنا وإلا هَدَيَانِي. وكم شَكَى المقبلي رحمه الله من مثل هذا كما حدث له في حرم الله المحرم كما ذكره في كتابه. والثقلان ليست تقفيلا فحسب بل لأن الحكم يعمهما بالبلوى:

النـــار تنتظـــر اللـــدود ومالـــكٌ	في الانتظـــار وســـآئر الخُـــزَّان
ونعـــيم جنـــات الخلـــود مهيَّـــيءٌ	لـــك في قصـــور الحـــور والغلمـــان
والشـــاكرون مـــن العبـــاد أَقَلُّهُـــم	إيـــاك تجهـــل قلـــةَ الشـــكران
أو أن تغـــرك كثـــرةٌ مفتونـــةٌ	أَكْثِـــر بمفتـــون وكـــم فتَّـــانِ
يـــوم التـــبري يـــوم يلعـــنُ بعضُـــهم	بعضًـــا وتعظـــم حســـرة النـــدمان
رضـــوان ينتظـــر الجميـــع بجنـــة	مـــع قاصـــرات الطـــرف والولـــدان
هـــذي النصـــيحةُ تحفـــةٌ يمنيـــةٌ	قدســـيَّةُ الإيمـــان وهـــو يمـــاني

الآيات والأحاديث والآثار في قلة الشاكرين وكثرة الغافلين لا تحصى ، والقِلَّة هنا بكسر القاف. وأكْثِر: مثل أسمع بهم وأبصر: إحدى صيغتي التعجب المشهورة، و"كَمْ" في البيت: خبرية للتكثير،وفي قدسية الإيمان، ويمان مقابلة بديعية جآءت صدفة لا قصدا.

وإتماما لما في المنظومة من تذكير أختمها بما يلي:

إن الصـراطَ عقيـبَ هَـوْلٍ عُمْـرُه ... خمسون ما الخمسون يا ثقلان

لـولا بـأن المـوتَ مـات لـما احتملْـ ... ـتَ دقيقـةً منـها لـدى الميـزان

أو قبْلَـه يـا هـولَ مـاذا قَبْلَـهُ ... سيكون من جزع الأثيم الجاني

أو بَعْـدَه أَعْظِـمْ بـأمرٍ بعـده ... خُلْـدُ النعـيم أو الحمـيم الآني[1]

فانظر لنفسك ما يحوطك من ردًى ... تلـك المواقـفِ واجتهـد في الآن

أنظـر لنفسـك وَاسْعَ في تخليصـها ... مـن كـل شـرٍ قبـل فَـوْتِ أواني

تُبْ واجتنب ما عشتَ كُلَّ مُحَرَّمٍ ... تُـبْ واجتهـد في طاعـة الـرحمن

وانْعَـمْ بمـا فيـه الهـداةُ مـن النعيـ ... ـمِ الآنَ مـا لنعـيمهم مـن ثـاني

قَسَـمًا بربـك لـو تـذوقُ سـعادةً ... فيهـا يعـيش العابـد الربـاني

قسـما بربـك إن لـذةَ طاعـةٍ ... لَتَفُـوقُ لـذاتِ الحُطـامِ الفـاني

مـا المـالُ مـا الأبنـاءُ مـا جَـاهٌ ومـا ... مُلْـكٌ وكـأسٌ واحتضـانُ غـواني

ما أجدرنا لو تدبرنا آيات الله حق تدبرها لاسيما فيما يتعلق بالقيامة، والبعث والحساب، وهول الانتظار، والصراط، والموازين، كآيات سور إبراهيم،

---

(١) شديد الحرارة والغليان.

ومريم، وطه، و ق، والزمر، وغيرها، فما أجدرنا أن نصعق كما صعق هَمَّام[1]، أو أن نعيش كالحسن البصري وزين العابدين وبشر الحافي ورابعة وإبراهيم بن أدهم.

والخمسون هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. ما أهول الوعيد بقول العزيز الحميد: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:٣١]، ويا ليت شعري هل ضم عصري وجيلي أقسى مني قلبا وأشد غفلة ولهوا؟! وكلما راجعت عمري وعملي أسبح الله على حلمه ورحمته، فسبحان الله الحليم الأحلم، وتبارك الله الكريم الأكرم الرحيم الرحمن الأرحم. ومن عظيم رحمته سَتْرُ عباده، ومناداته لنا بقوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾... الخ الآيات.[الزمر : ٥٣:٥٥].

---

(١) صاحب أمير المؤمنين، سأله أن يصف له المتقين، فوصفهم وصفا بديعا صُعق همام على إثره.

وأنصح مخلصا أن نليِّن قلوبنا وننوِّرها بملازمة تلاوة القرآن، وتدبر آياته كل يوم وليلة، وبمطالعة الأحاديث النبوية، ومثل نهج البلاغة، وكتاب الزهد في عيون الأخبار، وأدب الدنيا والدين[1] ونحوها؛ وسنعرف السعادة التي عجلها الله للصالحين في الدنيا التي لا يَعْدِلُهَا كل نعيم فاز به أهل الدنيا.

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد وحدك لا شريك لك، الحنان المنان بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، أن تصليَ على محمد وآله، وأن ترزقني ومن أحب توبة نصوحا، وأن تختم لنا برضوانك، آمين.

---

(١) للماوردي.

دعآء الختام

أُقَدِّمُ بين يَدَي دعاءِ الختام التعليقَ على بعضها بالآتي عكس ما سبق ليكون الدعاء الشامل خاتمة مرضية؛ كما راعى هذا علماء البديع، وتستحسنه السنة النبوية نهاية للجلسة. وعطفُ السنة هنا من باب: هندٌ قَمَرٌ بَدْرٌ شَمْسٌ. والواقع أن التأسي بالسنة لم يخطر ببالي إلا بعد أن كتبتُ: علماء البديع، وخشيةً مما أترقب من النقد المرِّ الذي ربما يُوَجَّهُ إلى الرسالة من حيث هي، وتتبع هناتها اضطررتُ للدفع بذكر الترقي، ولا أتردد في الاعتراف أنها تحمل أغلاطا كثيرة لم أفطُنْ لها، فهذا يحدث في مؤلفات العلماء الأكابر، فما بالك بمن لا يستحق صفة العلماء الأصاغر، والذي يشجعني هو علم علام الغيوب بالسرآئر.

نعم أدام الله علينا جميعا نعمه وحرسها عن الزوال.

الأكوان: جمع كون والمراد الكآئنات، وأجزآؤه المفردات التي تركب منها المركبات، وأصغر جزء هو الذي لا يقبل القسمة، ولا التحيز كما ذكروا. إذا فهمت هذا كحد له – والحد عند الأصوليين ما يميز الشيء عن غيره – فلا مشاحة بعد ذلك في المصطلحات سوآء سميتُه: هَيولى، أو صورة، أو نقطة، أو جوهرا، أو جسما، أو إلكترونا، أو بروتونا، أو وحدة، أو أيونا، أو غيره، فالمراد به ما لا يقبل التجزئة، وليس له حيز كما زعموا، وقد سبق في هذا التعليق الكلام على أن أجزآء الكآئنات محدثة حتما كتركيبها المسلَّم بحدوثه واستحالة التفريق بدعوى قدم الأجزآء وحدوث التركيب.

والوُحداني: في البيت هو الواحد، أول مراتب العدد، أي كان الله ولا شَيْءَ ، بفتحة البنآء على همزة شيء أي لامها، وأرادوا بذلك النفي لكل فرد مما دل عليه العموم هنا على سبيل التنصيص لا على سبيل الوحدة، أي كان الله وثبت وجوده الأزلي وما هناك حتى جُزَيْءٌ واحد شاركه في الأزل.

والبيت الذي يليه نفى وجود الطبع الذي يغالط به سفهآء الجاهلين عن علم بكذب الدعوى، وأعقب النفي دليله وهو أن مرتبته في الوجود متأخرة حتما عن وجود المطبوع، فيقال للذين يسندون الخلق إلى الطبيعة: أين كانت الطبيعة قبل وجود المطبوعات عليها ؟ وسيكون جوابهم: لا وجود لها ولا مكان قبل ذلك، وإنما توجد بعد وجود المطبوعات عليها، فنقول لهم: فكيف تسندون الخلق إليها وهي لم توجد إلا بعد وجود المطبوعات؟ !

وإذا قلنا لهم: هل للطبيعة إرادة وقدرة واختيار وعلم؟ قالوا : لا، فنقول: فكيف جاز عندكم إسناد المقدورات إلى غير قادر بتاتا! والمحكماتِ المنظماتِ غايةَ الإحكام والتنظيم إلى ما لا يَفْهَمُ ولا يريد ولا يعلم! فإن قالوا : بل تعلم وتريد وتقدر وتختار، قلنا لهم: هذا هو الله سبحانه وتعالى، ولا يصح الإسناد إلى سواه.

وأرجو أن يضع القارئ الكريم هذه السطور جانبا ويتناول المصحف الكريم ويتلو من سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور:

٣٠] أو من قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] إلى آخر السورة، ومن قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠] إلى آخرها. ثم يقوم إجلالا لكتاب الله بكل احترام يليق به فيضعه بكل إجلال ثم يأخذ هذه السطور فينظر فيها من خلال ما أشرق في قلبه من ضيآء الآيات الشريفة.

ومما لاح لي عند تلاوة قول الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩]، لاح لي أن الاستعارة التبعية في انظروا، كما أرى أنه خاص بنظر العين لغة، وكذلك أو لم يروا حيث عبر عن التأمل والتفكر والتدبر العقلي بالنظر والرؤية، وهما حسيان؛ تنزيلا للمعقول بمنزلة المحسوس في الإفادة، كما أن عَطْفَ النشأةِ الآخرةِ على بَدَأَ وهي مستقبلةٌ، وذلك ماضٍ قد وقع، وكذلك عَطْفُ الإعادةِ على البداية في الآية التالية، وأيضا تأكيدُ المعنى والطلبِ في آيتين متتابعتين في أسلوبهما المختلف، وجعلُه للإعادة في منزلة المرئي المنظور بالأعين وهو الابتدآء؛ كل هذا التأكيد لتحقق وقوع الإعادة، والتأكيدِ بأنها فيما تفهمه العقول السليمة آكدُ في المشاهد من البداية، فمن قدر على

الأشق وهو البداية قادر على الإعادة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]. وبهذا أيقظنا إلى أن العقول تدرك الحقآئق جلية كما تدرك عن طريق البصر. والمراد في الآيتين بالنظر والرؤية القلبيتان كما لا يخفى.

إذا عرفت هذا، فما هو دليل النهاة عن قرآءة علم الكلام، وآياتُ الله تأمر به فيما لا أحصي من آياته؟

واعلم أن القرآن اعتمد في المحاجة على منطق العقل؛ أكرم ما خلق الله، وأعظم ما ميَّزنا به عن سآئر الحيوانات. و لم يعتمد القرآن في محاجتنا أو إفادتنا على مجرد كونه من عند الله، فلم يكتف فيه مثلا بأن يقول لنا: أنا الخالق، بل أبان الدليل الذي يقنع به العقل، فقال مثلا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، و لم يقل مثلا سأبعثكم، بل جعل هذا بمثابة الدعوى؛ وأردفها بمثل: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٩] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧]، وغيرهما؛ ولولاها ما أقام الله علينا الحجة كما دلك على وحدانيته بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبيآء: ٢٢]، فإنها برهانٌ على وحدانيته وعلى صمدانيته بمثل سورة النمل وغيرها.

ومنها: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، فالعجب ممن استغلق عليهم الواضح؛ فتورطوا في المكابرة، وغالوا فيها حتى أنكروا ضروريات كالشمس ما عليها غطآء؛ فأنكروا صحة الاستدلال بالعقل،

وأنكروا أنه يدرك الحسن والقبح، وأنكروا أن شيئا حسن أو قبيح لذاته، مع أن العقل يكشف أسرار الحقآئق التي ذُكِرَتْ في القرآن جملة لا تفصيلا، فإذا اكتشف العقل بالوسآئط المخترعة بواسطته عملية التأليف بين أجزآء المركبات، أو التفريق بين المجتمعات كما حدث عند تفجير النواة في هيروشيما ونجازاكي، وهو ما يعنيه المتكلمون بعَرَضَي الاجتماع والافتراق في دليل الحدوث، وإذا ما شاهد العقل الأنظمة والقوانين التي تحكم الكآئنات ولاحظ المراحل التي تمر بها في تطورها، وأصبح ما كان معقولا فقط معقولا مشاهدا من أن الكآئنات خاضعة لقوانين تحكمها كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وغيرهما كثير، كما اكتشف أن الذرة التي كان يظن أنها لا تقبل التجزئة مركبة من جزيئات كثيرة مختلفة الأعداد باختلاف خواصها: هذا ثابت وذاك متحرك كحركة المجموعة الشمسية حول مركزها، والذرة في مجموعها خاضعة لنظام دقيق للغاية، وأن الجزيئات التي في باطن جزيئاتها لا تخضع، بل لكل منها سلوك خاص فوضوي، فاستدلوا على أن خروج هذا النظام المهيل للغاية صادر عن فوضى ضاربة، وجزمت عند هذا العقول أن خروج النظام المدهش من لا نظام يستحيل أن يكون صدفة في ذرة واحدة، فما بالنا بأكثر، فما بالنا بجميع الكآئنات! إن هذا ونحوه اكتشاف للمدلول المجمل في مثل قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١١٧] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧] ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، ونحوها كثير جدا لا يناقض ولا يعارض، بل كبيان للمجمل وخدمة للقرآن ومزيد من العلم المراد في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فهل نعتبر من آمن بالله عن هذا النهج أنه إيمان هرآء مبني على هرآء، وما أكثر الذين آمنوا بهذا النهج؛ أندعي كذبا أن الإسلام لا يعترف بإيمان العقل ولا دليله في حين أنه القآئل مثل: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، لو فعلنا هذا لعدَّنا جميع العقلآء معتوهين.

ومما يؤسف له أن يكابر من يُعَدُّون علمآء في دليل الحدوث الذي صاغه أبو الهذيل رحمه الله، بل في كل مقدمة من مقدماته الأربع، حتى أُطلق عليه دليل الدعاوى. لذلك فإن هذا ليستغرب من بسطآء العلمآء، فما بالك بالأجلآء.

ولا يُطلِقُ الجهلَ على عدم العلم إلا الأقلون. أما الجهل المجمع على أنه هو الجهل فهو الاعتقاد الفاسد وهو المسمى الجهل المركب، وهو عقدة المشكلات، وقد سبق كلام في الموضوع هذا، والكل يكمل بعضه بعضا.

اللهم ما أصبت فيه فلك الحمد السرمدي، وما أخطأت فيه فأستغفرك اللهم وأستهديك، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

دعاء الختام

يـا صـانعَ الأكـوان إذْ لا جُـزْءَ لا ... جِهَـةٌ ولا زَمَـنٌ مـن الأزمـان

إذْ لا هَيُـولَى مطلقًا أو صـورةٌ ... أو سـالِبٌ أو موجِـب وحْـدَاني[1]

لا طَبْـعَ فـالمطبوعُ يـأتي أوَّلاً ... فيمـا تـرى والطبـعُ يـأتي الثـاني[2]

إذْ لَـيْسَ يُعقَـلُ قَـطُّ مَطْبُـوعٌ بِـلاَ ... طَبْـعٍ وَلاَ طَبْـعٌ بِغَيْـرِ مَكَـانِ

فَلِذَا اسْتَحَالَ وجودُ طَبْعٍ قَبْلَ مَطْـ ... ـبُوعٍ وَهَـذَا الْمُنْتَهَـى لِبَيَـانِي

يَا مَنْ ذَخَرْتَ أَجَلَّ رَحْمَتِكَ الَّتِي ... وَأَجَـلَّ غُفْـرَانٍ لِيَـومِي الثَّـانِي

خَـلاَّقَ رَحْمَـةِ كُـلِّ أُمٍّ أَوْ أَبٍ ... فِـي الْـوَحْشِ والْحِيْتَـانِ والثُّعْبَـانِ

فِي الصَّقرِ يَغْدُو سَاغِبًا مِنْ وَكْرِهِ ... بِعَزِيْمَـةِ التَّمْـوِينِ لِلْفُرْخَـانِ

رُحْمَاكَ بِي يَا خَالِقِي رُحْمَاكَ بِي ... يَـا رَازِقِـي رُحْمَـاكَ يَـا دَيَّـانِي

---

(١) هو الواحد بمعنى المنفرد لا سواه ، لا أول مراتب العدد .

(٢) يقال للذين يسندون الخلق إلى الطبيعة :أين كانت الطبيعة قبل وجود المطبوعات عليها؟ الجواب : لا وجود لها ولا مكان، وإنما توجد بعد وجود المطبوعات عليها .

فنقول لهم : فكيف تسندون المخلوقات إليها وهي لم توجد إلا بعد وجود المطبوعات .

وإذا قلنا لهم : هل للطبيعة قدرة وعلم وإرادة ؟ قالوا :لا. فنقول : فكيف جاز إسناد المحكمات المنظمات غاية الأحكام إلى ما لا يفهم ولا يعلم ولا يريد .

فإن قالوا : بل تعلم وتريد وتقدر ، قلنا : هذا هو الله ولا يصح الإسناد إلا إليه سبحانه.

غُفْرانَــكَ اللَّهُــمَّ لِــيْ وَلِوَالِــدَيَّ ... وَمَــنْ أُحِــبُّ فَأنــتَ ذُو الغُفْــرَانِ

فَاغْفِرْ لنَا وَارْحَمْ وَسَامِحْ أَنتَ ذُو ... ـفَضْلِ الْعَظِيْمِ وَأَنْتَ ذُو الإِحْسَانِ

وَصَــلاتُكَ اللَّهُــمَّ والتَّسْــلِيْمُ يَغْــ ... ــشَى الْمُصْـطَفَى والآلَ كُـلَّ أَوَانِ

وَمشَــآئخِي وأُصُــولَنَا وفُرُوعَنَــا ... والأَصْــدِقَاءَ وَسَــآئرَ الإِخــوَانِ

محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور

غفر الله لهم آمين

ذو الحجة الحرام سنة ١٣٩٩هـ- على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين آمين.

تمت مقابلته بإملاء فضيلة الدكتور / المرتضى حفظه الله على ا لحقير كاتب هذا مؤلفه وحضور آخرين بمركز بدر وهم يقصون ٢٦/ صفر سنة ١٤٢٢هـ .

محمد بن محمد المنصور

الفهرس